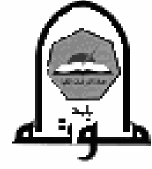


جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

مرتكزات وقواعد العلاقات الدولية في الإسلام
(وقت السلم)

إعداد الطالب

عبدالاله كامل أبو ردن العجارمة

إشراف

الدكتور محمد القطاطشة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليـــــا

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجـــــــــة

الماجستير في العلاقات الدولية قسم العلوم السياسية

جامعة مؤتة، 2007

الإهداء

إلى روح أبي الحبيب كامل ابو ردن
إلى أمي الغالية إلى أخواني الصادقيـن
إلى أخواتي العزيزات إلى زوجتي الصابـرة
إلى الأحبة أبنائي وبناتـي

عبدالإله كامل أبو ردن العجارمة

الشكر والتقدير

يتقدم الباحث بالشكر والتقدير إلى كل الذين ساهموا بإنجاز هذه الدراسـة واذكـر منهم:

الأساتذة أعضاء قسم العلوم السياسية في جامعة مؤتة

الدكتور محمد القطاطشه للتوجيه والآراء النيـرة

الأخ الكبير موسى باشا حجمات لتوجيهاته المستمرة

الأستاذ والإعلامي احمد مزيد ابوردن لآرائه وتنقيحاته

كما اخص بالشكر أعضاء لجنة المناقشة الكرام على تفضلهم بالحضور والمناقشة

عبدالإله كامل أبو ردن العجارمة

فهرس المحتويات

قائمة الملاحـق

الملخــص

قواعد ومرتكزات العلاقات الدولية في الإسلام وقت السلم

عبدالاله كامل ابو ردن

جامعة مؤتــه، 2007

تناولت هذه الدراسة موضوعاً مهماً في هذه المرحلة الدقيقة والحساسة من حياة الأمة العربية و الإسلامية حيث يتعرض الإسلام إلى محاولات مستمرة ودؤوبه من التشكيك والإتهام بهذه الشريعة وبالرسول الكريم صلى ا عليه وسلم وبالمنهج الاسلامي الواضح الذي جاء للناس كافة. وتطرقت في هذه الرساله إلى وصف الحياة قبل بدء الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية والمؤثرات الأولى التي غيرت السائد وقلبت المتعارف عليه على صعيد الاعراف والتقاليد والذائقة اللغوية حيث إن الخطاب القرآني جاء مغايراً من ناحية البنية اللغوية واللفظية وطبيعة المعاني على غير ما عهده العرب. الهجرة النبوية المباركة ومالها من تأثير كبير في المرحلة اللاحقة التي تمخضت عن إنشاء الدولة الإسلامية الأولى في الجزيرة العربية. حيث تم التركيز في هذه الدراسة على وثيقة المدينة، هذا الدستور الحضاري الذي بين الصورة الحقيقية لجانب الدعوة النبوية السلمية والتعايش مع الآخر والسماح له بأن يمارس عقيدته بكل حرية واختيار. وتناولت بالحديث الأسباب والدوافع التي دفعت بالرسول صلى ا عليه وسلم والخلفاء الراشدين إلى تفعيل الجهاد والتي كانت للدفاع عن الدولة الإسلامية من التعرض للخطر وحماية الدعوة الاسلامية الناشئة. أثبتت هذه الدراسة أن المنهج السلمي الذي إتّبعه الرسول صلى ا عليه وسلم ظلّ قائماً حتى بعد أن اشتد ساعد الدولة وذلك من خلال لغة الرسائل التي بعثها الرسول الكريم إلى ملوك ذلك الزمان وبالتركيز على المفهوم السلمي من خلال كلمتين لازمتين (أسلم تسْلم).اثبتت هذه الدراسة أن هنالك قواعد ومرتكزات في العلاقات مع الآخر قائمة على الحرية والكرامة والعدالة وحرية التعبير وغيرها من القواعد التي حض عليها الإسلام في التعامل مع الآخر المختلف وعلى شرعية اللجوء إلى الوسائل السلمية من مفاوضات ومعاهدات معه. تطرقت الرساله في فصلها الأخير إلى خطاب جلالة الملك عبدا الثاني ابن الحسين في الكونغرس الامريكي الذي وضع النقاط على الحروف في معالجة أسباب التطرف والارهاب في المنطقة.

ABSTRACT

Rules and Principles of International Relations in Islam at the Time of Peace

Abed Ellah K. S. Abu Reden
Mu'tah University, 2007

This study discusses an important subject during this sensitive and critical stage of the Arab and Islamic nations life, where Islam is facing a continuous and persistent attempts of suspicion and indictment on it and on Prophet Mohammed (PBUH) and the manifest Islamic method which came to all mankind.

In this research I penetrated the following.Describing the life style in the Arab peninsula just before the beginning of the Islamic Call (Da'wa), and the primary effects that changed the prevalent and common, concerning mores and traditions and lingual enjoyment, since the quranic discourse came different in the lingual and verbal structure and nature of contents to what Arabs were acquainted with. The blessed Mohammedan Emigration (Hijra) and its great impact in the following stage that brought forth the establishment of the first Islamic state in the Arab Peninsula. This study concentrated on the (Medina Statement), this civilized constitution that viewed the real image of the prophetic peaceful call (Da'wa) and coexistence with the other and allowing him to practice his own religion freely and by his own choice. I discussed in this study the reasons and motivations that induced Prophet Mohammed (PBUH) and the orthodox caliphs to activate jihad (the holy war) to defend the Islamic state against dangers and protect the rising Islamic da'wa.This study proved that the peaceful manner the Prophet Mohammed (PBUH) followed remained existent even after the state became powerful; emerging through the Messenger's letters to the kings and rulers of that era, concentrating on the peaceful concept of da'wa revealed through two words : "Aslem Taslam" (convert to Islam and be safe). This study also proved that there are rules and principles controlling the relations with the other based on freedom, dignity, justice, and freedom of speech, which Islam urged to consider when dealing with the other (non-Muslim); and the legitimacy of exploiting the peaceful means such as negotiations and treaties.This study, in the last chapter, got to the speech of His Majesty King Abdullah the second Ibn Al-Hussein before the U.S. Congress, which dotted the i's and crossed the t's in treating the reasons behind extremism and terrorism in the region, and showing the generous message of Islam through "the Message of Amman" which clearly expresses the intermediate methodology, moderation, indulgence values and not to hate the other, and dealing with the non-Muslims amicably.

الفصل الاول

خلفية الدراسة وأهميتها

1.1 خلفية الدراسة :

من فضل الله تعالى على خلقه أنه سبحانه لم يتركهم سدى ، بل بعث اليهم الرُسـل مبشرين ومنذرين ليخرجهم من الظلمات إلى النور بأذنه ويهديهم إلى سواء السبيل فأصول الشرائع السماوية واحدة وغايتها واحدة إلا أن منها ما يتعلق بمـصلحه ثابتـه لا تخـضع لظروف الزمان والمكان كوجوب الايمان بالله تعالى والعدل والصدق وتحريم الكفر والظلم والكذب ، ومنها ما يتعلق بمصلحة تخضع لظروف الزمان والمكان واخـتلاف الأحـوال فهذه المصلحه تختلف بإختلاف الأجيال فيعتريها التبديل والتغيير فأصل الدين واحد وإنمـا إختلاف في الشرائع والمناهج قال تعالى: **وأَنْزَلَ التـوراةَ والإِنْجِيـل مِـن قَبـلُ هـدىً لِلنّاس**[1] وقال تعالى: **كِتَـٰب أَنزلنَـٰه إِليك لِتُخْرِج الناس مِن الظلمـٰتِ إِلى النور بِإِذْن ربهم إِلى صِراطِ الْعزيز الْحميدِ**[2] فالغاية والمقصد من إرسال الرسل وتنزيـل الكتـب السماوية هي هداية الناس وإرشادهم إلى الصراط المستقيم ليفوزوا بالسعادة في الـدارين ولا يكون ذلك إلا اذا تضمنت النظم والاحكام التي تحقق الخير والمصلحه لهم في الـدنيا والأخرة .

ولما كانت الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع السماوية والقرآن الكريم آخر الكتـب المنزله وأراد الله تعالى لها الخلود فقد جاءت كاملة وصالحة لكل زمان ومكان بما إشتملت عليه من قواعد كلية وأحكام عامة وتفصيليه قال تعالى مخاطباً سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **وما أَرسلنَـٰك إِلاّ رحمةً للعـٰلمِين**[3] ومن هنا من المسلم به في نطـاق الـدين الاسلامي أن الشريعة الإسلامية بوصفها خاتمة الرسالات السماوية وما تتميز به لذلك من

---

(1) سورة آل عمران الايتان (3_4) .

(2) سورة ابراهيم الآية (1) .

(3) سورة ألانبياء آيه (107)

عموم وشمول تفرض على المسلمين فرادى وجماعات تبادل العلاقات والاتصالات مـع غيرهم من الدول والجماعات التي لا تدين بالإسلام ، وذلك مـن أجـل تحقيـق مقاصـد وأغراض شتى أهمها قاطبة نشر الدين الاسلامي ودعوة الناس اليه ، فضلاً عـن تبـادل السلع والمنافع بما يحقق الصالح العام للمسلمين والدولة الإسلامية. ولا بد للدولة الإسلامية في هذا الخصوص شأنها في ذلك شأن غيرها من الدول والجماعات من قواعد وضـوابط وأدوات تستعين بها على تنظيم وإدارة علاقاتها الخارجية، وتستطيع من خلالها الوصـول إلى ما تنشده لهذه العلاقات من مقاصد وغايات.

وفي هذا ألمقام يطرح التساؤل حول ماهية القواعد والضوابط التي حوتها الشريعة الإسلامية بشأن تنظيم سلوك الدولة الإسلامية وحول حقيقة العلاقة بـين أدوات التعامـل الخارجي للدولة الإسلامية وقت السلم، ومدى الإمكانات والصعوبات التي ينطوي عليهـا استخدام هذه الأدوات سواء في علاقات الدوله الإسلامية بغيرها من الـدول فـي نطـاق الجماعة الدولية المعاصرة ؛ الأمر الذي يثير بالتالي التساؤل حول مدى الانـسجام بـين الاحكام العامة للشريعة الإسلامية بشأن اللجوء الـى الأدوات المـذكورة وبـين القواعـد والأعراف الدولية المستقرة بهذا الشأن في نطاق العلاقات الدولية المعاصرة.

تعتمد الدراسة في الاجابة عن التساؤلات المثارة منهجيـة النظـر فـي الأصـول الإسلامية من خلال تفاسير آيات القرآن الكريم وشروح السُنّة المطهرة مع الإستئناس بما تضمنته كتابات الفقهاء وعلماء السير والتاريخ وكبار المفكرين من مذاهب وأراء حول ما حوته الأصول الإسلامية من قواعد وأحكام فيما يختص ببيان مشروعية اللجوء إلى أهـم الوسائل السلمية في إدارة وتنظيم العلاقات الدولية وهي التفـاوض والمعاهـدات وتبـادل الرسل والسفارات ،وكذلك بيان الضوابط والحدود الشرعية التي تحكم وتنظم استخدام هذه الوسائل في مجال العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية .

2.1 مشكلة الدراسة :

تحاول هذه الدراسة إبراز قواعد العلاقات الدولية في الاسلام وقت السلم ذلـك أن هناك فهماً وتصرفات خاطئة للكثيرين باسم الاسلام كلجوء بعض الجماعات الإسلامية إلى

التطرف والغلو والتكفير وممارسة الدين الاسلامي بطريقة مغايرة لوسطية وأعتدال المنهج الاسلامي ذاته وما تفجيرات عمان الأخيرة إلاّ إشارة إلى ما نرمي اليه من معنى كمـا أن هناك فهماً مغلوطاً من غير المسلمين لحقيقة الدين الاسلامي والمتمثل في عـدم إطـلاع الآخرين على خصوصية الشريعة الإسلامية من حيـث التـشريعات والاحكـام الفقهيـة ومرتكزات وقواعد التعامل مع الآخر .

3.1 أهداف الدراسة :

يهدف البحث الى ما يلي :

(1) إبراز الصوره الواقعية للإسلام في علاقاته الدولية مع الآخرين وقت السلم .
(2) بيان حقيقة الدين الاسلامي وسماحته في التعامل مع الآخر وفق الفهـم الـصحيح للأصول العامة المنثوره في أحكامه الفقهية .
(3) التدليل على أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان من خلال المقومـات التي تحملها في علاقاتها مع الاخرين.

4.1 أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة بأنها تسلط الضوء على موضوع مهم من مواضيع العلاقات الدولية الإسلامية والذي يندرج تحت مسمى : كيف ينظر الإسـلام إلـى محيطه الدولي وما هي حقيقة القواعد والمرتكزات الاساسية للتعامل مـع الاخـر وذلك لإبراز الصورة الواضحه عن المجتمع المسلم كما هو في الواقـع ومحاولـة إقناع الآخرين بتغيير الصورة المضطربه والمشوهه في ذهنه عن الاسلام .

5.1 الإطار النظري:

1.5.1 تعريف العلاقات الدولية:

يُعرف كوينسي رايت العلاقات الدولية تعريفاً واسعاً بانها " علاقات شـاملة تـشمل مختلف العلاقات الدولية سواء كانت علاقات رسمية ام غير رسمية " ويـرى فيريـدرك هارتمان بأن مصطلح العلاقات الدولية " يشمل كل الاتصالات بين الدول وكـل حركـات

الشعوب والسلع والأفكار عبرالحدود الوطنية" [1] ويعرف مارسيل ميريل العلاقات الدولية بانها"كل التدفقات التي تعبر الحدود او حتى تتطلع نحو عبورها وهـي تـدفقات يمكـن وصفها بالعلاقات الدولية ولا تشمل هذه التدفقات بالطبع على العلاقات بين حكومات هـذه الدول ولكن ايضا على العلاقات بين الافراد والمجموعات العامة والخاصة التي تقع على جانبي الحدود كما تشمل على جميـع الانـشطه التقليديـه للحكومـات : الدبلوماسـيه، المفاوضات، الحرب ،... الخ ولكن تشمل ايضا تدفقات من طبيعـه اخـرى اقتـصادية، أيدلوجيه، سكانيه، رياضية، ثقافية ...إلخ" . [2]

2.5.1 السياسه الخارجية:

إن السياسه الخارجية لدوله ما، هي جزء من السياسه العامة لهذه الدولة أو الخُطّـة التي تسير بهديها الدولة في علاقاتها مع دول أخرى فدراسات السياسه الخارجية ترتكـز على ظاهرة القرار السياسي للدول الخاص بالعلاقات الخارجية والتعاون الـدولي دون أن تشمل النظام الدولي بكامله.[3] وذهب البعض إلى القول في السياسه الخارجيـة" بانهـا برنامج عمل الدولة في المجالات الخارجية" [4] والبعض عرف السياسه الخارجية بأنهـا برنامج العمل المعلن الذي يختاره الممثلون الرسميون للوحدة الدولية من بـين مجموعـة البدائل المتاحه من أجل تحقيق أهداف محددة في المحيط الدولي. [5]

---

(1) توفيق، سعد حقي، مبادئ العلاقات الدولية، ط1 عام 2000، دار وائل للنشر عمان،" (13)

(2) مارسيل، ميرل، 1986، سوسيولوجيا العلاقات الدولية، ترجمة حسن نافعه ط1 دارالمستقبل العربي، القاهرة ص (98)

(3) الرويفي، محمد، محاضرات في تاريخ العلاقات الدوليه ، الرباط مكتبة المعارف ، ص (11)

(4) مقلد، اسماعيل صبري، نظريات السياسية الدولية ، دراسه تحليلية مقارنه ، ط1 1982 الكويت، جامعة الكويت ص(23، 24)

(5) عيسى، محمود خيري، بطرس غالي المدخل الى علم السياسه ، القاهرة مكتبة الانجلوا المصرية ص (9)

3.5.1 المعاهده (العهد الأمـــان):

هي إتفاق بين دولتين أو أكثر بغرض تنظيم العلاقه الدولية بينهما وتحديد القواعـد التي تخضع لها هذه العلاقه. وقد وردت النصوص القرآنيـه آمـرةً بالوفـاء بـالعهود والعقـــود قال تعالى في مطلع سورة المائده: **(يا أيها الذين آمنوا أوفـوا بـالعقود)** [1] وأي تقصير في الوفاء بهذا الأمر يعتبر إثماً كبيراً يستوجب المقت والعنف قال تعالى : **يا أيها الذين آمنوا لِم تقولون ما لا تفعلون{2} كبر مقتـاً عِنـد اللـهِ أن تقولـوا مـا لا تفعلون{3}** [2] وكل ما يقطعه الإنسان على نفسه من عهد فهو مسؤول عنه ومحاسب عليه قال تعالى:**(وأوفوا بالعهدِ إن العهد كان مـسؤولاً)** [3] وحق العهد مقدم على حق الـدين قال تعالى : **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيءٍ حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قومٍ بينكم وبينهم ميثاق**[4].

4.5.1 وثيقة المدينـــة:

وهي الصحيفه التي كتبت بإملاء الرسول صلى ا عليه وسلم في العام الأول من هجرته إلى المدينة، ومثلت السياسة الداخلية للدولة الإسلامية مع (الآخر) اليهودي، والوثني وهو ما يسمى في العصر الحديث بالقانون الدولي الخاص، وكذلك مثلت نظاماً متكاملا للعلاقات الخارجيه مع القبائل والشعوب والدول وهو ما أصطلح عليه فيما بعد بالقانون الدولي العام [5] .

---

(1) سورة المائدة : جزء من ايه (1)

(2) سورة الصف : ايه (2+3)

(3) سورة الإسراء آية (34)

(4) سورة الأنفال ايه (72)

(5) الفهداوي. خالد سليمان، الفقه السياسي للوثائق النبويه (المعاهدات – الاحلاف – الدبلوماسيه الاسلاميه) ط1 عمان : دار عمار 1419هـ 1998 ص . (36) .

5.5.1مفهوم الأمة في الاسلام:

ورد لفظ (الأمة) في القرآن الكريم أربعا وستين (64) مرة بصيغ مختلفـه، كمـا أستعملت في اللغة العربيه بمعاني متباينه. ومجموع ذلك ثمانية وجوه من كتب اللغـويين وهي كالآتي [1]:

(أ) الرجل الأمة: الأوحد في معناه الذي لا يدخله فيه أحد قال النبي صلى ا عليه وسلم:" **يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده**" فمعناه يبعث منفرداً بدين. [2]

(ب) وتكون الأمة الجماعه كما قال ا عز وجل:" **وجد عليهِ أُمةً من الناس يسقُون**" ومعناه: وجد عليه جماعه [3]

(ج) وتكون الأمة أتباع الأنبياء، كما تقول: نحن من أمة محمد؛ أي من أتباعه على دينـــه

(د) وتكون الأمة الدين ، كما قال ا عز وجل" **إنا وجدنا أباءنا على أمة**" [4] معناه : على دين

(هـ) وتكون الأمة الرجل الصالح الذي يؤتم به، كما قال تعالى:" **إن إبراهيم كان أمة قانتا حنيفاً**: [5]

---

(1) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم، اسطنبول – دار الدعوه 1406 هـ 1986 ص. (8) .

(2) النيسابوري، ابو عبدا المستـدرك على الصحيحين (بيروت: دار المعرفه ج 3 ص (440)؛ والبهيقي :" دلائل النبوه – توثيق وتخريج ، عبدالمعطي قلعجي ط . بيروت دار الكتب العلميه – 1405 هـ - 1985 م حاشيه رقم (1) ج 2 ص . (120) .

(3) سورة القصص أية (23)

(4) سورة الزخرف آية (23)

(5) سورة النحل آية (120) .

(و) وتكون الأمة الزمان كما قال تعالى: ﴿ **وادكر بعد أمة** ﴾ [1]. وقوله تعالى: ﴿ **ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة** ﴾ [2] .

(ز) وتكون الأمة القامة ، يقال: فلان حسن الأمة.

(ح) وتكون الأمة الأم: يقال هذه أمة فلان؛ أي أم فلان [3].

6.5.1 دار الإسلام:

هي الدار التي تجري عليها أحكام الإسلام ويأمن من فيها بأمان المسلمين سـواء أكانوا مسلمين أم ذميين ويجب على المسلمين الدفاع عنها واسترداد مـا أغتـصب مـن أجزائها على سبيل (فرض كفايه) أن تحققت الحاجه وأن لم تتحقق كان الجهاد فرض عين على كل مسلم .[4]

7.5.1 دار الحرب :

هي الدار التي لا يجري عليها أحكام الاسلام ولا يأمن من فيها بأمان المسلمين ولا تطبق فيهـا أحكام الإسلام الدينية والسياسية لوجودها خارج نطاق السياده الإسلاميه .[5]

---

(1) يوسف أية (45)

(2) سورة هود آية (8)

(3) السيد، رضوان، الأمه والجماعه والسلطه ، دراسة في الفكر العربي المعاصر ط 2(بيروت دار أقرأ ، 1406 هـ 1986) ص 0 43 – و 44

(4) الزحيلي، وهبه، العلاقات الدوليه في الاسلام – مقارنه بالقانون الدولي الحديث – مؤسسة الرساله – بيروت ط 1401هـ 1981 ص 0 (105) و خلاف، عبد الوهاب، نظام الدولة الاسلاميه / ص 66 وما بعدها .

(5) ابو زهرة، محمد، العلاقات الدوليه في الاسلام / ص 47 و سلطان، حامد، احكام القانون الدولي في الشريعه / ص 111 .

8.5.1 دار العهد:

وهي الدار التي لم يظهر عليها المسلمون ، وعقـد أهلهـا الـصلح بيـنهم وبـين المسلمين، على شيء يؤدونه من أرضهم يسمى" خراجاً" [1]، دون أن تؤخذ منهم جزيـة رقابهم؛ لأنهم في غير دار الإسلام [2]،وهذه الدار لم يستول عليها المسلمون حتى تطبـق فيها شريعتهم ولكن أهلها دخلوا في عقد المسلمين وعهدهم على شرائط اشترطت وقواعد عينت فتحتفظ بما فيها من شريعة وأحكام، وتكون شبيهه بالدول التي لم تتمتـع بكامـل أستقلالها ؛ لوجود معاهدة معقوده[3].

9.5.1 أهل الذمة:

الذمة في اللغه: العهد والأمانة، والكفاله، والقوم المعاهدون.

أذم عليه: أخذ له الذمة .

وأهل الذمة: أهل العقد.

والذمي: المعاهد الذي أعطي عهداً يأمن فيه علي ماله وعرضه ودينه[4]

قال تعالى:" **لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة**"([5]) .أي عهداً .

---

(1) إن الإلتزام بالخراج حكم فقهي مراعي في حالة الظروف في الماضي، وهو تنظيم حزبي سياسي وضعه سيدنا عمر بن الخطاب رضي ا عنه، وليس حكماً شرعياً لازماً، فيجوز تنظيم العلاقـات الدولية بين المسلمين وغيرهم على اساس المعاهدات التي لا خراج فيها، وقد عقدت في الماضـي معاهدات لم يكن فيها شرط دفع عوض مالي للمسلمين- القرافي، كتاب الفروق- ج3، ص24.

(2) الشافعي – كتاب الأم ج 4 ص . (103) .

(3) الأرمنازي، نجيب، الشرع الدولي في الإسلام ، ص (50) .

(4) الرازي، محمد بن أبي بكر الرازي، الـصحاح- دار الكتـب العلميـة بيـروت، ص223-224؛ الزاوي، طاهر أحمد، واساس البلاغة، دار الفكر، ط3، ج2، ص267.

(5) سورة التوبه : ايه (8)

الذمى في الاصطلاح : عرفة الإمام الغزالي:" كُل كتابي ونحوه عاقل بالغ ذكر متأهب للقتال قادر على أداء الجزية [1] .

وعرف البهوتي الحنبلي، عقد الذمة:

" إقرار بعض الكفار على كفره بشرط بذل الجزيه والتزام احكام الملّه" [2]

فيكون الذمي على هذا : من يقر من الكفار على كفره بشرط بذل الجزيه والتزام أحكـام الملة . وعرف الشيخ الدردير المالكي الجزيه بأنها : مال يضربه الإمام على كافر ذكـر حر قادر مخالط يصح سباؤه لم يعتقه مسلم لاستقراره آمناً بغير الحجاز واليمن . [3]

10.5.1 الجزيـة :

لغـة: قال القاضي أبو يعلى: الجزيه إسمها مشتق من الجزاء إما جزاء على الكفر لأخذها من الكفار صغاراً ، أو جزاء على أماننا لهم لأخذها منهم رفقاً [4].

وقال إبن قدامه: هي مشتقه من جزاه بمعنى قضاه لقوله تعالى :" **لا تجزي نفس عن نفس شيئاً**" فتكون الجزيه مثل الفدية [5]

أما اصطلاحاً : فقد عرفها إبن الأثير.

الجزيه هي عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة [6].

---

(1) الغزالي ، محمد بن محمد ابي حامد الغزالي ، الوجيز في فقه مذهب الإمام الشافعي ، طبع مطبعة الآداب والمؤيد بمصر سنه 1317 هـ دار الكتب العربيه / مصر ج 3ص 197

(2) البهوتي : كشف القناع عن متن الاقناع ، عالم الكتب ببيروت 1403هـ ج 3 ص 116 الحسين، محمد بن عبدا ، الزوائد في فقه الإمام أحمد بن حنبل ط 2 مطبعة دار لبنان ج 2 ص0 (354)

(3) أبي البركات، أحمد بن محمد بن أحمد الدردير، الشرح الصغير علـى اقـرب المـسالك : دار المعارف مصر ط 2 ج 2 ص 308 و 309

(4) أبي يعلي، الأحكام السلطانيه، ص (153)

(5) إبن قدامه، أحكام أهل الذمة : ص (23 و 24)

(6) إبن الأثير : النهاية في غريب الحديث والاثر ج1ص (190)

11.5.1 الإعـــراف :

وهي مصدر من مصادر القانون الدولي وطريقه أن تقوم صلات أو اتفاقيات بين دولتين أو أكثر ثم تحذو دول أخرى حذو الطريقه التي اتبعتها الدول التي قبلها وهكذا، فإن تكررت مثل هذه الطريقه وأصبحت مألوفه فإنها تصبح عرفاً عاماً يصبح أن يتخذ قاعدة وقانوناً من القانون الدولي [1]

12.5.1 الهدنة:

في اللغة المصالحة ولها الفاظ اخرى: الموادعه والمسالمه والمقاضاه والمواصفه وفي الشرع: عبارة عن صلح يقع بين زعيمين في زمن معلوم بشروط مخصصة [2].

13.5.1 الامان :

أ. لغة: الامان والأجارة بمعنى واحد، قال تعالى ً**وأن أحداً من المشركين أستجارك فأجره حتى يسمع كلام ا ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمونً** [3]

ب. اصطلاحاً: الأمان هو تحقيق الدولة الامن والحماية لمن لجأ اليها لمدة محدودة لا تزيد عن سنة والمستأمن: هو الشخص الذي ليس بمسلم ولا يقيم في بلاد المسلمين ولكنه يأخذ أماناً منهم بأن يقيم مدة محدوده في بلاد الإسلام. [4] وقيل أيضاً: المستأمن بكسرالميم: طالب الامان وهومن يدخل دار غيره بامان لمدة محدودة؛ أي من يدخل بلاد غيره بأمان سواء كان مسلماً أم حربياً[5]

---

(1) الحسن، محمد علي، العلاقات الدوليه في الاسلام ،(70)

(2) القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج3 ، ص (14)

(3) سورة براءة أية (6) وقد ورد في تفسير الجلالين : فأجره : فآمنه وتفسير سورة براءة الاجـارة مشتق من أجار يجير أجارة وفي المصباح المنير : أمن زيح الأسد وأمن منه مثل مسلم فيه واسـتأمنه طلب من الامان ، وأستامن اليه دخل في أمانه .

(4) مجلة التضامن الاسلامي الجزء السابع – عدد محرم –سنه 1426هـ ، 2005م

(5) ابن عابدين، الحاشية: ج4 ص (166)

14.5.1 الوسطيـ ـه :

من الوسط أي أعدل الشئ وافضله، قال تعالى:ً **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً**[1] أي: عدل خياراً، والوسط، من كل شئ أعدله، اي عدلاً خياراً والوسطيه وسطهم وسطاً أي جاس بينهم، ووسط الشئ: ما كان بين طرفه أوسطه أعدله [2] والوسطيه إصطلاحاً: حالة محمودة تقوم في العقل الإنساني السليم بالفطره وتعصمه من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط. [3] ويعرفها البعض: بأنها التعادل والتوازن بين الطرفين بحيث لايطغى طرف على آخر فلا أفراط ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وأنما إتباع الأفضل والأجود والأكمل ويؤيد ذلك ما جاء في حديث البراء إبن عازب قال: **(كنا جاوساً عند رسول ا صلى ا عليه وسام فقال : أي عرى الاسلام أوسط ؟ قالوا: الصلاة ...الى أن قال إن أوسط عرى الاسلام أن تحب في ا وتبغض في ا)**[4]

15. 5.1 المفاوضات لغة واصطلاحاً :

هي نوع من الحوار والاتصال الذي يتم بين طرفين أو اكثر بقصد الوصول الى اتفاق حول مسائل أو موضوعات تخص العلاقات والمصالح المشتركة بين المتفاوضين بحيث تكون النقطة التي يتم الالتقاء عندها بالاتفاق ليست بالضرورة تلك النقطة التي تعبر عن المطالب التي يطرحها هذا الجانب أو ذاك عند بدء العملية التفاوضية بعدما تكون نقطة الالتقاء هذه تعبيراً عن نوع من الحلول الوسط أو الحلول التوفيقية المعقولة والمقبولة من قبل الطرفين المتفاوضين عبر تنازلات متبادلة ومتوازنة الى حد بعيد وغاية ما في الأمر أن يكون ثمة حد أدنى يمثل القيم الأساسية والمصالح العليا التي لا ينبغي

---

(1) سورة التوبه ايه (143)

(2) ابن كثير ، اسماعيل بن عمر بن كثير ، المصباح المنير في تهذيب التفسير ج2 ص (132)

(3) عبد اللطيف، محمد، الوسطيه في الاسلام ص (27)

(4) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ، كتاب الايمان باب : من الايمان الحب والبغض ، واحمـد مسند الكوفين

للمفاوض التنازل عنها أو التفريط فيها بأي حال من الأحوال طيلة جولات ومراحل العملية التفاوضية للدولة الإسلامية [1] .

16.5.1 تعريف الارهاب:

تعريف الإرهاب في اللغة العربية:

ورد في لسان العرب في مادةً رهب: (رهِب: بالكسر، يرهبُ رهبةً ورُهباً، بالضم، ورهباً أي خاف، ورهب الشئ رهباً ورهبه: خافه. والإسم/الرهبُ، والرهبى، والرهبوتُ، والرهبوني، ورجل رهبوت، يقال: رهبوتٌ خيرمن رحموت، أي لأن تُرهب خير مـن أن ترحم. وترهب غيره إذا توعده، وأنشد الأزهري العجاج يصف عيراً واتنه :

تُعطِيهِ رهباها إذا ترهبا ***على اضطمار الكشح بولاً زغربا

عصارة الجزء الذي تحلبا

رهباها: الذي ترهبه، كما يقال: هالك وهلك. إذا ترهبا: إذا توعدا. وقال الليث: الرهـبُ: جزم، لغة في الرهب. قال: الرهباء إسم من الرهب، نقول: الرهباء من ا والرغباء إليه. وفي حديث الدعاء: رغبة ورهبة إليك. الرهبةُ: الخوف والفزع جمع بين الرغبة والرهبة. وفي حديث رضاع الكبير: فبقيت سنة لا أحدث بها رهبته. قال ابن الأثير: هكذا جاء فـي رواية أي من أجل رهبته، وهو منصوب على المفعول له. وأرهبـه ورهبـه: أي أخافـه وفزعه. وإسترهبه: إسترعى رهبته حتى رهبه الناس، وبذلك فـسر قولـه عـز وجـل: (واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم)، أي أرهبوهم) هكذا نجد أنً الإرهـاب فـي اللغـة العربية يدور حول هذه المعانـي: الخوف والفزع والرعب والتهديد. [2].

---

(1) شتا، أحمد عبد الونيس، دراسة بعنوان الاصول العامة للعلاقات الدولية في الاسلام وقـت الـسلم، دراسة في تحليل أهم أدوات العلاقات الخارجية للدولة الاسلامية – كتاب اعمال ندوة مناقشة مـشروع العلاقات الدولة بالاسلام – العلاقات الدولية بين الاصول الاسلامية وبين خبرة التـاريخ الاسـلامي – مركز البحوث والدراسات السياسية المجلد الاول ط1 2000 ص (385) .

(2) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، المجلد الأول، مادة رهب، ص(436-437)

تعريف الإرهاب في اللغة الإنجليزية:

(جاء فـي قـاموس أكـسفورد Terror/1. Extreme Fear. 2a. Terrifying person or thing. 2b. Collogue formidable or trouble some person or thing. Esp. a child.

Organized intimidation. Terrorism [Latin terreo frighten]. Terrorist: person using esp. organized violence against a government

نلاحظ أن تعريف الإرهاب طبقاً لنص قاموس أكسفورد يتفق – إلى حد كبير- والتعريف الوارد في لسان العرب لابن منظور في موضوع الخوف الفزع والتهديد وإن كان التعريف العربي لم يحدد الجهة التي تمارس الإرهاب أو من يمارس ضدها.. وقد ورد تحديد الجهة في القرآن الكريم (ترهبون به عدو ا وعدوكم) وفي السنة (نصرت بالرعب).. فالتعريف العام لكلمة ً رهب في اللغة العربية لم يحدد الجهة الممارسة ولا الممارس ضدها الإرهاب أما القرآن الكريم فقد ذكر أن إدخال الرعب والفزع في قلوب الكفار أمر محمود يثاب المسلم عليه وكذلك قول الرسول صلى ا عليه وسلم ًنصرت بالرعب أي نصره ا على الكفار بإدخال الرعب والخوف في قلوبهم.. إذ إن السنة النبوية قد حددت الجهة الممارس ضدها الإرهاب..

أما مفهوم الإرهاب في الشرع : فهو قسمان :

اولا : قسم مذموم ويحرم فعله وممارسته وهو من كبائر الذنوب ويستحق مرتكبه العقوبة والذم وهو يكون على مستوى الدول والجماعات والأفراد وحقيقته الاعتداء على الآمنين بالسطو من قبل دول مجرمة أو عصابات أو أفراد بسلب الأموال والممتلكات والاعتداء على الحرمات وإخافة الطرق خارج المدن والتسلط على الشعوب .

ثانيا : إرهاب مشروع شرعه ا لنا وأمرنا به وهو إعداد القوة والتأهب لمقاومة أعداء ا ورسوله قال تعالى (**وَأَعِدواْ لَهم ما استَطَعتُم من قُوةٍ ومِن رباطِ الْخَيلِ تُرهِبون بِهِ عدو اللّهِ وعدوكُم وآخَرِين مِن دونِهِم لاَ تَعلَمونَهم اللّه يعلَمهم وما تُنفِقُواْ مِن شَيءٍ فِي سبِيلِ**

اللّهِ يوف ِإلَيكُم وأَنتُم لا تُظْلَمون)[1] فهذه الآية الكريمة نص نصت على أنه يجب على المسلمين أن يبذلوا قصارى جهدهم في التسليح وإعداد القوة وتدريب الجيوش حتى يرهبهم العدو ويحسب لهم ألف حساب وهذا أعني وجوب الإعداد للمعارك مع العدو أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين سواء كان الجهاد جهاد دفع أو جهاد طلب لكن ينبغي أن يُعلم أن مجرد القوة المادية من سلاح وعدة وتدريب لا تكفي لتحقيق النصر على الأعداء إلا إذا إنظمت إليها القوة المعنوية وهي قوة الإيمان با والاعتماد عليه والإكثار من الطاعات والبعد عن كل ما يسخط ا من الذنوب والمعاصي.

تعريف جيكنز للإرهاب:

يعرف جيكنز الإرهاب: (بأنه العنف الذي يهدد ضحاياه سواء كان بممارسة الأفراد والجماعات للعنف المصمم ميدانياً لتحقيق الخوف أو الرهبة الـذي يـأتي علـى ضـحية الإرهابي الذي قد لا تكون له أي علاقة بقضية الإرهابي.. إن الإرهاب هو العنف الموجه للعامة المراقبين ويكون الخوف هو الأثرالمستهدف تحقيقه)[2]

نلاحظ أن جيكنز قصر ممارسة الإرهاب على الأفراد أو الجماعات وأغفل إرهاب الدولة!! كما أن الإرهاب طبقاً لتعريفه.. غايته تحقيق الخوف وأن الجهة الممارس ضدها الإرهاب هم العامة أو الجمهور ومن ثم كان تعريفه ناقصاً وغير كاف نظراً لتعدد الشرائح الإجتماعية الممارسة للإرهاب وكذا الممارس ضدها.. كما أنه أغفل المقصد من الإرهاب.

---

[1] سورة الإنفال ايه (60)

[2] إبراهيم، سالم، العنف والإرهاب منشورات المركز العـالمي لدراسـات وأبحـاث نـدوة جامعـة الفاتح/ليبيا/ص90

تعريف وكالة الإستخبارات المركزية:

عرفت وكالة الإستخبارات الأمريكية CIA الإرهاب عام 1980: (التهديد الناشئ عن عنف من قبل أفراد أو جماعات) [1]

تعريف مكتب جمهورية ألمانيا الإتحادية لحماية الدستور 1985م:

(الإرهاب هو كفاح موجه نحو أهداف سياسية يقصد تحقيقها بواسطة الهجوم على أرواح وممتلكات أشخاص آخرين، وخصوصاً بواسطة جرائم قاسية) [2]

تعريف الإرهاب حسب دائرة المعارف الروسية:

(إنه سياسة التخويف المنهجي للخصوم بما في ذلك استئصالهم مادياً.. كما يعرف العنف عادة بأنه الإستعمال المنظم المشروع للقوة داخل المجتمع وتذهب كثير من الأنظمة إلى تحديد المشروعية لممارسة القوة بتولي السلطة باسم المجتمع وحماية النظام العام داخل الشرعية الحكومية ؛ أي ممارسة للعنف خارج هذا النطاق تعد لدى الأنظمة التقليدية ممارسة للعنف)

تعريف الإرهاب حسب قاموس الأكاديمية الفرنسية نسخة عام 1796م:

(عرف الإرهاب:ً هو نظام الرعب وعرف الإرهابي:ً بأنه الشخص الذي يحاول فرض وجهة نظره بطريقة قسرية تثير الخوفً)

17.5.1 الدبلوماسية

مفهوم الدبلوماسية: هي كلمة يونانية اشتقت من كلمة دبلوم او دبلون ومعناها طبق أو طوى أو ثنى فلقد كانت تختم جوازات السفر جميعها ورخص المرور على طرق الامبراطورية الرومانية، وقوائم المسافرين والبضائع على صفائح معدنية ذات وجهين مطبقين ومخيطين معاً بطريقة خاصة وكانت تذاكر المرور هذه تسمى (دبلومات)

---

[1] محمد عزيز شكري الإرهاب الدولي، دار العلم للملايين، بيروت، ط، أولى1991، ص45، 46.

[2] شكري، الإرهاب الدولي، مرجع سابق، ص46

واتسعت كلمة دبلوما حتى شملت وثائق رسمية غير معدنية التي تمنح المزايا أو تحتـوي على اتفاقات مع جماعات أو قبائل أجنبية وقال شيشرون عن الدبلوماسية عام (106- 43 ق.م) استخدام كلمة دبلوما بمعنى التوصية الرسمية التي تعطي للأفراد الذين يأتون إلـى البلاد الرومانية وكانوا يحملونها معهم ليسمح لهم بالمرور وليكونوا موضع رعاية خاصة وانتقلت الدبلوماسية اليونانية إلى اللاتينية وإلى اللغات الأوروبية ثم الى اللغة العربية:

1- الدبلوماسية في اللاتينية: تعني الشهادة الرسمية أو الوثيقة التي تتضمن صفة المبعوث والمهمة الموفد بها، والتوصيات الصادرة بشأنه من الحاكم بقـصد تقديمـه وحـسن استقباله أو تسيير انتقاله بين الاقاليم المختلفة وكانت هذه الشهادات أو الوثائق عبـارة عن أوراق تمسكها قطع من الحديد (تسمى دبلوما).

أما المعنى الثاني: الذي استعمله الرومان لكلمة دبلوماسية والذي كان يفيـد عـن طبـاع المبعوث أو السفير وقصدت باللاتينية (بمعنى الرجل المنافق ذي الوجهين) .

2- الدبلوماسية بالمفهوم الفرنسي: - تعني مبعوث او مفوض؛ أي الشخص الذي يرسل في مهمة (أما كلمة سفير فتشتق من كليتيه ،أي تابع ، خادم وهو لقـب يمـنح فقـط لممثلي الملوك) .

3- إن الاسبان كانوا أول من استخدم كلمة سفارة أو سفير بعد نقلها عن التعبير الكنسي بمعنى الخادم او السفارة فاتسع مفهوم الدبلوماسية فيما بعد وأصبحت تستعمل في عدة معان منها (المهنة ، المفاوضات ، الدهاء و الكياسة ، السياسة الخارجية)

4- الدبلوماسية في اللغة العربية فكانت كلمة (كتاب) للتعبير عن الوثيقة التي يتبادلهـا أصحاب السلطة بينهم والتي تمنح حاملها مزايا الحماية والأمان و كلمة سفارة تستخدم عند العرب بمعنى الرسالة أي التوجه والانطلاق إلى القوم ، بغية التفـاوض وتـشتق كلمة (سفارة من سفر) أو (أسفر بين القوم إذا أصلح) و (كلمة سفير هو يمشي بين القوم في الصلح أو بين رجلين) .

تعريف الدبلوماسية:

1- تعريف معاوية بن أبي سفيان يقول:" لو أن بيني و بين الناس شعرة لما قطعتهـا إن أرخوها شددتها وإن شددتها أرخيتها.

2- تعريف شارل كالفو: الدبلوماسية هي علم العلاقات القائمة بين الدول كما تنـشأ عـن مصالحها المتبادلة وعن مبادئ القانون الدولي، و نصوص المعاهـدات و الاتفاقـات ومعرفة القواعد والتقاليد التي تنشأ وهي علم العلاقات أو فن المفاوضات أو فن القيادة.

3- يقول عدنان البكري: إن الدبلوماسية هي عملية سياسية تستخدمها الدولة فـي تنفيـذ سياستها الخارجية في تعاملها مع الدول والأشخاص الدوليين الآخرين وإدارة علاقاتها الرسمية بعضها مع بعض ضمن النظام الدولي.

4- تعريف الدبلوماسية الإسلامية:

عبارة عن اللين والمرونة، واتباع الطـرق الـسليمة لحـل المـشاكل والخلافـات والمنازعات الداخلية والخارجية، وتوخي العدالة الكاملة بين أفراد الأمة، كما يلزم العدالة بين أفراد الأمة وغيرها من الأمم، أو الأفراد الخارجين عن الإسلام، والتوفيق بين حقوق جميع الدول في مصالحها المتباينة دون أن يسعى التيار أو الدولة للحصول علـى مغـانم غير مشروعة تحرمها الشريعة الإسلامية على حساب الأفراد أو الدول [(1)] .

6.1 أسئلة الدراسة وفرضياتها :

تفترض هذه الدراسة أن هناك فهماً خاطئاً للأسلام في كيفية تعامله مـع الآخـرين ومن خلال هذه الفرضية تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الاسئلة الاتية:

أ. هل الأصل في العلاقات الخارجية في الاسلام هي السلم أم الحرب؟

ب. ما القواعد والأصول العامة التي تحكم العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم ؟

جـ. ما الضوابط العامة التي تحكم شرعية المعاهدات والمفاوضات المبرمه بين المسلمين وغيرهم ؟

---

(1) عثمان، قاسم محمد، الدبلوماسية وتاريخها ، 27 نيسان 2006 ، ص (5)

د. ما هي الجهود المبذولة لنشر الصور الصحيحة للإسلام ؟

7.1منهجية الدراسة :

أ. المنهج التاريخي: أعتمدت الدراسة على تتبع سير الاحداث منذ فجر الدولة الإسـلامية زمن الرسول عليه الصلاه والسلام وما تبعها من قيـام عـصور اسـلامية متعاقبـة والاحداث التي مرت بها حتى العصر الحديث.

ب. المنهج التحليلي: أعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي للوصول الى الفهـم العميـق والدقيق لروح الاسلام مرتكزاً في ذلك على آيات القرآن الكـريم وأحاديـث الـسنه المطهره وعلى كثير من أراء الفقهاء وعلماء الاسلام لفهم ومعرفة طبيعة تكون الدوله الإسلامية الاولى التي نشأت في المدينة المنورة وكيف تعاملت مع الاخر من مشركي العرب ومن اليهود والنصارى في الجزيرة العربية وصولاً الى تعاملها مـع دولتـي الفرس والروم وأصول وقواعد العلاقات الدولية الإسلامية عبر العصور وصولاً الـى العصر الحديث الذي بدأت تختلط فيه المفاهيم والمعرفة ولذا كان لا بد من البحث عن حقيقة تعامل الدوله الإسلامية مع الآخر.

8.1 الدراسات السابقة:

كثيره هي الدراسات التى بحثت في موضوع الاصول العامة التي تحكـم علاقـات المسلمين بغيرهم من الامم والشعوب ، لكن حاول الباحث في هذه الدراسة اجتهـاداً منـه التركيز على بعض من الدراسات الهمة لقناعته بأنها وضعت النقاط على الحروف في هذا البحث ومن هذه الدراسات:

أ. (الإسلام والعلاقات الدولية)- دراسة مقارنة أحمد عبد المجيد مبارك .

وبينت هذه الدراسة في بابها الاول العلاقات الدولية ودعائمها في الإسـلام مـن كرامـة وحرية وشورى وعدالة ومساواه إنسانية.

ب.(العلاقات الدولية في القرآن الكريم والسُنه) محمد علي الحسن 1400 هـ -1980 م منشورات مكتبة النهضة الإسلامية عام 1980 في عمان .

حيث تطرق الباحث إلى إثبات أن السلم هو الاصل في العلاقات الدولية في الاسلام والى مكانة السلام في الإسلام والمبادئ التي يقوم عليها السلم من القرآن .

جـ. (العلاقات الدولية في الاسلام) الشيخ محمد أبو زهرة حيث أوضح الكاتب بان أصل العلاقة مع الآخر هي السلم وميز بين دار الحرب ودار السلّم ودار العهد وتطرق الى شرح الاصول العامة التي تحكم العلاقات الإسلامية الدولية مع الاخرين.

د. (القانون والعلاقات الدولية في الإسلام) لصبحي محمصاني عن منشورات - دار العلم للملايين - بيروت عام 1982 حيث تطرق الكاتب الى احكام السلم _ اركان السلم _ شريعة الإسلام وشريعة السلام _ السلام والمساواه الانسانية _ السلم والتسامح والاخوة الشاملة وواجب المسالمه ، كما عرف المستأمنين من أهل الذمة.

هـ. (العلاقات الدولية في الاسلام ومقارنة بالقانون الدولي الحديث) وهبه الزحيلي بيروت ، الطبعة الاولى ، 1401 ، 1981 م والذي تطرقَ في بابه الثاني الى تقسيم العالم الى ثلاث دور دار الاسلام ، دار الحرب ، دار العهد .

وأما الجديد التي ستتناوله هذه الدراسة فهو محاولة الباحث الاجابة عما أستجد على الساحة الدولية من فهم مغلوط وتشويه لصورة الاسلام في تعامله مع الاخر والهجمه غير المبرره على المسلمين باتهام الإسلام بالإرهاب والعنف وذلك من خلال إيضاح الصوره الحقيقية للضوابط والأصول العامة للإسلام التي تحكم علاقاته مع الآخرين وقت السلم وتوظيف ذلك في أرض الواقع .

الفصل الثانـي

المناخ السائد في جزيرة العرب وما حولها قبل الاسلام

إختلفت حضارة العرب في كُل قطر من أقطارهم باختلاف البيئة التي عاشوا فيها، والشعوب التي اختلطوا بها ، فسكان قلب الجزيرة العربية يختلفون عن سكان الجنوب من وجوه، فتغلب على الأولين البداوة وعلى الآخرين الحضارة وهؤلاء يختلفون عن أخوانهم سكان الهلال الخصيب المتحضرين المتأثرين بعوامل طبيعية وسياسيه، على أن العـرب على العموم من أشرف أجناس العالم، وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى:" **كُنتُم خَيرَ أُمـةٍ أُخْرِجتْ لِلناسِ تأمرون بِالْمعروفِ وتَنْهون عن الْمنكرً** [1] ورأي الغربيين المعتدل فـيهم هو ماجاء في دائرة المعارف البريطانيه بقولها: إن العرب من أشـرف أجنـاس العـالم فالعربي تام التركيب، طبيعي سليم الأعضاء الحاسه، فائق الذكاء مـع اسـتعداد مناسـب لطبيعة عملهً [2] ، وقد روى التاريخ عن حروب عديده نشبت بين قبائل العرب كحـرب البسوس بين بكر وتغلب وحرب الفجار وحروب غيرها نشبت بين قيس ويمـن وبـين العدنانيين والقحطانيين، وأخلاق العربي البدوي نشأت من محيطـه الجغرافـي وحياتـه الإجتماعية التي أساسها القوه والشجاعة فخطر الغزو وقسوة الطبيعه الـدائمان جعـلاه يصبر على كثير من الآلآم وحرية العربي المطلقه في الباديه ولّـدتْ فيـه عـزة الـنفس والأنفه، أما المدن الحجازية كمكّة المكرمة والمدينة المنورة والطائف التي تسكنها قبائـل وعائلات حضريه أثرت فيهم الطبائع البدويه إلى حد كبير فكانوا اقرب الى البداوه منهـا الى الحضارة في نظام حكمها وفي أخلاق أهلها وعاداتهم، على أن مكّة قد انفـردت دون سائر مدن الجزيره العربيه وبلاد الشام والعراق بوجود البيت الحرام الذي يقدسه العرب جميعاً ويحجون إليه في كل عام، وحكومتها القرشيه الشوريه التي اقتسمت مناصب الدوله فوزعتها على بطونها، إستطاعت أن تحتفظ بزعامة العرب الروحيـه وتوطـد صـلاتها التجارية التي كانت تقوم عليها حياتها بعقدها المحالفات مـع البيـزنطيين والغـساسنه

---

[1] سورة آل عمران آية (110)

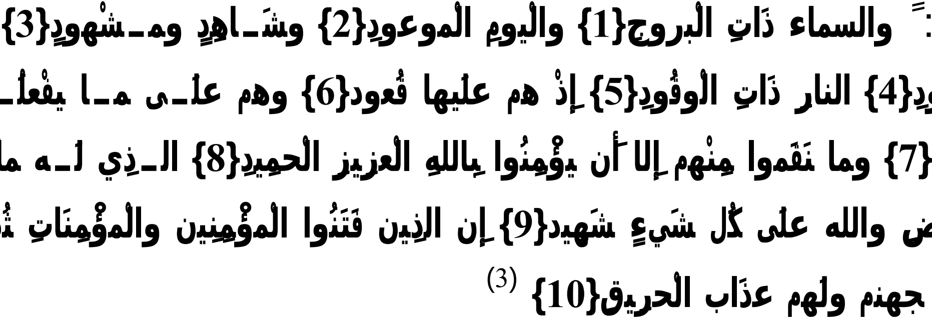
[2] الدره، محمود، تاريخ غزوات العرب ص (54)

والأحباش والفرس ومع انها كانت بعيده عن مناطق النفوذ الاجنبي ولها تلـك الميـزات الخاصه لم تستطع أن تُخضع لسلطانها سائر بلاد الحجاز التي ظلـت محتفظـه بكيانهـا المستقل [1]

1.2 أديان العرب :

كانت في بلاد العرب ثلاثه أديان رئيسيه :- (الوثنيـه والنـصرانيه واليهوديـه) إذا استثنينا استقرار النصرانيه في الهلال الخصيب من أعمال اليمن واليهود في بعض أنحاء الجزيرة، وفي يثرب وشمالها؛ فان الوثنية قد انتشرت بين القبائل العربيه في سائر انحاء الجزيرة.واستقرت بالعراق لانهم وجدوها بعد اختلاطهم بالفرس والرومان معاً، إنها خير من وثنية الروم ومجوسية الفرس .

أما اليهوديه فقد دخلت اليمن على أثر اعتنـاق أحـد ملـوك الدولـة الحميريـة (ذي نؤاس) هذه الديانه ، فنشرها بين كثير من سكان مملكته واضطهد نصارى نجران ليحولهم عن ديانتهم فحرق كنائسهم وجمع كُل معتنقي النصرانية في إخدود وعمل علـى تصفيتهم بإحراق أجسادهم ودفنهم جملة واحدة فيه وكانت هـذه أول محرقـة جماعيـة يتعرض لها معتنقو النصرانية [2] ، وقد سجل القرآن الكريم هذه المحرقة المروعِه ، قال تعالى:



والسماء ذَاتِ الْبروج{1} والْيومِ الْموعودِ{2} وشَـاهِدٍ ومـشْهودٍ{3} قُتِـلَ أَصـحاب الْأُخْدودِ{4} النارِ ذَاتِ الْوقُودِ{5} إِذْ هم علَيها قُعود{6} وهم علَـى مـا يفْعلُـون بِـالْمؤْمِنِين شُهود{7} وما نَقَموا مِنْهم إِلَّا أَن يؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعزِيزِ الْحمِيدِ{8} الَّـذِي لَـه ملْـك الـسماواتِ والْأَرضِ واللَّه علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيد{9} إِن الَّذِين فَتَنُوا الْمؤْمِنِين والْمؤْمِنَاتِ ثُم لَم يتُوبوا فَلَهم عذَاب جهنَّم ولَهم عذَاب الْحرِيقِ{10} [3]

---

[1] الدره : مرجع سابق ص (57)

[2] ابو طالب، عبد الهادي ، عالمية الاسلام ونداؤه للسلام ودعوته للتعايش والاعتراف بالاخر ، مقال في مجلة الاسلام اليوم دوريه تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والثقافة العدد (19) ، 1423 هجري 2002 ميلادي . ص (40) .

(3) سورة البروج ايات من (1 – 10)

وعلى أثر هذا المحرقة تحركت الإمبراطورية الرومانية وطلبت من حليفتها إمبراطوريـة الحبشة الإنتقام من يهود اليمن والرد على صنيعهم بمثله،وهكذا دخلَ الشرق الأوسط فـي حرب عالمية دينية : حرب الإمبراطوريتين العظيمتين الفرس والروم ، وبهـذه الحـرب دخل العالم دوامة عدم الأمن وكانت المواجهة المباشرة بين الامبراطوريتين على تـراب الاردن في منطقة البحر الميت [1] التابع للإمبراطورية الرومانية آنـذاك وقـت ظهـور الإسلام حيث انتصرت فارس على الروم في الجولة الأولى ثم أعقبها انتصار الروم فـي بضع سنين كما تنبأ القرآن الكريم قال تعالى :" **الم{1} غُلِبَتِ الرومُ{2} فِي أَدنَى الْأَرض وهم من بعدِ غَلَبِهِم سيغْلِبون{3} فِي بِضعِ سِنِين لِلهِ الْأَمر مِن قَبلُ ومِن بعد ويومئِذٍ يفْرح الْمؤْمِنُون{4}** [2]

وعلى اثر هجرة اليهود إلى يثـرب واسـتقرارهم فيهـا قابـل العـرب اليهـود المضطهدين بالترحاب وتهود كثيرون منهم ولاسيما عرب خيبر ويثرب ؛ لأنهـم رأوهـم يعظمون إله إبراهيم وإبنه إسماعيل عليهما السلام . وكانت الوثنيه دين السواد الأعظم من القبائل العربيه ، فقد عبدوا الأصنام والأوثان والأنصاب وأشهر أصنامهم " **هبـل**" وهـو أعظم أصنام قريش وقد وضع في وسط مكة ، ومنها اللات صنم ثقيف والعُـزى وصـنم غطفان ومنها مناة وسواع وغيرهما، ولعل أبلغ وصف لحياة العرب قبل الإسلام وصـف سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي ا عنه لنجاشي الحبشة عن هذا الدين الذي فارقوا فيـه قومهم ": كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكُل الميته ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوارُ يأكل القوي منا الضعيف فكُنا على ذلك حتى بعث ا الينـا رسـولاً منـا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى ا لنوحده ونعبده ونخلع ما كنـا نعبـد نحنُ وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان بصدق الحـديث ، وأداء الأمانـة، وصـلة الرحم، وحسن الجوار ،والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الـزور،

---

[1] النجار، زغلول، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم / الجزء الأول شرح أية (في أدني الأرض) ص (35)

[2] سورة الروم الآيات (1 – 4)

وأكل مال اليتيم ،وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد ا وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنـا بالصلاة والزكاة والصيام ، فعبدنا ا وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حـرم علينـا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا ونفونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان فـي عبادة ا وان نستحل ما كنا نستحلّ من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وشَقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا فخرجنا إلى بلدك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك ايها الملك .[1]

2.2 بدء الدعوة النبوية:

منذ أن انبثق فجر الدعوة الإسلامية وخرج المسلمون من بيت الأرقم بن أبي الأرقم في مكة المكرمة وجهروا بالدعوة المحمدية وأعلنوا روح التوحيد والشهادتين في الإسـلام على الملأ من قريش ،ظلّتْ هذه الدعوة الوليدة تستقطب الضعفاء والعبيد والذين لا شـأن لهم ولا قبائل تحميهم في مجتمع مكّة الإرستقراطي ، وفي أندية زعماء قريش أصـحاب المال والجاه والنفوذ والثراء الفاحش، ومنذ أن كانت الدعوة سرية وأتباع الـدين الجديـد يُعدون على الأصابع كان الرسول صلى ا عليه وسلم يدعو أهله وأبناء عمومتـه إلـى دعوة التوحيد الخالصة فيقول:" **قولوا لا اله إلا ا تعصموا منـي دمـاءكم** "[2] وهكـذا طرقت أندية قريش التي تعبد الأصنام المفاهيم الجديدة التي رسخها القرآن الكريم الـذي بدأت آياته الكريمة تتنزل على قلب الرسول الكريم صلّى ا عليه وسلّم منذ الكلمة الأولى والتي كانت" **إقرأ** وهي دعوة حضارية ثقافية تدعو إلى الوعي والتفكير في عظمة ا وفي الأفلاك والكون والنجوم وفي خلق الإنسان باسم ا عز وجل الذي خلق ، وتكون الدعوة الأولى مع النفر القليل المستضعفين بالتي هي أحسن وبدأت الأفكار الجديدة والمصطلحات الغريبة مثل التوحيد والشهادتين وآيات القرآن الكريم تدخل إلى القلـوب الظامئـة بـدون

---

(1) ابن هشام: السيرة النبوية المجلد الاول ص (130) واخرجه الامام احمد في مسند اهل البيت .

(2) المندري، الحافظ زكي الدين عبد العظيم، مسلم مختصر صحيح مسلم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني طباعة المكتبة الاسلامية، عمان، ودار بن عفان، الخبر بالسعودية – ط1 1411هـ باب: أمرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا الا له لا ا ، كتاب الايمان ص (8)

استئذان ، القلوب التي أضاءها نور التوحيد وكانت دار الأرقم هي المدرسة الأولى لطبقة الصحابة الكرام الذين أحدثوا كل هذا التغيير في البنية الاجتماعية لمجتمع مكّـة الطبقـي الذي كان يعبد الأصنام المنتشرة في داخل وحول الكعبة بدعوى أنَها تقربهم الى ا زلفى.

إذا بدأت الدعوة تدعو إلى السلم لأنه لم يؤذن بالقتـال إلا بعـد الهجـرة النبويـة الشريفة، بعد ان أصبح للمسلمين دولة في المدينة ولانهم كـانوا ضـعفاء لا يـستطيعون مواجهة قريش المستعدة بالمال والسلاح والرجال وحتى الخطاب القرآني الذي نزل فـي مكة وسمي بالمكي كان يركّزُعلى بناء العقيدة وعلى زرع التوحيد في عقول وقلوب أهـل الجاهلية من أبناء قريش، وأبناء ثقيف ومخزوم في الطائف التي كانت المدينة الثانية فـي الأهمية بعد مكة المكرمة وركّز أيضاً على السور القصار والوعيد والتهديد والدعوة إلـى العبودية الخالصة تعالى، ومن غير المعقول أن ينزل القرآن المكّي الذي يركـز علـى التوحيد ليدعو في نفس الوقت الى القتال ، إذن هنالك ترتيباً إلهياً منطقياً في تدرج الدعوة الإسلامية من العبودية الخالصة ثم تعليم المجتمع القرشي الصلاة التي فرضت في ليلة الإسراء والمعراج ، وكان الرسول صلى ا عليه وسلم ما يزال في مكـة وقـد ذهـب واختارته العناية الإلهية سفيراً لأهل الأرض والنفر القليل من المؤمنين إلـى مـا فـوق السماوات السبع الى حيث لم يصل أي مخلوق بشري قبله ولتفـرض ليلتهـا الـصلوات الخمس ربطاً للمخلوق بالخالق وتدرجاً طبيعياً لمفهوم التوحيد المنزه عن الشركاء والأوثان والآلهة المتعددة التي كانت تعبد عند البيت العتيق الذي بناه إبراهيم وإسـماعيل عليهمـا السلام .

وحتّى اسم الدعوة" الإسلام" إشتقَ من السلم والأمن والاطمئنان ، وجاء يدعو إلـى الحوار الهادئ والإقناع الرائع الذي تؤيده السماء بما يتنزل من القرآن الكريم تثبيتاً لفـؤاد الرسول الكريم ، وبرداً وسلاماً ينزلان على قلوب الصحابة الكرام الذين كانت قريش توقع فيهم الأذى وتعذب الضعفاء والمساكين والعبيد منهم .

هذا السلام والنور الإلهي الذي عم إرجاء الجزيرة العربية نزل بالحجـة المقنعـة والدليل الباهر على الجانب الإنساني والحضاري الذي شكلّه القـرآن الكـريم وأحاديـث الرسول الكريم وأحدث كل هذه التغيير في البنية السسيولوجيه المعرفية في مجتمـع لـم

يسمع من قبل بمثل هذه الدعوة الجديدة التي أعطت للإنسان قيمته الآدمية وحفظت كرامته وخاطبته بلسان عربي مبين يفهمه كُلُّ غني وفقير وأمير ومسكين وسيد وعبد في عاصمة الجزيرة التي اظلم عليها الشرك وبدأت تتهيأ لدعوة التغيير وقلب المفاهيم التي رسـختها الطبقة الثرية التي بدأت تشعر بخطر هذه الأفكار الجديدة على مصالحها الإقتصادية وعلى مواسمها التجارية ووفود الحجيج التي كانت تأتي لتطوف بالبيت العتيق .

والإسلام وهو يُقر مبدأ السلم في الحياة وهو الأصل في العلاقة مـع الآخـر ، لا يترك قضية الحرب مطلوقه ، بل هي مقيدة ضمن قواعد وأحكام جاء بها الإسلام ونزلت بها آيات القرآن الكريم . ولهذا كانت الأعوام الثلاثة عشر التي سبقت الهجرة هي الترسيخ الحقيقي لمبدأ صياغة الإنسان العربي والمسلم صياغة جديدة ضمن المفهوم والتعاليم والقيم القرآنية التي أحدثت كُل هذا التغيير في البنية الروحية والاجتماعية لمجتمع عاش مئـات الأعوام في ظل أفكار جاهلية كان الغزو والحرب بين القبائل هو شعارها باستثناء الأشهُر الأربعة الحرم والتي يندرج فيها موسم الحج حيث يعُم السلام وتوضع الرماح والـسيوف جانبا أو ترجبُ أي يفك الرأس الحربي الحديدي للرمح، ومنه اشتق اسم الـشهر العربـي ً رجب ً وهو من الأشهر الحرم [1]، هذه الحقيقة الناصعة التي يدركها كُل من له إلمام بسيط بتاريخ وزمن تلك الفترة من عمر الدعوة التي بدأت ضعيفة ثم أخذت تقوى شيئاً فشيئاً، في البداية جاء الإسلام الذي اشتق اسمه من ً السلام ً وهو أحد أسماء ا الحسنى ومن ً الـسلم ً الذي كانت العرب تحتاجه لتمارس طقوس الحج وهي آمنة مطمئنة وليكون لديها متـسعاً كبيراً من الوقت لفك الاشتباكات وإنهاء العدوان ودفع الديات لأصحابها من أهـل القتلـى وقبائل وعشائر الموتى الذي سقطوا في القتال الدائر من أجل أن تـستمر الحيـاة وتبقـى الأعراف والتقاليد كما هي قبل أن يشرق نورُ النبوة ويتجه المجتمع العربي المكـي الأول إلى ضرورة التغيير، وثمة نقطة يجب أن لا نتجاوزها ونحن نتحدث عن أصل العلاقة في الإسلام والترتيب العقلي المنطقي في أولوية السلم، وهي أن القبائل العربية فقدت الكثيـر من أبنائها وكانت لديها رغبة حقيقية في التوصـل إلـى وضـع حـد للحـروب التـي

(1) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ، ص (445) .

أهلكت الحرث والنسل وكانت تقع لأبسط الأسباب مثل سباق الرهان في حـرب (داحـس والغبراء)؛ بين قبيلتي عبس وذبيان [1] العربيتين ، ولكن كان المانع هو عدم وجود الحـل الشافي لان تضع الحرب أوزارها أي بمعنى أن العرب أصحاب العقول والفهـم العميـق وقيم الكرامة والمروءة والشجاعة كان لديهم الاستعداد النفسي لو جاء المحفـز الكبيـر ، وهذا الدور الذي قام به الإسلام في بواكير الدعوة ودعمه القرآن الكريم بقوله تعالى **ادع إلى سبيل ربك بالْحِكْمةِ والْموعِظَةِ الحسنَةِ.** [2]

نعم لقد كانوا بحاجة الى أطروحة جديدة تختلف عن عاداتهم وتقاليدهم تعيد الأمـن والسلام الى ربوع الجزيرة العربية وتصهر هذا المجتمع المتصارع في بوتقةٍ واحدة هـي أخوة الإسلام التي تجلّت أبرز صورها في مجتمع المدينة المنورة بعـد الهجـرة النبويـة المشرفة وحتى قضية الحرب التي هي الوجه الآخر للدعوة السلمية فلم يشرع للمـسلمين القتال إلا في السنة التاسعة للهجرة أي بعد أن اشتد ساعد الدولة الإسلامية الأولـى فـي مجتمع المدينة المنورة ومن هذا المنطلق نستطيع ان نكون صورة واضـحة عـن هـذا المجتمع الذي كان بحاجة ضرورية إلى دعوة إبراهيم الموسعة وهيً الإسلامً وإلى رجل من بين أنفسهم يفهمُ روحهم ولهجاتهم وجمع له جوامع الكلِم حتى يستطيع أن يحدثَ كُـل قبيلة عربية بلسانها ويقيم الحجة عليها ، وحين كان الرسول الكريم صلّى ا عليه وسـلّم يعرض نفسه ودعوته على قبائل العرب في موسم الحج كل عام كان يقول لهم: **قولـوا لا إله الا ا تعصموا مني دماؤكم**[3] وكان الكثير منهم يأتي إلى مكّـة المكرمـة يـدفعهم الفضول لرؤية هذه الرجل القرشي الذي قلب أندية قريش رأسـاً علـى عقـب بدعوتـه للوحدانية والعبودية الخالصة التي لم تطرق أسماعهم من قبل ، دعوة جاءت من رجل يعلمون أصله وفصله ورفعة نسبه وعائلته ؛ لأن العرب كانت تهتم بأنساب الرجال وعند

---

(1) معطي، علي، التاريخ السياسي والعسكري للدولة المدينة في عهد الرسول صلى ا عليه وسلم الاستراتيجية الرسول السياسية والعسكرية الطبعة الاول 1419 -1998 بيروت لبنان ص (249-250)

(2) سورة النمل أية (125)

(3) مسلم، مرجع سابق، كتاب الايمان ص(8)

عودتهم بعد انقضاء مواسم الحج إلى منازلهم وقبائلهم يتحدثون عن النبي الكـريم ومـا وقع بينه وبين قريش من أحداث ، ثم الرائع والبديع في الأمر هو شخـصية الرسـول الكريم المتمثلة بالدماثة والخلق والفصاحة الرفيعة عالية الشأن والأسلوب الراقـي فـي نشر الدعوة التي حاربها كفار قريش وصناديد العرب ، الذين أدركوا أن نهجاً جديـداً في الحياة بدأ يتشكّل تشكلاً واضحاً في مكة المكرمة وبدون شك سـتتأثر مجتمعـاتهم القريبة والبعيدة وحين عودتهم بعد أنقضاء الحج نسبياً عن مكة المكرمة ؛ لأنها كانـت تمثلُ لهم الجانب الوجداني والروحي وعاصمة التجارة . أما بالنسبة لقـضية الحـرب حتى في دار الإسلام والسلام والأمان وهي المدينة المنورة فإن الذي أشعل أوارها هـم اليهود وقبائلهم المعروفة بعد أن غدروا بالمسلمين وتحالفوا مع الأحزاب في الغزوة التي حملت إسم غزوة الأحزاب، وهم بدأوا الرسول صلى ا عليه وسلم بالاستفزاز ودلّـوا على عورات المسلمين، وكشفوا عورة امرأة أنصارية وقتلوا الصحابي الذي دافع عنها وقتل اليهودي والذي كان من بني قينقاع ، وعلى وجه السرعة جـاء القـرآن الكـريم ليفضح نواياهم ويكشف تآمرهم على الإسلام والمسلمين فنزل في حقهم:ً**إن شَر الدواب عِند اللّهِ الَذِين كفَروا فَهم لا يؤْمِنُونً** [1] و[2] وأي متغيرات تطرأ على مكة لن يكونوا بمعزل عنها، ومثال على ذلك حين أسلم سيدنا أبو ذر الغفاري رضي ا عنه وجهـر بالدعوة فقام بضربه رجال قريش ضرباً مبرحاً وهو يجهرُ بالشهادتين والتوحيد في ظل الكعبة، فانتبه العقلاء منهم إلى أن قبليةً غفارً على طريق تجارتهم إلى اليمن وسـوف تهاجمهم وتقتل تجارهم وتنهب قوافلهم وبضائعهم إذا أُصيب هذا الرجل الغفاري بـأي مكروه أو أذى ، ونفهم من هذه القصة أنهم كانوا يدركون الأمـور جيـداً ويحـسبون للعواقب حساباً خاصة وإنهم تجار قوافل إلى الشام في الصيف وإلى اليمن في الـشتاء، ويخافون خوفاً شديداً من مؤثرات دين محمد الجديد والدعوة الإسلامية على مـصالحهم الاقتصادية الخاصة، لهذا حاربوا الإسلام حربا لا هوادة فيها لأنه جاء تهديداً لمصالحهم الاقتصادية وعقيدتهم الراسخة منذ مئات السنين ولأن الرسول الكريم صـلى ا عليـه وسلم لم يؤمر بالقتال وبينه وبين الإذن أمداً طويلاً، فقد كان داعية للسماء بالقول اللّـين وبالحسنى والمعروف والكلمة الطيبة وبالحجة والإقناع والكلام العقلي المنطقـي الـذي

---

(1) سورة الأنفال ايه (55)

(2) هيكل، محمد حسنين، حياه محمد ص(77)

يفهمه العرب من الحضر وأهل البادية لأنه نفس كلامهم وأساوبهم في التخاطب والحوار والتعامل الاجتماعي. ولإن طبقة المسحوقين من العبيد والجواري والـصُناع والعمـال رأوا في منهج الدعوة الجديدة فرصتهم السانحة للحرية والخلاص من مجتمـع الـسادة الذين يستأثرون بكل شي ويتنعمون بالجاه والمال على حساب شقائهم وكدهم وتعـبهم، من هنا بدأو يتقاطرون زرافات ووحدانا ويدخلون في الإسلام الذي يساوي بين الحـر والعبد وبين الأبيض والأسود وبين العربي والأعجمي ولا فضل في المساواة الاّ التقوى وبدا هذا الرافد الجديد للإسلام يعطي بعداً جديداً لمفهوم الدعوة التي جاءت للناس كافة، وفي هذا المقام وحول هذه النقطة بالذات نستشهد برأي وهبه الزُحيلي حيث يقول :

(إن الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم والحرب أمر طارئ علـى البشرية والدعوة إلى الإسلام تكون بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان)[1]، هنا فـي هذا الرأي يؤكد وهبي الزُحيلي حقيقة ثابتة أكدتها ودعمتها آيات العهـد المكـي التـي جاءت لتحاور مشركي العرب ولتقنعهم بالمنطق والحجة والبرهان أن أمر الجاهلية هو من نفثات الشيطان، وأن الحقً الأبلج الأغر هو الذي جاء به الذكر الكريم خدمه للبشر وللجن الذين خلقهم ا بالأصل للعبادة، ومن دون أدنى ريب فإن هذه الحقيقة التـي لا يمكن تجاهلها على أن الدعوة الإسلامية جاءت لحوار الناس بالإقناع وإن لم يرتـدعوا يصبح أمر الحرب لا مفر منه حفاظا على تثبيت الواقع الجديد المؤيد من السماء والذي ينزلُ به القرآن الكريم منجماً وحسب الحوادث التي وقعت منذ بداية التنزيل وحتى الآية الأخيرة في القرآن الكريم .

وفي معرض دفاعه عن هذا الرأي يستشهد بنصوص من القرآن الكريم يثبتُ من خلالها على أن السلم هو أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم حتًى يكون هنالك اعتداء فتكون الحرب ضرورة دفاعاً عن النفس وحق البقاء .قال تعالىً **وإن جنَحـوا لِلـسلْمِ فَاجنَح لَهاً** [2] وأقر القرآن مبدأ السلم العالمي في آية : **يا أَيها الَّذِين آمنُوا ادخُلُوا فِي السلْمِ كَآفةً ولاَ تَتبِعوا خُطُواتِ الشيطَانِ إِنه لَكُم عـدو مبِـين** [3]، والـدليل العقلـي

(1) الزحيلي، وهبة مصطفى، العلاقات الدولية في الاسلام، مقارنه بالقانون الدولي الحديث، ط1 مؤسسة الرسالة ص (102) بيروت

(1) سورة الانفال آية(61)

(2) سورة البقرة أية (208)

والمنطقي على ما طرحه الزُحيلي وغيره من الذين سبقوه في هذا الرأي كإمـام أهـل الشام (الأوزاعي) وإمام أهل البصرة (سفيان الثوري):

أولا : أن الرسول محمد صلى ا عليه وسلم قد ظلّ يدعو إلى الإسلام سراً لمدة ثلاثة عشر عاماً قبل أن يؤذَن له بالجهر بالدعوة وأيضاً استمرت الدعوة السلمية في مجتمـع المدينة المنورة بعد تأسيس الدولة الإسلامية الأولى، ولم يضطر النبي والمسلمون إلـى القتال ألاّ للحماية والدفاع عن وجود الدولة التي كانت بحاجة ماسـه وكبيـرة لإثبـات وجودها، وبعث رسائل نفسيه لقبائل العرب التي ما زالت على الشرك أن هنالك قـوة جديدة أخذت زمام المبادرة وفرضت واقعاً جديداً تجاور فيه السيف مع لغة الحوار .

ثانيـاً : إن قبائل العرب المشركة كانت تشكّل مع قريش حلفاً استراتجياً ضد كل مـن تسولُ له نفسه تعريض مصالحهم الاقتصادية وموسم الحج الأكبر الى الخطر، فكيـف تكون النظرة إلى هذه الدعوة الجديدة التي قلبت المفهوم العام والـسائد المـألوف مـن العادات والتقاليد والأعراف التي كانت عند العرب أهل الجاهلية ترتقـي الـى مرتبـة القداسة ؟ ستكون بأدنى شك نظرة سلبية جداً ومرفوضة .

ثالثاً : على صعيد البنية اللغوية جاء الخطاب القرآني وهو العنـوان الأبـرز للـدعوة الإسلامية مغايراً ومختلفاً لما ألفه العرب من الشعر والنثر والخطابة وسـجع الكّهـان وفرض نفسه على أنَّه الجنس الثالث أي بمعنى ليس من جنس النثر والشعر بـل هـو قرآن، استخدم نفس لغتهم وحروفهم العربية، بل تحداهم وهم أرباب الفصاحة والبلاغة والإعجاز في القول إلى أن يأتوا بسورة مثله أو بعشر آيات على سبيل المثـال. قـال تعالى:" **وإِن كُنتُم فِي ريبٍ مما نَزلْنَا على عبدِنَا فَأْتُواْ بِـسورةٍ مـن مثْلِـهِ وادعـواْ شُهداءكُم من دون اللّهِ إِن كُنْتُم صادِقِين**"[1]

رابعاً : جاء لتثوير المعنى وتفجير البنى (السسيولوجيه) المعرفية.

أي أن القرآن الكريم جاء لإلغاء السائد في البنيه اللغوية والحسية المعروفه لكلام العرب من شعر ونثر وخطابة وبلاغة وفصاحة وتثوير المعنى أي تحميل المعنى الكبير في الجمل والكلمات القصيرة والقليلة، وحتى في العادات الاجتماعية والمناسبات ومـا يرافقها ويتخللها من طعام وشراب وزواج وطقوس عند الكعبة وذكر القرآن الكريم احد تلك الطقوس وهي كما أسماه (المكاء والتصدية) أي ان عرب الجاهلية كـانوا وهـم

---

(1) سورة البقره ايه (23)

يطوفون حول الكعبة يصفقون بأيديهم ويصفرون بألسنتهم، ولهذا جاء هذا الخطاب الذي اعتمد على الحجة الدامغة والمنطق والبرهان ليعري أوهام الجاهلية وينقـضها عـروةً عروة ليحل البديل وهو القرآن الكريم والسنة النبوية والتعاليم الإسلامية مكان العـرف الجاهلي ، ويقول السيد قاسم الجلالي الحسيني عن التاريخ الاسلامي في عهده المكّـي قبل الفتح :

"وبعد دور الرسول صلى ا عليه وسلم والمسلمين في مكة المكرمة طوال ثلاثة عشر عاماً شاهد صدق عملي على الحركة السلمية التي نهض بها الإسلام الحنيـف فبالرغم من أن الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم تعرض الى إنـواع الأذى كـسائر أنبياء ا الاَ أن معاناته كانت الأشد حيث تحمل هو وأصحابه من الاذى ما يفوق طاقة البشر حتى قال": **ما أوذي نبي مثل ما أوذيت**"[1] وبالرغم من كُلّ ذلك كـان يكـرر قوله صلى ا عليه وسلم : "**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**" [2] فلـم يـرد فـي تاريخ الرسول صلى ا عليه وسلم طوال فترة مكوثه في مكة المكرمة إنه رد حجـراً رمي به، بل كان يجابه تلك الأفعال والتصرفات من قريش بالحسنى .

وكذلك المسلمون الأوائل حيث رمتهم العرب عن قوسٍ واحدة ومـع ذلـك لـم يصدر منهم أي عمل عنيف، رغم استعدادهم للتضحيات والفداء فقد طلبوا مـن النبـي الرحمه صلى ا عليه وسلم أن يأذن لهم بقتال أعدائهم فلم يـأذن لهـم، آمـراً إيـاهم بمقاومة كل أنواع الظلم بإيمان وصبر ، فكانوا كذلك على نحو لا مثيل له ولم يمـدوا أيديهم الى السلاح فضلاً عن الغدر والاغتيال بل ولا إلى ما يهدد المـشركين، حتـى استشهد عدد من الصحابه الكرام تحت وطاة التعذيب الجسدي، وليس ذلـك الإ دليـل واضح على أن الإسلام رفع شعار السلم على الصعيدين النظري والتطبيقي، حيث لـم

---

(2) الاربلي، كشف الغمه عن الامه ، ج3 ، ص(247)

(3) النووي، رياض الصالحين ، باب الصبر –عن ابي عبد الرحمن بن عبد ا بن مسعود رضيى ا عنه

يقتصر على إعطاء مبادئ ذلك فحسب، بل ربى أتباعه على الطريقـه العمليـة التـي توصلهم إلى تلك المبادئ [1].

وأما حرب الاسلام فإنها لم تخرج عن نطاق السلم في أهدافها وتطلعاتها، بل هي تجسيد حي وصورة واضحة لهذه الفكرة، إذ انها لم تخرج – بأسـرها- عـن إحـدى الحالتين:

الأولى: الحرب الوقائية، الرامية إلى إضعاف حركة العنف كي لا تتحول إلى عنـصر مدمر للحياة والعقيدة كما حدث مع الروم والفرس، عندما أصـبحوا يـشكّلون خطـراً مباشراً على الإسلام منتهزين الفرصة للإنقضاض عليه وقد شرعوا بذلك فعلاً، حيـث أرسل كسرى من يأتيه برأس الرسول صلى ا عليه وسلم، وكذلك فعل هِرقـل ملـك الروم حين قتل بعض ولاته ممن أسلم في بلاد الشام، ومن أبرزهم (فروة بن عمـرو الجذامي) أمير معان وعفرا والطفيله الذي أسلم وأهدى للرسول الكريم بغلة بيضاء وقد صلبه الروم على ماء (عفرا) في الطفيلة .[2]

ثانياً : الحرب الدفاعية الرامية إلى الـدفاع عـن الـنفس والعقيـدة أوعـن العهـود والالتزامات، ولم نجد في كل حروب النبي صلى ا عليه وسلم معركة إستهدفت غير ذلك:" ولقد أشاع أعداء الحق أن الإسلام قام بحد السيف، إلا أن هذه الافتـراءات لـم يعدلها أي قيمة عندما نقرا التاريخ بنظرة فاحصه، بل أن المنصفين من مفكري الغرب أنفسهم رفضوا هذه الادعاءات، فهذا الاستاذ (ديفونويت) صاحب كتاب" الاعتذار الى محمد والإسلام" يقول" إنه من الحماقة ان يظن أن الإسلام قام بحد الـسيف" لأن هـذا الدين يحرم سفك الدماء ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكـر ويجـب أن نعتـرف أن العلوم التي أنعشت أوروبا منذ القرن العاشر للميلاد مقتبسةٌ من القرآن وبعبارة أخرى: أن المسلمين هم أساتذة أوروبا وهنا نلاحظ كيف حكم الأستاذ (ديفونويـت) ضـميره

---

(1) الحسيني، قاسم الجلالي، حدود العنف ومشروعيته في الاسلام، إمام مركز الامام الخوئي الاسلامي مجلة النور (للوسطية والحوار) العدد 177 شوال 1427 تشرين ثاني 2006 ص (65)

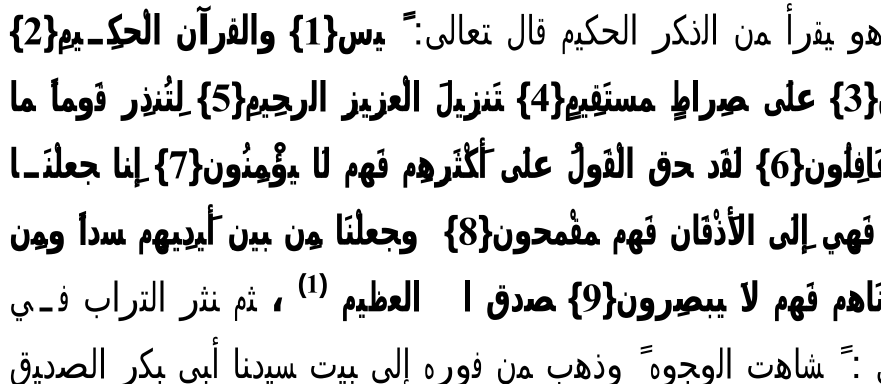
(2) القوابعه، سليمان، فضاءات عربية ضانا وقت السحر ط1 ص (25)

وبين الواقع كما هو حيث زيف دعوى قيام الإسلام بالسيف، تلك التهمه التـي طالمـا تشبث بها أعداء الحق [1] .

3.2 الدولة الإسلامية الأولى في المدينة

1.3.2 المهاجر العظيم محمد صلى ا عليه وسلم

ضاقت الأرض بما رحبت على المسلمين في مكة القرشية الوثنية، التي نكّلـتْ بالمؤمنين المستضعفين ، وقتلت منهم من قتلت وهاجر منهم من هاجر إلى يثرب فـاراً بدينه وإسلامه، وعلى رأسهم سيدنا مصعب بن عمير رضي ا عنه، الذي كان الداعية الثاني بعد رسول ا صلى ا عليه وسلم، في تعليم أهل المدينة أمور دينهم وشـعائر الإسلام وساهم في تحولها إلى مجتمع مسلم مؤمن استعداداً لوصول المهـاجر العظـيم محمد ابن عبدا صلى ا عليه وسلم، الذي كانت تخشى قريش أن يرحل عـن مكـة ليقيم دولة الإسلام في يثرب ، فبثت العيون على كل المنافذ والطرقات، وأزمعت أمرها في ليل، بأن تقتل الرسول الكريم على يد مجموعةٍ من شباب قريش ذوي قوةٍ وبطـش يضربونه ضربةَ رجلٍ واحد ، فيتفرق دمهُ الشريف بين القبائل فلا يستطيع بنو هاشـم أن يطالبوا بالثأر، وهكذا شاءت ارادة ا بعد أن اجتمع سادة قريش فـي دار النـدوة وخلصوا إلى هذه الخطة ، لمنع النبي عليه السلام من اللحاق بصحبه الذين هاجروا إلى يثرب، ولم يبق إلا نفر قليل ومنهم سيدنا علي بن أبي طالب الذي إفتـدى رسـول ا صلى ا عليه وسلم بدمه ونفسه، فنام في فراشه والملأ يأتمرون به ويحيطون ببيتـه ، فخرج من بينهم وهو يقرأ من الذكر الحكيم قال تعالى:"



يس{1} والقرآن الْحكِـيم{2} إِنك لَمِن الْمرسلِين{3} على صِراطٍ مستَقِيمٍ{4} تَنزِيلَ الْعزِيزِ الرحِيمِ{5} لِتُنذِر قَوماً ما أُنذِر آباؤُهم فَهم غَافِلُون{6} لَقَد حق الْقَولُ على أَكْثَرِهِم فَهم لَا يؤْمِنُون{7} إِنا جعلْنَـا فِي أَعنَاقِهِم أَغْلَالاً فَهي إِلَى الأَذْقَانِ فَهم مقْمحون{8} وجعلْنَا مِن بينِ أَيدِيهِم سداً ومِن خَلْفِهِم سداً فَأَغْشَينَاهم فَهم لَا يبصِرون{9} صدق ا العظيم [1] ، ثم نثر التراب فـي وجوههم وهو يقول :" شاهت الوجوه" وذهب من فوره إلى بيت سيدنا أبي بكر الصديق رضي ا عنه الذي كان قد جهز راحلتين لهذه الرحلة المباركة والصحبة العظيمة ليبدأ

---

[1] الحسيني : مرجع سابق ص (65)

[1] سورة يس آية (1-9)

فصل جديد من فصول الدعوة إلى ا ودولة الإسلام، وأخبر صاحبه أن ا قد أذن لـه في الهجرة ، فسأله أبو بكر الصحبة فقال: نعم ، ثم عرض عليه إحدى راحلتيه اللتـين كانتا معدتين لذلك وجهزهما أحسن تجهيز، وصُنعت لهما سفرة في جراب ، فقطعـت أسماء بنت أبي بكر نطاقها وربطت به على فم الجراب، واستأجر عبد ا بن أريقـط من بني الدِيل بن بكر هادياً ماهراً، وهو على دين كفار قريش، فأمنّـاه ودفعـا إليـه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، ثم فارق الرسول عليه الصلاة والسلام أبا بكر وواعده المقابلة ليلاً خارج مكة، وكانت هذه الليلة هي ليلة استعداد قريش لتنفيذ ما أقروا عليه فاجتمعوا حول باب الدار ورسول ا في الداخل، فلما جاء ميعاد الخـروج أمر إبن عمه علياً بالمبيت مكانه كي لا يقع الشك في وجوده أثناء الليل ، فإنهم كـانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ، ثم سجى علياً ببرده وخرج على القوم وهو يقرأ **وجعلنَا مِن بين أَيدِيهم سداً ومِن خَلْفِهم سداً فَأَغْشَينَاهم فَهم لا يبـصِرون** فألقى ا النوم عليهم حتى لم يره أحدٌ ، ولم يزل عليه الصلاة والسلام سائراً حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور، فإختفيا فيه[2]

أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وأنهم إنما باتوا يحرسون علّي بن أبي طالب لا محمد بن عبد ا صلّى ا عليه وسلم ، اشتد غضبهم وهاجت عواطفهم فأرسلوا الطلب الى كل جهة، وجعلوا جائزةً مائة ناقة لمن يأتي بمحمد صلى ا عليه وسلم وصاحبه أبي بكر، وقد وصلوا في طلبهم إلى غار ثور، فيقول سيدنا أبو بكر :-يا رسول

[2] محمد، الخضري، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، ص(90).

ا لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا ويبكي خوفاً على صاحبه المهاجر العظـيم عليـه السلام، فيطمأنه الرسول ويقول له: " لا تحزن إن ا معنا" .فأعمى ا أبصار المشركين وذهبوا عن الغار، فأقاما فيه ثلاث ليال حتّى انقطع الطلب، ثم خرجا بعـد أن جاءهمـا الدليل بالراحلتين وسارا مُتبعين طريق الساحل ولحقهما سراقة بن مالك حتّى دنا منهما فعثرت به فرسه فوقع عنها ثم ركبها وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى وهـو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الإلتفات فغاصت قائمتا فرس سراقة فـي الأرض حتّـى بلغتـا الركبتين فعلم أن الرسول صلى ا عليه وسلم ممنوع منه، فقال له : إرجع يا سـراقة ولك سواري كسرى ، فرجع سراقة وخّـذل كفّـار قـريش وأنكـر أنـه رأى النبـي وصاحبه[1].

وكان أهل المدينة حينما سمعوا بخروج رسول ا صلى ا عليه وسلم يخرجون الى الحرةِ وهي الأرض ذات الحجارة السود والمدينة المنورة محاطةٌ بحرتَين حتى يرد عنهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يوماً بعد أن طال انتظارهم ، فلما آووا إلى بيـوتهم فـإذا رجل من اليهود على أُطُمٍ من آطامهم أي على حصنٍ من حصونهم لأمر ينظر إليـه ، فبصر برسول ا صلى ا عليه وسلم وصاحبه الـصديق يـزولُ بهمـا الـسراب ، يظهرهما تارةً ويخفيهما تارةً أخرى ، فقال اليهودي بأعلى صوته : يا معـشر العـرب هذا جدكم – أي حظكم – الذي تنتظرون ، فثاروا إلى السلاح فتلقوا رسول ا بظهـر الحرةِ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف بقباء وذلك كان في اليوم الثاني من ربيع الأول الذي يوافق 20 ايلول سنة 622م حيث وصل رسـول ا صلى ا عليه وسلم إلى قباء فنزل على كلثوم بن هِدم من بني عمرو بن عوف ، ونزل أبو بكر على خبيب بن أساف أخي بني الحارث بن الخزرج بالسنح وقيل على خارجـه بن زيد بن أبي زهير وأقام علي بن أبي طالب بمكّة ثلاث ليالٍ وأيامها ، حتى أدى عن رسول ا صلى ا عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس حتى إذا فرغ منها لحـق بالرسول الكريم صلى ا عليه وسلم إلى قباء فنزل معه على كلثوم بـن هِـدم وكـان رسول ا صلى ا عليه وسلم يجلس للناس في الأيام الأربعـة التي أقامها بقباء (أي الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس) في بيت سعد بن خيثمة ، ذلك أن سعداً كان عزباً لا أهل له ، وصباح يوم الجمعة (16 ربيع أول) خرج رسول ا صـلى ا عليـه

---

[1] الخضري، مرجع سابق، ص(92).

وسلم ميمماً شطر المدينة ، فأدركته أول صلاة جمعة يصليها بالناس وألقى فيها خطبـةً مقتضبة وبعد الصلاة مباشرة تابع رسول ا صلى ا عليه وسلم طريقه فكان كلما مر على دار من دور الأنصار ، يتضرع أهلها إليه أن ينزل عندهم ويأخذون بزمام ناقتـه فيقول صلى ا عليه وسلم :" دعوها فإنها مأمورة " ولم تزل الناقة سائرة حتى بركت في فناء بني مالك بن النجار بالقرب من منزل أبي أيوب خالد بن زيد الأنـصاري فقـال صلى ا عليه وسلم : **ههنا المنزل إن شاء ا ،** فاحتمل أبو أيوب رحلة ووضعه في بيته وجاء أسعد بن زرارة ، فأخذ بزمام ناقته فكانت عنده ، وخرجت ولائد بني النجار ، يقُلن :**نحن جوارمن بني النجار ياحبذا محمد من جار** [1] ولّما سمع الأنصار بقـدوم النبي صلى ا عليه وسلم وسلّم إليهم ، كانوا يخرجون بعد صلاة الصبح إلـى ظـاهر حرة المدينة لملاقاته وقد كان يوم وصوله يوماً مشهوداً في تاريخ يثرب ، فقد اسـتقبله الأنصار متقلدي السيوف ، تعلو الفرحة وجوههم ، وعبر النساء والصبيان والولائد عن فرحهم بإنشادهم :

طلع البدرُ علينـ ـا من ثنيات الوداع
وجب الشكرُ علينـا ما دعا داع
أيُها المبعوثُ فينـا جئتَ بالأمر المُطاع [2]

ويبدو أن رسول ا صلى ا عليه وسلم ، قد بقي في منزل أبي أيوب الأنصاري مـدةَ لا تَقُل عن سبعة أشهرٍ بنى خلالها مسجده ومساكنه فبنى في بادئ الأمـر حجـرتين، إحداهما لزوجه سودة بنت زمعة ،والأخرى لعائشة بنت أبي بكر الصديق، وكان يزيـد في مساكنه كلما اتخذ زوجاً جديدة له ، حتى صارت بيوته تسعةٌ [3]

2.3.2 أول العهد بيثرب، بناء المسجد النبوي:

بركت ناقة النبي صلى ا عليه وسلم على مربد سهل وسُهيل ابنـي عمـرو ، فابتاعه ليبنيه مسجداً له ، وأقام أثناء بنائه في دار أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ، وعمل في بناء المسجد بيديه ، ودأب المسلمون من المهاجرين والأنصار على مشاركته

---

(1) معطي ، التاريخ السياسي والعسكري للمدينة ص (139)
(2) الزين، سميح، خاتم النبيين محمد صلى ا عليه وسلم، المجلد الثاني، بيروت 1983 ص (28)
(3) رضا، محمد، محمد رسول ا صلى ا عليه وسلم ص (144)

في بنائه ، حتى أتموه وأقاموا من حوله مساكن الرسول ، وما كان بناء المساكن يرهق أحداً فقد كانت كلها من البساطة بما يتفق وتعاليم الرسول صلى ا عليه وسلم ، وكان المسجد فناء فسيحاً ، بنيت جدرانه الأربعة من الآجر والتراب ، وسـقف جـزء منـه بسعف النخل وترك الجزء الآخر مكشوفاً ، وخصصت إحدى نواحيه لإيـواء الفقـراء الذين لم يكونوا يملكون سكناً ، ولم يكن المسجد يضاء ليلاً إلا ساعة صلاة العـشاء إذ توقد أنوار فيه من القش أثناءها ، وكذلك ظل تسع سنوات متتالية شُدت بعدها مصابيح إلى جذوع النّخل التي كانت يعتمد سقفه عليها ، ولم تكن مساكن النبي أكثر ترفاً مـن المسجد (1)

3.3.2 المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين :

وهنا يبدأ طور جديد من أطوار حياة الرسول صلى ا عليه وسلم ، لم يـسبقه إليه أحد من الأنبياء والرُسل" إذ يبدأ الطور السياسي الذي أبدى فيـه الرسـول عليـه الصلاة والسلام من المهارة والمقدرة والحنكة ما يجعل الإنسان يقف مندهشاً ثم يطأطئ الرأس إجلالاً وإكباراً . فقد كان همه أن يصل بيثرب موطنه الجديد ، إلى وحدةٍ سياسيةٍ ونظاميةٍ لم تكن معروفةً من قبل في سائر أنحاء الحجاز وإن كانت قد عُرفت قبل ذلـك بكثير في بلاد اليمن فتشاور هو ووزيراه أبو بكر وعمر ، فكذلك كان يسميهما ، وقـد كان أول ما انصرف إليه تفكيره بطبيعة الحال تنظيم صفوف المسلمين وتوكيد وحدتهم ، للقضاء على كُل شبهةٍ تثور العداوة القديمة بينهم .ولتحقيق هذه الغاية دعا المـسلمين ليتآخوا في ا أخوين أخوين ، وكان عمه حمزة ومولاه زيد أخوين ، وكان أبـو بكـر الصديق وخارجة بن زيد أخوين ، وكان عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك الخزرجـي أخوين ، وتآخى كذلك كُل واحدٍ من المهاجرين الذين كثر عـددهم بيثـرب ، بعـد إن تلاحق إليها سائر من كان منهم بمكّة في أعقاب هجرة الرسول إياها ، مع واحـد مـن الأنصار إخاء جعل له الرسول حكم إخاء الدم والنّسب ، وبهذه المؤاخاة إزدادت وحـدة المسلمين توكيداً اطمأن الرسول صلى ا عليه وسلم إلى وحدة المسلمين بهذه المؤاخاة، وهي لا ريب حكمة سياسية تدل على سلامة تقدير وبعد نظر، نتبين مقدارهما حين نقف على ما كان من محاولة المنافقين الوقيعة بين الأوس والخزرج مـن المـسلمين وبـين

(1) هيكل، حياة محمد ص (147)

المهاجرين والأنصار لإفساد أمرهم . لكن العمل السياسي الجليل حقاً والذي يدل علـى أعظم الاقتدار ، وذلك ما وصل به إلى تحقيق وحدة يثرب وإلى وضع نظامها السياسي بالاتفاق مع اليهود على أساس متين من الحرية والتحالف ، وقد رأيت اليهـود وكيـف أحسنوا استقباله أملاً في استدراجه إلى صفوفهم ، وقد بادر إلى رد تحيـتهم بمثلهـا ، وإلى توثيق صلاته بهم ، فتحدث إلى رؤسائهم وتقرب إليه كبراؤهم ، وربط بينه وبينهم برابطة المودة باعتبار أنهم أهل كتاب موحدون ، وبلغ من ذلك أنه كان يـصوم يـوم صومهم ، وكانت قبلته في الصلاة ما تزال إلى بيت المقدس قبلة أنظارهم ومثابة بنـي إسرائيل جميعاً وما كانت الأيام لتزيده باليهود أو تزيد اليهود به إلا مودة وقربة كما أن سيرة وعظيم تواضعه وجميل عطفه وحسن وفائـه وفـيض بـرهِ بـالفقير والبـائس والمحروم، وما أورثه ذلك من إجلال عند أهل يثرب كّل ذلك وصل الأمر بينه وبيـنهم إلى عقد معاهدة صداقة وتحالف وتقرير لحرية الإعتقاد ، معاهدة هي في إعتقادنا مـن الوثائق السياسية الجديرة بالإعجاب على مر التاريخ [1]

4.3.2 وثيقة المدينة:

كانت يثرب قبل هجره الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم مقسمه إلى خمـسة اجزاء يسيطر على كل جزء قبيلة من القبائل التي تعيش فيها ومنها قبائل اليهـود التـي كانت في غايه التفكك والانقسام والتكالب على التجـارة والمـال والربـا والدسـائس ، وقبائلهم منقسمه على بعضها بعضاً ومتناحرة حيث إن يهود بني النظير وبنـي قُريظـة نكلوا بيهود بني قينقاع وأخرجوهم من ديارهم ومزارعهم وسفكوا دمـاءهم وقـد نـدد القرآن الكريم بأعمالهم وصراعهم قال تعالى: **وإذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُم لا تَسفِكُون دِماءكُم ولا تُخْرِجون أَنفُسكُم من دِيارِكُم ثُم أَقْررتُم وأَنتُم تَشْهدون ثُم أَنتُم هـؤُلاء تَقْتُلُون أَنفُـسكُم وتُخْرِجون فَرِيقاً منكُم من دِيارِهِم تَظَاهرون عليهم بِالإِثْمِ والْعدوان وإِن يأتُوكُم أُسارى تُفَادوهم وهو محرم عليكُم إِخْراجهم أَفَتُؤْمِنُون بِبعض الْكِتَابِ وتَكْفُرون بِبعضٍ فَما جزاء من يفْعلُ ذَلِك مِنكُم إِلا خِزي فِي الْحياةِ الدنْيا ويوم الْقِيامةِ يردون إِلَى أَشَد الْعذَابِ وما**

[1] هيكل، حياة محمد مرجع سابق ص 148 - 149

اللّه بِغَافِلٍ عما تَعملُون" [1]وكذلك كان حال الأنصار وهم الأوس والخزرج الذين كانت بينهم عداوات وثارات وحروب داميه كان وراءها اليهود الذين كانوا يخشون من اتحـاد الأوس والخزرج وهذا الأمر تم فيما بعد حين أخى بينهم الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم وسماهم الانصار وعلى خلاف المجتمع المكي الذي كان موحـداً ضـد الـدعوة الاسلاميه كانت المدينه المنوره (يثرب قبل الهجرة) يمور فيها الصراع القبلي وتضجُ بالأحقاد والأضغان والخلافات العميقه ، وفي ظل هذه الظروف شاءت الإراده الإلهية أن تكون المدينة المنورة هي دار هجرة النبي العربي تلك المدينة التي كانت بأمس الحاجـة إلى ترتيب وضعها الداخلي وأعادة صهر المجتمع اليثربي / المديني لأحتضان الـدعوة وتعاليم النبوة وقيام الدولة ، فجاءت وثيقة المدينة لتعـزز المؤاخـاة بـين المهـاجرين والانصار وتبرم المعاهدات مع اليهود وتؤكد أن هذا الدين جاء يـدعو الـى التـسامح والتعايش والتحاور مع الأخر المختلف في الجنس والعقيده وإمكانية دمجه في المجتمـع المسلم وله من الحقوق والواجبات ما للمسلمين ، وعلى هذا النـسق أعتبـرت وثيقـه المدينة الدستور الاول الذي انبثق عن دولة المسلمين الأولى على وجـه الارض ممـا يعطي لهذه الدوله الفتيه وجهاً حضارياً سلمياً يدعو الى الاندماج والتعايش ونبذ الخلافات والحروب بين مختلف الديانات ، ومن هنا يرى المستشرق المؤرخ فلهاوزن : أن النظام الذي ادخله محمد صلى ا عليه وسلم وسط تلك الفوضى كان على كل حال سبباً فـي توحيد القوى والعناصر ، وقد بدأ كإنما قد ابتلعت الجماعة القائمة على أساس الدين تلك الجماعات المقدسة القائمة على رابطة الدم فدخلت الطوائف التي كانت موجودة (القبائل والبطون والعشائر) في الجماعة الجديدة واحتفظ لها دستور المدينه بشخصيتها [2] ويقول الأستاذ أنور الجندي :لقد أحاط دستور المدينة إحاطة شامله بأمور الدولة الاسـلامية من تنظيمات وعلاقات داخليه وخارجيه فهو يعتبر أول نظام مكتوب قامت على أساسـه دوله منذ اول تكوينها ، كما يمثل تطوراً كبيراً في مفاهيم الاجتمـاع والـسياسه فهـذه جماعة تقوم لأول مرة في الجزيرة العربية على غير نظام القبيلة وعلى غيـر أسـاس رابطة الدم ، حيث انصهرت طائفتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار ثـم انـصهر

---

(1) سورة البقره أية (84،85)

(2) فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية منذو ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، ترجمه عبد الهادي أبو ريده ، ط2 ، 1968 م ، ص (10)

الأنصار والمهاجرون في جماعة المسلمين ، ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة في المدينه كنوع من الاتحـاد الكونفـدرالي حـسب المفهـوم المعاصر ولأول مرة يحكم القانون حيث ترد الأمور الى الدولة ويرجع الرأي الأخيـر الى رئيسها وبذلك بدأ قيام مجتمع جديد على مفاهيم جديده بعيداً عن القيم القبلية [1]ولذلك جاءت وثيقة المدينة كدستور حقيقي لمعطى واقعي جديد اختلف عـن المفهـوم القبلـي السائد ورابطتي الدم والقرابة لان هذه الوثيقه أو الكتاب أو الدستور كان شيئاً جديداً لـم يعهده العرب من قَبل من روعة في التنظيم ودقة في البنود التي عملـت علـى تنظـيم شؤون الحياة وتستوعب الآخرين من غير المسلمين الذين أصابهم الخوف والهلع علـى مصالحهم الإقتصاديه وعلى أمنهم الشخصي فكانت وثيقة المدينه بمثابة منشور الأمـن والامان والسلم والسلام الذي يضمن الحقوق المدنيه لكافة اطياف المدينه التـي غلـب عليها هي ايضاً الواقع الجديد فتغير اسمها من (يثرب) الى المدينـه المنـوره بعـد ان تشّرفت بقدمي الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم اللتين وطأتا أرضها الطاهره حيـث ظهر هذا الواقع الجديد من التوحد وكما ورد في ديباجة الكتـاب :**(بـسم ا الـرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول ا بين المؤمنين والمسلمين من قـريش وأهـل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم انهم أمة واحدة من دون الناس).**

يرى فلهاوزن إن هذا إعلان صريح حسب اللغه المعاصره للأساس الإيدولوجي العلمي للدولة الجديدة إنها دولة الفكره والعقيده من دون الناس وباب الولوج اليها هو الايمـان ويستوي في الانتماء اليها أهل مكة قبيلة قريش وأهل يثرب وغيرها ممن تابع وجاهد[2] وكما إن هذه الوثيقة أعطت لليهود حقوقهم فإنها إحترمت خصوصيتهم الدينية فتركـت لهم حرية الاختيار فيما يتعلق بالحكم والقضاء بين الاحتكام الى النبي صـلى ا عليـه وسلم أو الى الشريعة اليهودية أو إلى أحبارهم ومثال ذلك :" إن قتلى اليهود من بنـي النضير كانت تدفع لهم الدية كاملة ، أما قتلى اليهود في بني قريضة فقد كانت تدفع لهم نصف ديه ونتيجة للإختيار تحاكم اليهود في هذه القضية الى الرسول صلى ا عليـه وسلم ، وقد خير ا عز وجل نبيه بين قبول الحكم فيهم أو ردهم الى أحبـارهم فحكـم

---

(1) الجندي، أنور، الإسلام، رؤية جديدة في فلسفة تاريخ الاسلام، القاهرة دار الكتب، بيروت دار الكتاب 1980 ص (138)

(2) فلهاوزن : مرجع سابق ص (110)

بينهم الرسول صلى ا عليه وسلم بحملهم على الحق في ذلك فجعلت الدية سـواء .[1] إذن جاءت هذه الوثيقة المهمة والتي شكلت دستوراً مكتوباً فـي دولـة المدينـة الفتيـة لتنصف المسلمين وغيرهم من أهل الذمة سواء بسواء ، على قاعدة العدل النبوي المؤيد من السماء والذي تدعمه آيات القرآن الكريم بالفصل في المسائل الخلافية وإعطاء الحكم النهائي الملزم ، وهذا ايضاً ما حدث في قضية رجم المحصن الزانـي حيـث أحـالهم الرسول الكريم الى آية الرجم في التوراة التي حاولوا إخفاءها وذكرها الرسول لهم بأنها موجودة في توراتهم ليعودوا اليها ويقبلوا بحكمها العادل كما أن الوثيقـة حـذرت مـن إضطهاد المسلم لغير المسلم فقال صلى ا عليه وسلم : الاّ من ظلم معاهداً أو انتقـصه أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة [2] وعلى هذا لا يجوز الاعتداء لا على أنفسهم ولا على ابدانهم ولا على أموالهم ولا على أعرافهم لأنهم معصومو الدم والمال بأمانهم المؤبد [3] وقال صلى ا عليه وسـلم : **مـن قتـل معاهداً لم يرح رائحة الجنّة ، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً** [4]

5.3.2 البعد الحضاري لوثيقه المدينة:

في ظل الوضع السائد قبل الاسلام من عبودية وظلم وقتال غير مشروع وبدون أسباب وربا، وأحقاد قبليه وثارات بين القبائل أعلنت الدعوة الاسلامية صفحة جديدة من العلاقات الإنسانيه بأسلوب حضاري فريد راق يضمن للجميع الأمن والأمـان وحريـة المعتقد ويندد بالتعصب الديني والارهاب الفكري وقد أعلن القرآن ذلـك الأمـر بكـل

(1) الشعبي، أحمد قائد، وثيقة المدينة ، المضمون والدلالة ، ذو القعدة 1426 ص (59) .

(2) المنذري، مختصر سنن ابي داوود (حسن) تحقيق محمد حامد الفقهي ، ط2 ، باكستان ، المطبعة العربية 1399 هـ ، 1979 م ، كتاب الخراج والإمارة / باب في تعشير أهل الذمه اذا اختلفوا بالمتاجرات .

(3) أبو أتلة، خديجه، المواطنة غير الاسلامية داخل الدولة الاسلامية ،ص (60)

(4) البخاري، الجامع الصحيح ، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم .

صراحه ووضوح في قوله تعالى:(**لاَ إِكْرأه فِي الدين قَد تبين الرشْـد مـن الْغَـي)** [1] صدق ا العظيم وقوله تعالى **(فمن شَاء فَلْيؤْمِن ومن شاء فَلْيكْفُر)** [2] صـدق ا العظيم ، فالدعوة المحمدية لا تصادر الأفكار والآراء الأخرى وأنما تدفع العدوان مـن جانب أصحاب تلك الأفكار والعقائد وهذا ما يؤكد على البعد الحضاري وقيم التـسامح ونبل الأخلاق التي جسدتها خير تجسيد هذه الدعوة الجديدة غير المسبوقة من قبل والتي هي في نهاية الأمر والمطاف أستطاعت ان تغير تغيراً عميقاً ما عـاش عليـه الأبـاء والأجداد وأن تحافظ على الإرث الاخلاقي والقيم الطيبه مثل الشجاعة والمروءة واكرام الضيف وحماية الخائف ونجدة الملهوف وإعانة الفقير وقد ركز الرسول عليه الـصلاه والسلام على هذا الجانب الانساني الحضاري في قوله المشهور: ًانما بعثت لأتمم مكارم الأخلاقً [3] أي بمعنى أنه جاء ليغير أمر الجاهليه فيما يتعلق بالعقيده والـدين والـدماء والاموال وحقوق العبيد والجواري والمستضعفين ويعيد تنظيمها بشكل أخلاقي كبير ثم يحافظ على المكتسب الموجود من قيم الخير والحق والتسامح ويعتبر أنه متمم لها لأنها من مكارم الأخلاق. وهذا من عالمية الدعوة لانها لم تأت للعرب فقط وانما جاءت رسالة عالمية كافة للعالمين بكل أجناسهم وأذواقهم وأختلاف لهجاتهم وأوطأنهم ، وتدعيماً لهذا الرأي يقول الأستاذ محمد الطالبي : يقرر دستور المدينة بوضوح لا لبس فيه أن لكـل أمة حقها في الحرية الدينية وأنه لا يحد من حريتها هذا شئ سوى عدم الاعتداء علـى الطرف المقابل وظلمه [4] قال تعالى :(**لا ينْهاكُم الله عن الَّذِين لَم يقَاتِلُوكُم فِي الـدين ولَم يخْرِجوكُم من دِيارِكُم أَن تَبروهم وتُقْسِطُوا إِلَيهِم إِن الله يحِـب الْمقْـسِطِين إِنمـا ينْهاكُم الله عن الَّذِين قَاتَلُوكُم فِي الدين وأَخْرجوكُم من دِيارِكُم وظَاهروا على إِخْراجِكُم**

---

[1] سوره البقرة ايه ص (256) .

[2] الكهف ايه (29) .

[3] البيهقي، سنن، وصححه الالباني في الصحيح الجامع تحت رقم (234901) واخرجه احمد في مسنده ص(8595) والحاكم في المستدرك ص(4221)

[4] الطالبي، محمد، دستور المدينة ، مقال في مجلة االهدايه ثقافيه اسلامية ، تصدر عن الوزارة الأولى في تونس ، ص (6) .

أَن تَولوهم ومن يتَولهم فَأُولَئِك هم الظالِمون) [1] صدق ا العظيم إن هـاتين الآيتـين الكريمتين في سوره الممتحنه تدلان على موقفين مختلفين في التعامل مـع المـسالمين والمعتدين فالآية الآولى تدعونا الى التعامل بالبر والقسط والعدل مع الذين لـم يقـاتلوا المسلمين ودفعوا الجزية وانصاعوأ لشروط الدولة الاسلاميه التي تبتغي للعدل سـبيلاً ، ويكون النهي في الذين يقاتلون المسلمين بل يتعدى شرهم وأذاهم إلـى إخـراجهم مـن أوطانهم هنا يكون النهي والجزم من ا عز وجل الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفـي الصدور خاصه اذا كان الأمر في مقام تثبيت الدعوة والدعوة لم تزل تراوح بين القوة والضعف ويترصد بها الأعداء والأعراب واليهود من الداخل ويتربصون بها الـدوائر وهنا جاء النهي والزجر والافصاح عن صيغة وكيفية التعامل مع المسالمين والمعتـدين فجاء الأمر الإلهي يحض على الاحترام والتقدير والبر والمودة مع الـذين لـم يقـاتلوا المسلمين والنهي عن الذين قاتلوا أصحاب الدعوة وأخرجوهم من ديارهم إلى الحبـشه كمثال على ذلك وهجرة الصحابة الى المدينة المنورة تمهيداً للهجرة النبوية الفاصلة في تاريخ الدعوة الإسلامية وهنا ألنهي عن موالاتهم والتعامل معهم والتقرب اليهم لأن من يتولهم فأؤلئك هم الظالمون ، ظلماً لانفسهم ولأخوانهم في الدعوة الذين ذأقوا الـويلات من كفار قريش ومن مكر وخبث المنافقين في المدينه قبل ان تتضح الأمور بينهم وبين المسلمين خاصه بعد فتح مكه المكرمه ودخول قبائل العرب في دين ا أفواجاً.

قال تعالى :ً **وما أَرسلْنَاك إِلا رحمةً للْعالَمين**ً [2] حيث إن دستور المدينة ترجم تلك الرحمة لما اقره لليهود في العيش بأمن وسلام إلى جانـب المـسلمين يمارسـون معتقداتهم وأمور ديانتهم الخاصة بهم التي أرسى دعائمها محمد صلى ا عليـه وسـلم على التسامح والتناصح والبر دون الإثم معترفاً (للآخر) اليهودي بأنه ً أمة مع المسلمين ً دون الالتفات لعقيدته. وأن الاختلاف ضروري في جبلة البشر ، قال تعالى :ً **ولَو شَاء ربك لَجعلَ الناس أُمةً واحدةً ولا يزالُون مخْتَلِفين إِلا من رحم ربك ولِذَلِك خَلَقَهم وتَمتْ كَلِمةُ ربك لَأَملأَن جهنم من الْجِنةِ والناس أَجمعين**ً [3]فالاسلام يمنح المخـالف حريـة

---

[1] سورة الممتحنه أيه (8، 9) .

[2] سورة الانبياء آية(107)

[3] سورة هود(118)

العقيدة وممارسته لشعائر دينه ، كما أكدت الصحيفة أو الوثيقة هذا بمبدأً لليهود ديـنهم وللمسلمين دينهم طبقاً لقوله تعالى : " **لَكُم دِينُكُم وَلِي دِين** "[1]

وهنا يتبين لنا جلياً أن أحترام عقائد الاخرين وعدم أكراههم هو أساس التـسامح لان الاكراه في الدين لا يجوز قال تعالى : " **لاَإِكْراه فِي الدين** "[2] ويقول تعالـــى " **أَفَأَنتَ تُكْرِه الناس حتى يكُونُوا مؤْمِنِين** "[3] فالقرآن يوصي بالتسامح الى اقـصى حـد ممكن في الامور الدينية كما يوصي بحرية الفكر واحترام جميـع الآراء ويـستنكر أي اعتداء على المعتقدات سواء منها الفردية أو الجماعية وعلى الناس أن يهتدوا عن طريق الاقتناع الذاتي فلا يجوز ان تفرض عليهم الاراء ويؤكد الثعالبي :" اننا نجد ذكر احترام الديانات الاخرى وحرية المعتقدات وأحترام جميع الأراء في سـت وثلاثـين سـورة ، وخمسة وعشرين ومائة آية . فالتسامح يمثل حينئذ الفكرة الأساسية في القرآن"[4] وكان رسول ا صلى ا عليه وسلم يطبق هذا المبدأ عملياً مع مواطني الدولة الإسلامية في المدينة من غير المسلمين فكان يحضر ولائم أهل الكتاب ويغشي مجالسهم ويواسيهم في مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التي يتبادلها المجتمعون في جماعـة يحكمهـا قانون واحد وتشغل مكاناً مشتركاً فكان يقترض منهم ويرهنهم متاعاً ولـم يكـن ذلـك لضرورة أو عجز من أصحابه أن يقرضوه ، فكان منهم الذي لا يبخل بماله ، ولا يمنعه عنه صلى ا عليه وسلم بل يتلهف على أن يقرضه بغير قيود [5] وكان من بين الغنائم التي غنمها المسلمون في غزوة خيبر صحائف متعددة من التوراة فلمـا جـاء اليهـود يطلبونها أمر النبي صلى ا عليه وسلم بتسليمها لهم ويدل هذا إلـى مـا كـان لهـذه

---

[1] سورة الكافرون آية (6)

[2] سورة البقرة آية (256)

[3] سورة يونس آية (99)

[4] الثعالبي، عبد العزيز، روح في القرآن ، نقله من الفرنسية . حمادى الساحلي ، وراجعه ووضع حواشيه محمد المختار السلامي – الطبعة الاولى (بيروت) : دار الغرب الاسلامي 1985 ص ، (98)

[5] ابو أتلة، المواطنة غير الاسلامية داخل الدولة الاسلامية ، مرجع سابق : ص (8).

الصحائف في نفس الرسول من مكانة [1]، ان قاعدة التسامح التي قام عليها الاسلام فتحت أمام الأمة الإسلامية السبيل الى الاحتكاك الواسع بالأمم والشعوب وشجعت الحضارة الإسلامية على التفاعل مع الثقافات والحضارات جميعاً ، يقول غوستاف لوبون : " لقد الف الرسول بين قلوب العرب بالإسلام وأنهم – الرسول والمسلمون – اتخذوا ما أمرهم به من العدل والإحسان والتسامح والرأفة بالأمم المظلومة دستوراً لهم[2]

6.3.2 التعايش السلمي

إن الإسلام قد سبق الأمم العالمية والمنظمات الدولية الى إعلان نداء السلام العالمي الشامل بمقتضى قوله تعالى: " **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كآفة** " [3] حيث ندد القرآن الكريم بالإخلال بمبادئ السلم وأعتبر ذلك نزوعاً مشيناً الى الشر والسير على خطوات الشيطان فزين نداء الدخول في السلم العام بقوله " **ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين** " [4]، لأن السلم هو العلاقة الطبيعية بين الشعوب والامم قال تعالى: " **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا** "[5]. وفي هذا دعوة صريحة الى التعارف إلى التجمع والتساكن وتبادل المنافع والمصالح وإلى التعايش فالإسلام يريد أن يؤكد في ضمير الناس حقيقة مهمة وهي أن كل الناس من أصل واحد وهو آدم علية السلام قال تعالى " **يا أيها الناس اتقوا ربكم**

---

[1] بن شبة، ابو زيد عمرو، (ت 262 هـ) تاريخ المدينة المنورة علق وخرج أحاديثه ، على محمد دندل، ياسين سعد الدين بيان ط1، بيروت دار الكتب العلمية 1417 هـ 1996/ 1413، 1993 ص (30)

[2] ابراهيم،عبد السلام، المدينة المنورة في تاريخ الدعوة منذ نشأتها حتى وفاة النبي صلى ا عليه وسلم، رسالة دكتوراه، جامعة الازهر، كلية أصول الدين والدعوة ، المنصورة ص (260)

[3] سورة البقرة ، جزء من آية (208)

[4] سورة البقرة اخر آية(208)

[5] سورة الحجرات آية (13)

الذي خلقكم من نفس واحدةٍ وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ً.[1]

7.3.2 الوثيقة اعتراف بالآخر

لقد أحدث دستور المدينة الذي وضعه النبي صلى ا عليه وسلم بين جميع المتساكنين بمختلف فئاتهم ومعتقداتهم نقلة نوعية بأخراج أصحاب الديانات المختلفة من مآزق الصراع والتناحر حيث فتح لجميع المتعاقدين عهداً من الوئام والتفاهم والتعايش بين العقائد يقوم على مبدأ عظيم سجله أحد بنود الوثيقه ً لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ً وهـذا يتوافق مع التوجيه القرآني لصاحب الرسالة صلى ا عليه وسلم عندما أمره ربه تعالـى أن يقول لمن لا يستجيب لدعوته ً **لكم دينكم ولي دين** ً [2] وهذا أقصى أنواع الاعتراف بالآخرين الذي ينطلق من الثقة والاحترام المتبادلين ومن الرغبة بالتعارف لخير الإنسانية في المجالات ذات الاهتمام والتشارك ، لقد بادر النبي صلى ا عليه وسلم في دستور دولته الذي جاء في شكل اتفاقية مبرمة بين جميع المتساكنين في يثرب على اختلاف أصولهم العرقية وعقائدهم الدينية الى إعطاء الاخرين المخالفين في المعتقد من الضمانات ما يبدد مخاوفهم من أجل أن تصبح المدينة حرماً آمناً للتعايش السلمي في ظل احترام جميع العقائد قال تعالى :ً **وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر** ً [3] ولقد كفل دستور الدولة الإسلامية لغير المسلمين من التسامح المفضي إلى التعايش ليس فقط ما يكفل لهم حرية ممارسة عقائدهم وإنما كفل لهم ما يجعلهم مواطنين في هذه الدولة مندمجين فيها موفوري الحرية والكرامة وتكفي الاشارة في هذه الصدد إلى المظاهر الاتية :

1- النهي عن مجادلتهم إلا بالتي هي أحسن قال تعالىً **ولا تجادلوا أهل الكتـاب إلـا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إلـيكم**

---

[1] سورة النساء آيه (1)

[2] سورة الكافرون آيه (6)

[3] سورة الكهف ايه (29)

وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون" [1] ولم يقف الأمر عند هـذا الحـد ، بـل تجاوز دستور المدينة في دولة الرسول صلى ا عليه وسلم قضية الجدال ونـص على أن بين جميع المتعاقدين النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

2- أباحت مصاهرتهم وأكل طعامهم قال تعالى ": **ليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**" [2]

إن الباحث المتأمل في هذا الدستور ومقاصده البعيدة التي كانـت وراء تلـك الثوابـت لايخامره أدنى شك أنه أعظم ميثاق بالتعايش السلمي بين مـواطني الدولـة الإسـلامية بمختاف أجناسهم وأعراقهم ومعتقداتهم .

8.3.2 تكريس مفهوم المواطنة:

حقق التحالف الإسلامي اليهودي في أول دولة للمسلمين في يثرب أنموذجا حيـا وتاريخيا لمصداقية الجانب الإسلامي في ذلك التحالف في دستور المدنيـة (الـصحيفة) الذي صاغ عباراته الرسول الكريم . ووافق علـى الدسـتور كـلٌ مـن المهـاجرين والانصار، أضافة الى اليهود من سكان يثرب وأوضح دسـتور(الـصحيفة) التزامـات متساوية ومتوازية على كل من يقيم في المدينة من مسلمين ويهـود ، فـي الخـضوع لمؤسسة القضاء الاسلامي ، وللدفاع وصد كل معتد. كما كفل الدستور حقوق الأمـان والمواطنيه، والعمل ، والتجارة ، والملكية لكل مقيم في الدولة ، مسلمين ويهود دون أي تميز ، وما يهمنا من هذا التحالف الإسلامي اليهودي في دولة يثرب المدنيـة ، لجهـة موضوع الدراسة في هذا الفصل ،على صعيد البيئة الإقليميـة والعالميـة ، نقـول: إن الاستراتجية العليا المحمدية في هذه المساله ، اتجهت الى احترام العقيدة الدينية لليهود ، وكفلت لهم أداء عباداتهم والاستمرار في الحياة الأسرية القائمة على مبادىء ديـانتهم ، لجهة الزواج ، والطلاق ، والإرث وخلافه وبقيت هذه المبادىء نهجاً مـستمراً ،حتـى انقلبت يهود يثرب على دستور المدينة (الـصحيفة) وتحولـوا الـى القـوى المعاديـة للمسلمين، وللدولة في يثرب ذاتها .عند ذلك ،حصد يهود يثرب نتيجة المـؤامرة التـي

---

[1] سورة العنكبوت أيه (46)

[2] سورة المائدة ايه (5)

حاكها قادتهم ، وانهزموا في معركة الصراع العسكري ، والسياسي ، كما انهزم حلفاؤهم الجدد المشركون ، كذلك حافظ الرسول على تحالفاته مع القبائل العربية غير المشركة ، وغير المسلمة معاً بل إن اعتداء قريش على قبيلة خزاعة الحليفة للمسلمين، كان واحدا من الإسباب التي قادت إلى تحرير مكة ،مقر دولة قريش في حينه ، وفي غزوة تبوك ، صالح صلوات ا عليه قبائل أهل جربا وأذرح ، وأزرع ، وأهل أيلة وهم من النصارى فدخلوا نطاق دولة يثرب ، والتزموا بأداء الجزية على أن يظلوا على دينهم المسيحي وكان لهم كامل الحقوق والامان في الدولة ،وكان ذلك في السنة التاسعة للهجرة ، الا أن اتفاقات الأمان الإسلامية تلك ،أو اتفاقات المواطنيه للمسيحيين في الدولة العربية الإسلامية ، تختلف عن دستور الصحيفة ، الخاص بالمواطنية ليهود دولة يثرب لجهة الخدمة العسكرية ،والمشاركة في الصراع ضد اعداء الدولة . فبينما نص الدستور الصحيفة على التزام اليهود بالمشاركة في القتال ، رجالاً وعتاداً ،الى جانب قوات المسلمين ،دفاعا عن الدولة ضد المعتدين عليها ،جاءت اتفاقات الامان والمواطنة الجديدة للمسيحيين العرب ، عقب تحرير مكة ، لتعفيهم من المشاركة في القتال دفاعا عن الدولة ، إلا أنه مقابل ذلك ، ارتضى المسيحيون في اتفاقات الامان والمواطنة في الدولة العربية الإسلامية ،دولة يثرب ، ان يدفعوا بدلا ماليا عن المشاركة العسكرية ،وهذا البدل المالي ،وهو ما اصطلح عليه بتعبير الجزية ، ولأن يهود الدولة الإسلامية العربية ، في دولة يثرب ، التزموا بالمشاركة في العمليات العسكرية للدولة ضد المعتدين عليها فلم توجب عليهم الجزية ، كما أن الجزية على غير المسلمين من مواطني الدولة العربية الإسلامية ، لم تكن ، ولايمكن أن تكون، إهانة أو احتقار للعقيدة الدينية لدافعي الجزية . وذلك ،ان مؤسسة الزكاة القرآنية شرعت التطبيق على المسلمين في الحياة الدنيا ، وهي ركن من أركان الاسلام الخمس .فالمسلم الذي يمتنع عن أداء الزكاة خارج عن الإسلام، ومادام دفع جزء من عائد الدخل للإنسان المسلم للدولة ، لينفق على المحتاجين بالدرجة الأولى ، ثم لحاجات الدولة ، وهو أمر الهي ، ويطبق دنيويا على المسلم ،فلماذا لايطبق على غير المسلم ، أن يدفع بدلاً نقديا من عائداته سنويا للدولة التى كفلت له الامان والمواطنة ، بل وأعفته من الخدمة العسكرية؟؟ وضمنت له حرية معتقده الديني ،الى جانب احترام حقوق طائفته ،في الزواج والإرث ، وكل ما يتعلق بحقوق نظام الاسرة لديه ، وفي هذا الجو المشحون بالأعداء كان على

الرسول صلى ا عليه وسلم أن يتابع بناء دولته وقد لخص (فرانشسكو غابريلي) هذا الجو بالقول :"لقد كان النصر الذي توصل Yليه الرسول ومركزه كنبي صاحب سـلطة دينية ورئيس دوله فتية أنشأها هو ، نصراً بطيئا ومحفوفاً بالمصاعب الكثيـره يثيرهـا ضده اعداءه الظاهرين وكان عليه ان يواجه الألاعيب السياسيه والمـؤامرات الكثيـره التي تدبر بالخفاء من قبل الفئات المختلفه التي تسكن المدينه [1]

9.3.2 تاريخ الوثيقة .

يبدو أن ابن هشام لم يذكر تاريخاً محدداً للصحيفة التي أوردها في سيرته وقد أدى ذلك إلى اختلاف المؤرخين والباحثين حول هذه الفترة الزمنية التي كتبت فيها هذه الصحيفة فهناك من يعتقد بانها كتبت قبل غزوة بدر كالسيد عبد العزيز سالم [2] والمستشرق (فلهاوزن) والمستشرق كاتياني [3]

وهناك من يقول بأنها كتبت بعد هذه الغزوة كالمستشرق (هيوبرت غريم) الـذي يبنـي رأيه على الأسس الاتية :

1. إن ما ورد في الصحيفة من أن محمداً صلى ا عليه وسلم هو الحكم في الخلافات التي تقوم بين الأطراف المختلفة في المدينة وانه صلى ا عليه وسلم هو فقط الذي يأذن بالخروج للحرب لجماعته دليل قاطع على المكانة الرفيعة التي غدت له في المدينة.
2. ما ورد في الصحيفة أيضاً من إشارات إلى القتال في سبيل ا أو في سبيل الدين يتضمن إشارة غير مباشرة إلى أن القتال قد بدأ قبل كتابة هذه الوثيقة ولا يمكن للرسول صلى ا عليه وسلم ان يطلب من أهل المدينة أن يقفوا موقفاً عدائياً من قريش الا اذا كانت قريش قد هاجمتهم أو اشتبكت معهم في قتال ولم يحدث هذا إلا

---

(1) fr. Gabriel, Mohammad and conquests of Islam world university bibrary London – 1968 , p.64

(2) سالم، عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، ص (349)

(3) عاقل، نبيه، تاريخ العرب القديم وعصر الرسول ص، (474)

بعد بدر[1].

وهناك فريق ثالث يقر بأن الصحيفة لا ترجع إلى تاريخ واحد ، بل كتبت على فترات متلاحقه وكان على رأس هؤلاء المستشرق (مونتغمري وات) ، الذي بنى موقفه على أساس التفاوت في الأسلوب واللغة لمقاطع الصحيفة المدنية ، وعلى أساس أعتبار اليهود جزءاً من الأمة الإسلامية في بنود الصحيفة الأولى وفصلهم عن هذه الأمة في بنودها الاخيرة بعد بدء القتال بين المسلمين وقريش وفي النهاية يقرر وات :"ان الصحيفة بشكلها الذي وردت فيه عند أبن أسحاق في المغازي والسير ، لا تمت إلى الصحيفة الأصلية بصلة وأن ما يرد في وثيقة ابن اسحاق هو تجميع لشروط ومواثيق أخذها الرسول صلى ا عليه وسلم على الفئات المختلفة خلال مراحل عديدة تبدأ من بيعة العقبة وتمتد إلى ما بعد بدر[2].

ويؤيد عون الشريف قاسم المستشرق وات في بعض ما ذهب اليه عندما يقول" : ان الصحيفة – الوثيقة لا تشتمل على معاهدة واحدة ، بل على سلسلة مـن المعاهـدات المنفصلة ويدل قاسم على رأيه بنص الوثيقة الذي يشهد بان الصحيفة هي فـي الواقـع مجموعة من الوثائق المتعددة التي ضمت إلى بعضها البعض وجمعت في مكان واحـد والتي تبدو متداخلة في مواضيع ومكملاً بعضها بعضاً في مواضيع أخرى . كمـا هـو الحال في تكرار الفقرا التي تنص على رد أي خلاف ينجم بـين المتعاهـدين إلـى ا ورسوله وفي تكرار أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا متحاربين ، وفـي تكـرار الفقرات التي تذكر النفقات التي تلازم جانبي اليهود وبقية الامة في يثرب [3] ويذكر سميح عاطف الزين :" أن التوقيع على تلك الصحيفة (وثيقة المدينة) قد تـم بـين جماعـات اليهود التي ذكرت فيها دون غيرهم كيهود بني عوف ويهود بني النجار ويهـود بنـي الحارث ويهود بني ساعدة وبني جشم وبني الأوس وبني ثعلبه . أما الأخرون فهم الذين لم يشتركوا في تلك الصحيفة أمثال بني قريضة وبني النضير وبني قينقاع فانهم عـادوا وعاهدوا الرسول صلى ا عليه وسلم على الانصياع لأحكامه وأوامره وعقدوا معـه

---

[1] عاقل ، مرجع سابق ، ص (446)

[2] M .WATT, MUHAMADAT MECLNA-OXFORD 1950 ,2008-255

[3] قاسم، عون الشريف، ،نشأة الدولة الاسلامية في عهد الرسول ، دراسة في وثائق العهد النبـوي دار الكتب الاسلامية ، بيروت 1980 ص (25-26)

صحفاً مماثلة وهكذا حتى سويت العلاقات بين جميع الفئات في المدينة المنـورة حيـث لـم يبق نفر أو قبيل الا وقد عرف ما له من حقوق وما عليه من واجبات[1] وفي كـل الاحوال فان صحة هذه الصحيفة التي وردت في سيرة ابن إسحاق ونقلها ابـن هـشام أكيدة لاريب فيها كما وأن نصوصها اتفاق تام مع واقع ما كان يجري وما تحتاج إليـه مدينة الرسول صلى ا عليه وسلم حينئذٍ [2]

10.3.2 خلاصة الوثيقة :

وقد استخاص الباحث علي معطي من خلال دراسته التحليلية لنـصوص هـذه الصحيفة (وثيقة المدينة) أهم النقاط التي عالجتها وأهمها:

1. تحديد مفهوم الأمة : فالأمة في الصحيفة تضم المسلمين جميعاً مهاجرين وأنـصار ومن تبعهم ممن لحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون النـاس فالـصحيفة لـم تستبعد من مداول الأمة الفئات التي لم تعتنق الإسلام في المدينة من عرب وقبائـل اليهود الذين يوالون المسلمين ويحاربون معهم.
2. جعل المسؤولية جماعية لكل فئة مـن الفئـات المـسلمة فيمـا يتعلـق بالـديات والفدياتًالمهاجرون من قريش على ربعتهم والحال التي جاء الإسلام وهـم عليهـا (يتعاقلون ويدفعون ديات القتلى المتوجبة عليهم بينهم وهـم يفـدون عـانيهم) أي (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين والأنصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.
3. الحماية الكاملة والتعاون التام واجب بين أفراد الجماعة الإسلامية وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً (المثقل بالدين والكثير العيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل ولا يقتل المؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن.
4. على المؤمنين جميعاً Hن يقفوا يداً واحدة ضد البغي والفساد والظلـم وإن القاتـل يقتل إلا أن يرضى ولي المقتول ولا يحل لمؤمن Hن ينصر أو يؤوي من يـسعى لتغيير الاوضاع في مجتمع المدينة.
5. على المسلمين أن يكونوا موالي بعضهم بعضاً من دون الناس.

---

[1] الزين، خاتم النبيين محمد صلى ا عليه وسلم، المجلد الثاني، ص (50)

[2] ابن هشام، السيرة النبوية ص (501-504)

6. أن سلم المسلمين واحدة ، وأن حرب المسلمين واحدة ،ً ولا يـسالم مـؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل ا الا على سواء او عدل بينهمً.
7. ضمان حرية العقيدة والعبادة لليهود ومن يرغب منهم في الدخول بالإسلام يحـصل على نفس حقوق المسلمين وواجباتهم.
8. على اليهود أن يكونوا مع المسلمين يداً واحدة على من هاجم يثرب أو حارب أهلها وأن ينفقوا مع المؤمنين ما داموا محاربين فعلى اليهود نفقـتهم وعلـى المـسلمين نفقتهم.
9. إن الفصل في كل الأمور في المدينة يعود إلى ا سبحانه وتعالى ثم يعـود إلـى الرسول صلى ا عليه وسلم وانه لا يخرج منهم (أي اليهود) احد الا بإذن محمـد صلى ا عليه وسلم.
10. لا يجوز أن تجار قريش أو تنصر من قبل اي فرد من المدينة.
11. إن حرمة المدينة واجبة كحرمة المال وحرمة النفس وحرمةالوطن وان للـولاء حقوقاً وللجوار حقوقاً.
12. إأن الامان واجب لكل من خرج من المدينة أو قعد فيها.
13. إن ا سبحانه وتعالى يشهد على ما جاء بهذه الصحيفة.

هذه هي أهم النقاط والمواضيع التي تطرقت اليها الصحيفة ووضعت لها الحلول والمعالجات وهي الصحيفة التي تعتبر بحق وثيقة سياسية هامة وضعها النبي صلى ا عليه وسلم منذ ما يزيد على أربعة عشر قرناً من الزمان والتي قررت الحقوق المدنية والسياسية لسكان يثرب ليعيشوا في وطنهم آمنين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وأهلهم وأن يكونوا أحراراً في عقائدهم وتنقلاتهم وأن يتعاونوا على البر والتقوى وعلى الخير العام [1] .

---

[1] معطي، التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول صلى ا عليه وسـلم، ص (170-172) .

11.3.2 العبر والدلائل :

لهذه الوثيقة دلالات مهمة تتعلق بمختلف الأحكام التنظيمية للمجتمع الإسلامي ونلخصها فيما يلي :

1- إن كلمة الدستور هي أقرب إطلاق مناسب في إصطلاح العصر الحديث ، على هذه الوثيقة . وهي إذا كانت بمنزلة إعلان دستور حـديث يعنـي ويوضـح الخطـوط الواضحة لنظام الدولة في الداخل والخارج ، أي فيما يتعلق بعلاقـة أفـراد الدولـة بعضهم مع بعض ، وفيما يتعلق بعلاقة الدولة مع الآخرين . وحسبنا هـذا الدسـتور الذي وضعه الرسول صلى ا عليه وسلم بوحي من ربهِ واستكتبه أصحابه ، ثم جعل الأساس المتفق عليه فيما بين المسلمين وجيرانهم اليهود - حسبنا ذلك دليلاً على أن المجتمع الإسلامي قام منذ أول نشأته على أسسٍ دستورية تامة وأن الدولة الإسـلامية قامت منذ أول بزوغ فجرها على ما تحتاجـه الدولـة مـن المقومـات الدسـتورية والإدارية.

2- إن هذه الوثيقة تدل على مدى العدالة التي اتسمت بها معاملة النبي صلى ا عليـه وسلم لليهود ، ولقد كان بالإمكان أن تؤتي هذه المسألة العادلة ثمارهـا فيمـا بـين المسلمين واليهود ، لو لم تتغلب على اليهود طبيعتهم مـن حـبٍ للمكـر والغـدر والخديعة ، فما هي إلا فترة وجيزة حتى ضاقوا ذرعاً بما تضمنته بنود هذه الوثيقة التي التزموا بها ، فخرجوا على الرسول والمسلمين بألوان من الغـدر والخيانـة ، فكان المسلمون بذلك في حل مما التزموا به تجاههم .

3- دلت هذه الوثيقة على أحكام مهمة في الشريعة الإسلامية نذكر منها :

أولاً : على أن الاسلام هو وحده الذي يؤلف وحدة المسلمين ، وهو وحده الذي يجعل منهم أمةً واحدةً ، وعلى أن جميع الفوارق والمميزات فيما بينهم تذوب وتضمحل ضمن نطاق هذه الوحدة الشاملة .

ثانياً : إن أهم سمات المجتمع الإسلامي ظهور معنى التكافل والتـضامن فيمـا بـين المسلمين بأجلى صورة وأشكاله ، فهم جميعاً مسؤولون عن بعضهم في شؤون دنيـاهم وآخرتهم . وإن عامة أحكام الشريعة الإسلامية إنما تقوم على أساس هذه المـسؤولية ، وتحدد الطرائق التنفيذية لمبدأ التكافل والتضامن فيما بين المسلمين .

ثالثاً :- تدل بنود الوثيقة على مدى الدقة في المساواة بين المسلمين لا من حيـث إنهـا شعار براق للزينة والعرض . بل من حيث إنها ركن من الأركـان الـشرعية المهمـة للمجتمع الإسلامي يجب تطبيقه بأدق وجه وأتم صورة ، وحسبك مظهراً لتطبيق هـذه المساواة بين المسلمين ما قرره النبي عليه الصلاة والسلام في ذلك بقولـه :(ذمـة ا واحدة يجير عليهم أدناهم) ومعنى ذلك أن ذمة المسلم أياً كان ، محترمـة وجـواره محفوظ لا ينبغي أن يجار عليه فيه ، فمن المسلمين أحداً في جواره فليس لغيره حاكمـاً أو محكوماً أن ينتهك حرمة جواره هذا والمرأة المسلمة لا تختلف في هذا عن الرجـل إطلاقاً فلجوارها أياً كانت من الحرمة ما لا يستطيع أن ينتهكهُ أي إنسان مهمـا علـت رتبته وبلغت منزلته .

روى الشيخان وغيرهما:- أن أم هاني بنت أبي طالب ذهبت إلـى رسـول ا صلى ا عليه وسلم عام الفتح فقالت : يا رسول ا زعم ابن أمي علي أنه قاتلٌ رجلاً أجرته ، فَلان بن هبيرة ، فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم:" قد أجرنا من أجرتِ يا أم هاني" تلك هي احكام إنطوت عليها هذه الوثيقة التي أقام عليها رسـول ا عليـه السلام الدولة الإسلامية في المدينة وجعلها منهاجاً لسلوك المسلمين في مجتمعهم الجديد وأن فيها لأحكاماً مهمة أخرى لا تخفى لدى التأمل والنظر فيها .

ومن تطبيق هذه الوثيقة ،والاهتداء بما فيها، والتمسك بأحكامها ، قامت الدولة على أمتن ركن وأقوى أساس ، ثم انتشرت قوية راسخة في شرق العالم وغربه تقدم للناس أروع ماعرفته الإنسانية من مظاهر الحضارة والمدنية الصحيحة . [1]

12.3.2 أسباب قتال المسلمين لليهود .

ظل الرسول صلى ا عليه وسلم يدعو إلى دين ا سلماً في مكه ثلاث عشرة سنة ، واستمر في الدعوه السلميه في المدينة ، ولولا بغي المشركين لاستمرت الدعوة سلمية ولم يقم الإسلام بالسيف ، وإنما انتشر لما تجسد في طبيعته من قوة ووضوح وبساطة ومنطق وتجاوب مع الفطرة الإنسانيه فغدا هناك فرق واضح بين انتشار

---

[1] البوطي، محمد سعيد رمضان ، فقه السيرة دراسات منهجية علمية لسيرة المصطفى عليه السلام، دار المعارف مصر ، ط8 1411 هـ 1990م ، ص (208)

الإسلام فكرة وعقيدة ، وبين الدفاع عن وجود المسلمين ودولة الإسلام ' فالوجود الدولي يتطلب تأمين الإسلام وحمايته من كل اعتداء ، وهذا هو الذي حدث فقط في إعلان الجهاد الإسلامي على أعداء المسلمين ، أما قبول الاسلام فكان بدافع القناعه أو مؤاثرة السلم ، وإذا لم يجد المرء في نفسه بعدئذ قناعه بهذا الدين فمن الذي يجبره على الاستمرار على عقيدته ، إذ العقيده في القلب ، ولا يطلع على ما في القلوب إلا علام الغيوب .

وكانت حروب النبي صلى ا عليه وسلم" غزواته السبع والعشرين" وغيرها من السرايا للقضاء على الخطر قبل تفاقمه ، فقد اشتط مشركو مكه ، في عدوانهم ، قال علي رضي ا عنه": ما حورب قوم في عقر دارهم إلا ذلوا" فحاربهم النبي صلى ا عليه الصلاة والسلام بعد أن ألحقوا به وبصحبه مختلف ألوان الأذى ، والعذاب وإظهار العداء والطرد والتهجير من الديار والأوطان ، وفتنة المسلمين عن دينهم بالتجويع ، والضرب والضغط بوضع الصخرة على الصدر ونحو ذلك من صنوف الأذى بل إنهم طلبوا من الحبشة تسليم المهاجرين كما يطلب اليوم تسليم المجرمين .

ولم يتركوا سبيلاً لاغتيال الرسول نفسه عليه الصلاة والسلام كما يؤكد التـاريخ أمـا اليهود : فقد نقضوا العهد والوثيقه التي عقدوها مع النبي عليه الـصلاة والـسلام بعـد الهجره [1] فبنو قينقاع استاءوا بسبب نصر المسلمين في بدر وأظهروا البغي والحـسد وتحالفوا مع رئيس المنافقين عبدا بن أبي بن سلول ، وكـشفوا عـن سـوأة امـرأة أنصارية وقتلوا مسلماً دافع عنها ، وهددوا الرسول صلى ا عليه وسلم حينمـا جـاء يكلمهم وقالوا له :" لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة، أنا وا لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس" وكانوا أول من نقض العهد ، وتحـصنوا في حصونهم فحاصرهم النبي أشد الحصار ، وقذف ا في قلوبهم الرعب ونزلوا على حكم رسول ا صلى ا عليه وسلم في رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم ، فتوسط لهم زعيم المنافقين فوهبهم له وأمرهم أن يخرجوا من المدينه ، فخرجـوا إلـى أذرعـات الشام [2] .

(1) البوطي، مرجع سابق، ص 208.

(2) سيرة ابن هشام : ج2 ص (47) وما بعدها زاد المعاد : ج2 ص (71)

وأما بنو النضير : فتآمروا على اغتيال الرسول عليه الصلاة والسلام وهموا بإلقاء صخرة عليه من وراء جدار استند إليه ، حينما جاءهم مع نفر يستعين بهم في دية الكلابيين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أميه الضمري ، وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعقد فنجاه الله منهم بوحي السماء ، وعاد إلى المدينة فأمر بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم ، وسار إليهـم فتحصنـوا منه في الحصون ، فأمر بقطع النخيل والتحريق فيها ، ثم أجلاهم عن المدينة [1] .

وأما بنو قريظه : فكانوا أشد اليهود عداوة لرسول الله عليه الـسلام وأغلظهـم كفراً، فتحالفوا مع مشركي مكة في وقعة الخندق يوم الأحزاب سنه خمس من الهجره ، وأعانوا على المسلمين يوم بدر ، وألب زعيمهم كعب بن الأشـرف المـشركين علـى الرسول ، حتى نزل في حقهم قال تعالى : ﴿ **إن شر الدواب عند الله الذين كفروا ، فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ، فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يـذكرون** ﴾ [2] فحاصـرهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله في قلـوبهم الرعب ثم قتلوا بتحكيم سعد بن معاذ ، الذي رضوا به .

وأما يهود خيبر : فكانوا سبب غزوة الخندق الشديدة الوطأه علـى المـسلمين ، فخرج إليهم الرسول بعد الحديبية سنة سبع هجرية ، وفتح حصونهم وأعطى الراية ليلة الفتح علياً ، رضي الله عنه ، ثم صالحهم الرسول صلى الله عليه وسلم على شطر مـا تنتجه الأرض من ثمر أو زرع ، وعلى إخراجهم إن شاء المسلمون.

وكذلك فعل الصحابة في حروبهم مع الروم والفرس ، لم يبدؤهم بعدوان ، وإنما كان هؤلاء هم البادئين بالاعتداء. فالفرس : مزق ملكهم كسرى كتاب الرسـول إليـه ، وطلب من واليه باليمن أن يبعث رجلين يأتيان برأس محمد ، فأسلم الرجلان وعلم اليمن بإسلامهما وانتشر الإسلام بأطراف الجزيرة ، مما أغاظ الساسانيين ، فجعلوا يتحرشون بالمسلمين ويغيرون على القبائل المجاوره لهم .

---

(1) ابن هشام، سيرة، ج2 ص(190) وما بعدها زاد المعاد : ج2 ص(71) وما بعدها

(2) سورة الأنفال آيه (55)

أما الروم : فلم يستجب عظيمهم هرقل لدعوة الرسول صلى ا عليه وسلم إيثاراً للساطه على الحق ، وقتل بعض ولاة الروم في بلاد الشام رسل النبي إليه ، كما بدأوا بقتل بعض المسلمين المجاورين لهم الذين أعلنوا إسلامهم .

ولقد كانت هذه المعارك والفتوحات مشروعه في الإسلام لأسمى الغايات ، فلم تشرع إلا دفعاً للظلم والعدوان ، ودفاعاً عن الوطن المسلم وتحقيقاً لحرية التدين ـ فاذا تحقق السلم بأن يسلم العدو ، أو يدفع الجزيه ، أو يلتزم الحياد انتهت الحرب .

وإذن لم تكن الحروب الإسلاميه للتشفي ، والانتقام قال ا تعالى :" **ولا يجرمنكم شنآن قومٍ أن صدوكم عن المسجدِ الحرامِ أن تعتدوا**" [1] ، ولا للتوسع والاستعمار وامتصاص خيرات الأمم قال تعالى :" **تلك الدار الآخرةُ نجعلُها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبةُ للمتقين)** [2] وقال تعالى: **(الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ وأمروا بالمعروفِ ونهوا عن المنكرِ ولله عاقبةُ الأمورً)**[3] ولا للأستعلاء في الارض وبسط السلطان والنفوذ واحتلال العالم بغية تحقيق نزعة عنصرية أو جنسية قال تعالى :" **ولا تكونُوا كالتي نقضتْ غزلها من بعدِ قوةٍ أنكاثاً تتخذُون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمةٌ هي أربى من أمةٍ**" [4] أي أعز مكانا وأكثر جمعاً وأمنع سلطاناً [5].

4.2 رسائل رسول ا صلى ا عليه وسلم :

بـدأ رسـول اللـه صلـى الـله عليـه وسلـم ومنـذ السنة السادسة للهجرة،

---

(1) سورة المائده ايه (2)

(2) سورة القصص ايه (83)

(3) سورة الحج ايه (42)

(4) سورة النحل ايه (92)

(5) الزحيلي، العلاقات الدولية في الاسلام، مقارنه بقانون الدولي الحديث ص (98)

يوجـه كتباً ممهورة بخاتمه[1] الى ملوك وأمراء الأمم المجاورة يـدعوهم فيهـا إلـى الإسلام ، وقد شملت هذه الرسائل الأمبراطوريـــة البيزنطيـة والإمبراطوريـة الفارسية والحبشية والقبائل العربية في داخل شبه الجزيرة العربية وخارجهـا ، وكـان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد أرسل إلى هرقل قيصر الروم دُحية بن خليفة الكلبي حمله كتاباً وأمره بأن يسلمه إلى عظيم بصرى ليرسله بدوره إلى قيصر الروم وقد جاء فيه :- **" بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمـد رسـول الله إلى هرقـل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى أما بعد ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وأن تتولى فإن إثـم الأكّارين (الفلاحـين) عليك [2].** وقد ذكر اليعقوبي أن هرقل رد على كتاب النبي بكتاب جاء فيه : " إلى محمد رسول الله الذي بشَّر به عيـسى ، من قيصر ملك الروم ، إنه جاءني كتابك مع رسولك ، وإني أشهد أنك رســول الله ، نجدك عندنا في الإنجيل ، بشَّرنـا بك عيسى بن مريم ، وإنـي دعـوت الـروم أن يؤمنوا بك، فأبوا ، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم وودت أنّـي عنـدك فأخـدمك وأغسـل قدميـك [3] وكان رسول هرقل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، رجـلاً من حمص من بني تنوخ وقد حمل التنوخي كتاب هرقل وسلّمه إلى النبـي صـلى الله عليه وسلّم وهو بتبوك وقرأ معاوية بن أبي سفيان كتاب هرقل على مسامع **النبي صلى الله عليه وسلم فقال :" كَذَب عدو الله ، ليس بمسلم ، ولكنه على النصرانـية"** [4]

---

[1] لما أراد الرسول صلّى الله عليه وسلم إرسال كتبه الى الملوك قيل له إنهم لن يقرأوا الكتاب إلاّ إذا كان مختوماً، فاتخذ صلّى الله عليه وسلّم خاتماً من فضة وقد نقش عليه" محمد رسول الله " وكان هذا الخاتم في يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، ثم في يد أبي بكر ، ثم في يد عمر ، ثم في يد عثمان ، حتى وقع في بئر (أريس) في السنة التي قتل فيها عثمان ، فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه . رضا : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ص (262- 263)

(2) ابن سعد : الطبقات الكبرى ، ج 1 ، ص (258 – 259) .

(3) اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب، المتوفى سنة (292 هـ) تاريخ اليعقوبي ج 2 ، ص (77) .

[4] ابن سلام : أبو عبيد القاسم، كتاب الأموال ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت 1981 ، ص (110) .

1.4.2 أثر رسائل الرسول صلّى ا عليه وسلّم :-

لننظر الآن في أثر هذه الكتب في الملوك والأمراء الذين أُرسلت إليهم ، والـذين يمثلون الشعوب التي كانوا يحكمونها ، ولو أن أحداً من هؤلاء الملوك قبل دعوة الرسول صلّى ا عليه وسلّم ، ودان بالإسلام لأنتشر هذا الدين بين رعاياه على أن التاريخ لـم يذكر لنا أن أحداً من الملوك الذين كانوا خارج جزيرة العرب دان بالإسلام ، وإن كان بعضهم قد أحسن معاملة الرسل وتجمل في الرد على كتاب الرسول .ومن الطبيعي أن كِسرى – وهو ذلك الملك الذي ورث الحق الملكي المقدَّس عن أجداده من آل (ساسان) يأبى أن يكون تابعاً للعرب ، ومن ثم كان يخشى من هذا الدين على شخصه وسـلطانه اللذين كانا موضع قداسة الشعب ، هذا إلى جانب ما كان يراه الفرس لأنفسهم من سيادة على عرب اليمن والحيرة ، وهم في نظرهم أرقى من عرب الحجاز ، ولذلك لا عجـب إذا ثارت ثائرة كِسرى فقام بتمزيق كتاب رسول ا ، وأرسل إلى عامله على الـيمن :" إبعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلـين من عندك جلدين فليأتياني به . فبعـث باذان عامل كِسرى على اليمن رسولين يحملان كتاباً إلـى الرسـول ، يـأمره فيـه أن ينصرف إليه ، فخرجا حتى قدما الطائف ، فوجدا رجالاً من قريش فسألوهم عن الرسول فقالوا هو بالمدينة ، وأستبشروا بهما وفرحوا وقال بعضهم :" أبشروا فقـد نـصب لـه كِسرى ملك الملوك ، كفيتم الرجل" فخرج الرجلان حتى قدما على رسول ا صلّى ا عليه وسلّم ، فقالا :" إن كِسرى قد بعثنا إليك لتنطلق معنا ، فصرفهما الرسول علـى أن يعودوا إليه في الغد".فجاء الخبر إلى الرسول صلّى ا عليه وسلّم :" إن ا سلّطَ علـى كِسرى إبنه شيرويه فقتله" فلّما قَدِم الرسولان أخبرهُما الرسُول صلّى ا عليه وسلّم هذا الخبرفقالا له: إنَّا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا . أفنكتب هذا عنك ونخبره الملك ؟ قال : نعم ! إخبراه ذلك عنّي ، وقولا له إنك إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك وملكتـك على قومك من الأبناء .[1] وقال إبن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : لما قدم نصارى نجران على رسول ا صلّى ا عليه وسلّم المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلّى العصر عليهم ثياب الحبرات جُببُ وأرديه قال : يقول بعض من رآهم مـن

---

[1] الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الطبري، عدد الاجزاء 16، الجزء الثالث ، دار الكتب العلمية ص (9)

أصحاب النبي صلّى ا عليه وسلّم يومئذٍ : ما رأينا وفداً مثلهم ، وقد حانت صلاتُهم فقاموا في مسجد رسول ا صلّى ا عليه وسلّم يصلون ، فقال رسول ا : دعُوهم ، فصلوا إلى الشرق وليس هناك من تسامح أعظم من هذا التسامح الديني والذي ينم عن أخلاقٍ كبيرةٍ بحيث أن الرحمة المهداه نبي الهدى الرسول إلى الناس كافةً قال مخاطباً أصحابه بكلمة هي القول الفصل المبين :" دعوهم ، فصلوا إلى الشرق" [1] إنها قمة الديمقراطية والتسامح الديني والسماح للآخر المختلف في الدين لممارسة صلاته وشعائر دينه حتّى في مسجد الرسول صلّى ا عليه وسلّم ، أعتقد جازماً أن هذا الفعل يدُلُ دلالة واضحة على روح الإسلام المشبعة حد الإمتلاء بالسلم واحترام عقيدة الآخر ، لأن أصل الدعوة المحمدية النبوية جاء بالأصل ليقر هذا المبدأ الشريف من مبادئ الحياة ، وعندما طلب وفد نصارى نجران من الرسول حين وفدوا عليه فقالوا له : يا أبا القاسم :" قد رأينا الا نُلاعنك ، وأن نتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن إبعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء إختلفنا فيها من أموالنا ، فإنكّم عندنا رضاً فقال رسول ا صلّى ا عليه وسلّم :" إئتوني العشيّة ، أبعث معكم القوي المأمون ، فكان عمر بن الخطاب رضي ا عنه يقول :" ما أحببت الإمارة قطّ حبي إياها يومئذٍ" فلما صلى بنا رسول ا صلّى ا عليه وسلّم الظّهر سلّم ، ثم نظر عن يمينه وعن يساره ، فجعلت أتطاول له ليراني ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رآى أبا عُبيدة إبن الجراح فدعاهُ فقال": أُخرج معهم فاقضي بينهم بالحق فيما إختلفوا فيه فقال عمر :" فذهب الوفد في حمى أبي عُبيدة " [2] وهذا الدرس الثاني البليغ الأثر والعميق الدلالة ، بعد السماح لوفد نصارى نجران بالصلاة في مسجد رسول ا عليه السلام وهو يدل على سماحة النبي الكريم وعلى لين جانبه حين وافق على أن يبعث مع هذا الوفد سيدنا أبو عبيدة عامر إبن الجراح بعد أن طلبوا من الرسول عليه السلام أن يحكم بينهم في إختلافهم في أموالهم ولم يرفض الرسول عليه الصلاة والسلام طلبهم وسمح لهم بالعودة إلى بلادهم في نجران وأرسل معهم سيدنا أبو عبيدة ، على ماذا تدل هذه الاخلاق الكريمة ؟ الآ تدل على قيم التسامح مع الآخر وعلى النبل والشهامة وقمة الإنسانية

---

(1) إبن هشام، السيره النبويـة، الجزء الثاني، ص (32) الثياب الحبرات : العباءات والبرود اليمانية المخططة .

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق، ص (33)

الحقة التي أبداها رسول البشرية الكريم ؟ على الرغم إنه كان قادراً أن يرفض أن يبعث معهم قاضياً يقضي بينهم ، ولكن لأن الرفق واللين والتسامح من مرتكـزات الـدعوة الإسلامية ، فقد قدم الإسلام هذه الصورة الرائعة للذين يدعون ويتحدثون عـن حقـوق الإنسان وعن حوار الحضارات وقيم الرقي الفكري والعظمة الروحية ، إننا من خـلال هذا الجانب المهم أن نركز على هذا الجانب السلمي الذي كان هو الأصل فـي علاقـة الإسلام مع غيره من الملل الأخرى ، والأدلة والأمثلة والشواهد كثيرة لا حصر لهـا ، ومن يستعرض السيرة النبوية المطّهرة يلاحظ أن صاحب الدعوة محمد بن عبدا عليه الصلاة والسلام كان جم الأخلاق ، صادق الوعد ، أمين على الـسر ، يحفـظ الميثـاق والعهود وعندما جاءهُ رجل من الأعراب وخاف من هيبة رسـول ا عليـه الـصلاة والسلام وقال له : " لا تخف إنما أنا إبن إمرأةٍ من قريش تأكل (القديد) [1] وهذا مـن طيب تواضع الرسول الكريم ، الذي كان كريماً وجواداً ولم يؤذِ أحداً طيلة حياته بكلمة نابية الاّ أن تنتهك حدود ومحارم ا والحديث الرائع في دلالته العظيمـة علـى البعـد السلّمي الأخلاقي الإنساني حديث : (هذا الدين متين فأوغل فيه برفق)[2] هذه الـدعوة الكريمة من نبي كريم عليه الصلاة والسلام يتحدث عن رسالة عظيمة كان يُدرك إدراكاً واعياً إنها ستدخل كل بيت ، لإنها دين ا الذي ينزل به القـرآن الكـريم أنـاء الليـل وأطراف النهار ، في زمن بلغ فيه الظلم مداه ، وأنتُهكت كرامة وآدمية الإنـسان أمـام مجتمعات قبلية تعبد الأوثان وتجعل من العادات والاعراف ومـا وجـد عليـه الأبـاء والأجداد ديناً يرتقى لمرتبة القداسة ، لا يجرؤ كائناً من كان قبل إنبثاق الدعوة المحمدية أن يتمرد عليه ، لأنهم هكذا ولدوا وعظّموا شعائر الجاهلية ، فجاء الإسلام أول ما جـاء مخاطباً العقول ثم القلوب والأرواح ، ولذا كان ينبغي للدعاة الأوائل من طبقة ا لصحابة الكبار الذين إعتنقوا الإسلام وكانوا يتلقون القرآن الكريم والسنة النبوية مباشرةً من فـم الرسول الطاهر عليه الصلاة والسلام ، كان لزاماً عليهم أن يكونوا رفقاء بالناس ليبتعدوا عن حمية الجاهلية وهم يدعون إلى ا ويخلخلون بنيان الشرك من القواعـد ، وهكـذا إنطلقت الدعوة إلى الناس في ذلك المجتمع الثري الأرستُقراطي ورافقتهـا كلمـات ا القدسية المباركة تساوي بين الناس في العبودية وتعلمهم معنى أن يكون الإنسان عبداً

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، مرجع سابق ، ص (586) والقديد هو اللحم المجفف في الشمس

(2) البوطي، حديث صحيح اخرجه احمد بن حنبل، اخرجه البزار الجامع الصغير.

، لا يحني جبينه الا لخالقه وهو ساجداً في الصلاة ورافض كُـلّ عبوديـةٍ لغيـر ا كسجود الفرس لكِسرى والروم لقيصر وهذا منطلق الإسلام في إخـراج النـاس مـن عبودية الناس إلى عبادة رب الناس ، ولكن بالرفق واللين والمعاملة الحسنة ، والقـول الطيب الذي تدرك معناه الأفهام ويستقر في النفوس ، إنها الدعوة التـي كـان أصـلها الخطاب الإلهي والخطاب النبوي لإنقاذ المجتمعات البشرية من النار ، لهذا كان أصـل الدعوة سلمياً ، وكان السلم هو الضرورة القصوى من أجل إقناع الناس بجدية الـدعوة وتميزها وإختلافها وكانت لغة التخاطب والحوار والعبارات المنتقاه في رسـائل النبـي عليه الصلاة والسلام تدلُ دلالةً واضحةً على حق الإختيار بين الإسلام والكفر بالنـسبة للملوك والقياصرة والأكاسره وحقوق الناس في أعناقهم من خلال مبدأ الحرية والإختيار وإلا باؤوا بإثم شعوبهم الذين يأتمرون بأمرهم ، ويتبعون ملوكهم وينصاعوا لرغباتهم ، ثم وردت في كلّ الرسائل المحمدية عبارة" أسلم تسلم" وهما كلمتان عظيمتان في الخطاب النبوي ورد فيهمُا السلم مرتين ، لما لأهمية الحوار السلمي من أثر في نفوس الملوك ، وخلافاً للغة" إقتُل تُقتل" أو" حارب تُحارب"، هذا الأثر النفسي التي تركته الرسائل فـي نفوس أصحابها من المرسل إليهم لأن لغة"السلم" المتكررة هي منطلـق وروح الـدعوة الإسلامية ، وقد تركت أثراً طيباً في نفس قيصر الروم فأكرم رسول رسول ا وأغـدق عليه وكساه الملابس الثمينة ، بينما أحدثت أثراً عكسياً في نفس كِسرى الفرس فثـارت ثائرته ومزق الرسالة شرّ ممُزق ، وهنا دعا عليه الرسول صلّى ا عليه وسـلّم بـأن يمزق ا مُلكه ، وهذا ما حدث حيث قتله إبنه وأخذ الملك منه ، بينما أسلم النجاشي ملك الحبشة وبعث بهدايا الى الرسول صلّى ا عليه وسلّم ولا ننسى موقفه المشرف العظيم حين آوى إليه المهاجرين الأوائل من المسلمين الى الحبشة وأمنهم على حياتهم وأنـزلهم منزلاً مباركاً طيباً عندما مات هذا الملك المؤمن المسلم صلى عليه الرسول صـلى ا عليه وسلم مع الصحابة الكرام صلاة الغائب إن هذا الرقي في إسلوب التخاطب والتعامل والتحاور مع أصحاب الأمر كان إسلوباً حضارياً ركز عليه الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لتأليف القلوب وجذبها إلى الإسلام الدعوة العالمية التي جاءت لتخاطب الآخـر وتعطيه حقه في الإختيار من دون قيودٍ أو شروط إن عبارة" أسلم تسلم فيها نفحات مـن عبقرية الرسول الفذّة في مخاطبته الآخرين ترغيباً لهم وترهيباً ، وهكذا جاءت الرسائل الشريفة في إسلوب سلمي بعد تشكّيل الدولة القوية في المدينة المنورة ، وكانت منعطفـاً

حاسماً في حياة الدعوة الإسلامية إذا بدأت وفود القبائل تتقاطر وتتوافد على المدينة مُعلِنةً إسلامها بعد إن إنتهت قريش الكافرة وعم الإسلام الحجاز وأجزاء من الجزيرة العربية ، وكان الأثر النفسي كبيراً في نفوس قبائل العرب التي لم تسلم بعد ، إذ أدركت أن دولـة الإسلام العظيمة تجاوزت دائرة العرب وأصبحت تخاطب العالم من خلال هذه الرسائل ، أي بمعنى أنها أصبحت دولة عالمية قائدها الرسول عليه الصلاة والسلام وإنهـا تقـف موقفاً قوياً وسلمياً في آنٍ معاً مكّنها أن تخاطب إمبراطوريات ودول عظيمة مثل الـروم والفرس والحبشة ، ولم تخاطب العرب لأن عاصمتهم الجديدة المدينـة المنـورة تفـتح ذراعيها لإستقبال القبائل الوافدة لإعلان إسلامها بعد ان إنتهت دولـة قـريش الكـافرة وزالت من الوجود إلى أبد الأبدين ، وهكذا كان لهذا الخطاب السلْمي التأثير الكبير فـي بنية الدولة الإسلامية الفتية التي رغم قوتها وهزيمتها لجاهلية العرب ولأوثانهم وعقيـدة قريش الفاسدة ، ألا أنها لم تتخل عن خطاب الدعوة الأول الذي حاور النّاس بالتي أحسن بإحب الكلمات إليها ومع إختلاف الموقف السياسي والعسكري والإسلوب النفسي فـإن إسلوب الدعوة ظلّ ثابتاً في إيقاعه السلْمي ، لأن هذا الأصل الكبير في الدعوة الإسلامية ، أما باقي الأحداث فإنها جاءت لضرورة المرحلة ، ولإتساع رقعة الدعوة ، ولإرتـداد العرب بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبداية عهد جديد من حروب الردة التي كانت ضرورية لحماية الإسلام من الذين لم يصل الإيمان إلى قلوبهم ، والمحافظة علـى المكتسبات الدينية والتاريخية والحضارية التي حقّقها الإسلام منذ إنطلاقته الأولـى فـي المجتمع المكّي القديم .

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه ا : وكانت سيرته صلى ا عليه وسلم ، ان كـل من هادنه من الكفار لم يقاتله ، وهذه كتب السير والحديث والتفسير والفقه والمعاني تنطق بهذا ، وهذا متواتر من سنته فهو لم يبدا أحدا من الكفار بقتال ، ولو كان ا أمره ان يقتل كل كافر لكان يبتدئهم بالقتل والقتال" [1] وقد يسأل سائل ما هي الاسباب التـي أدت الـى الحرب مع الروم ما دامت هذا الدعوة سلمية ؟ والجواب أنه فـي ذروة هـذا الأسـلوب الحضاري في التعامل مع الأمراء والملوك ورؤساء القبائل بدأت الدولة الرومانيـة التـي تجاور هذه الدولة الوليدة الفتيه وتحتل بلاد الشام احتلالاً كـاملاً وتقـيم تحالفـاً أساسـياً وأيديوجياً عقائدياً مع قبائل العرب المتنصرة مثل لخم وجذام والغساسنه بدأت تدق نواقيس

[1] بن تيمية، احمد بن عبد الحليم، رسالة القتال ، ص(125)

الخطر وتشعر بالخوف الشديد على مصالحها التي بات يهددها العرب المسلمون ، عنـدما أصبحوا دولة واحدة قوية تآخت أرواحهم وأتحدت قلوبهم تحت رايـة النبـوة المحمديـة المظفرة فكان لابد من جس النبض ومحاولة معرفة الخصم العربي ومدى ما يتمتع به من قوة واستعداد للحرب والقتال ، اذا فشلت كل الوسائل السلمية ، وكان الأمر المهم الذي بدأ يقض مضاجع الروم هو انتشار الدعوة الإسلامية بين القبائل العربية التي كانـت تحـالف الروم وملكوها على شعوبهم ، هذه الشعوب التي كانت يرهقها الروم بالضرائب والجزيـة مقابل الحماية فكان لابد من عودة الفرع الى الأصل ، لان العرب اصبح لهم الان دولـة قوية غير مسبوقة في التاريخ ولا بد من الخلاص من الروم الذي هم فـي نهايـة الأمـر غرباء ومحتلون لأرض القبائل العربية في بلاد الشام ، فكان لا بد من حتمية الصراع وقد أفضت إليه الأسباب الموجبه اليه ولهذا قام الروم بتأليب القبائل العربية المتحالفـة معهـم بالتصدي لمرحلة أنتشار الدعوة الإسلامية خارج الحجاز وجزيرة العرب والتعرض بالقتل والصلب للرسل من العرب المسلمين الذين يحملون رسائل الرسول الكريم الـى زعمـاء المدن والقبائل العربية ، على أمل ان تخاف دولة المدينة الإسلامية الأولى مـن تـربص الروم ومحاولتهم وقف انتشار الإسلام .

2.4.2 اسباب قتال المسلمين مع الروم :

أستشهاد الحارث بن عمير الازدي رسول رسول ا صلى ا عليه وسلم حين نتناول سيرة هذا الصحابي الجيل الذي مر من طريق يطل على ضانا، وأستشهد في موقع شرقي بصيرا (عاصمة الآدوميين العرب) فأن الضرورة تقتضي أشارة ولو متعجلة الى كتب الرسول صلى ا عليه وسلم لملوك وأمراء في بلاد الشام ، فاذا ذكر المؤرخون ان دحية الكلبي ارسل الى قيصر الروم مرواً بأمير (بصرى) ، ثم أرسل شجاع بن وهـب الأسدي الى الحارث بن ابي شمر الغساني وهو أمير بصرى ، فكيف نفسر توجيه الحارث بن عمير لامير بصُرى ايضاً ؟ فليس من خلق الرسول عليه الـسلام أن يـستجدي احـد برسالتي او ثلاث ، لنقف قليلاً في جنبات الموقع الذي توحي الادلة بأنه مقتل الحارث بن عمير وهو بمحاذاة بلدة (بصيرة) التي كانت تسمى بصره أو بصرى وهي بؤرة لاحداث مضت فلم تكن نكرة ، فهي وغرندل والسلع وذات السلاسل ، مواطن تجمع كثيف لقبائل عرب الغساسنه وبصيرة القديمة كانت مقر أسقفية قسطنطين الثالث ، فلا يعقل ان الرسول

صلى ا عليه وسلم ترك هذه البقعة كثيرة القرى والمضارب دون تبليغ وبالتـالي فـان وجود الحارث بن عمير في المكان يشير الى أحتمال كبير انه ارسل الى بصيرة التي هي بصيرة الحالية ، وجاء تشابه اللفظ بين بصيره الشمال وبصيرة الجنوب غالباً فالحارث بن عمير لم يصل مؤته ليقتل هناك ولو كان مقتله في مؤته لما تردد المسلمون ليلتـين وهـم يهجمون للقاء بالروم من دون جزء من وصية الرسول صلى ا عليه وسلم هو الوقوف على قتل الحارث ونادى بالمسلمين يا خيل ا اركبي ولا مجال لمخالفة الوصـية التـي زود بها المسلمون ، ويمكن ان تستغل علاقات الحارث بن عمير وشر حبيل بـن عمـرو الغساني الذي كان عامل الحارث الغساني في المنطقه.

وقد بعث رسول ا صلى ا عليه وسلم الحارث بن عمير الازدي بكتابه الـى شرحبيل بن عمرو الغساني حاكم (بصرى) وبعد مقتل الحارث- اراد الرسول الكـريم صلى ا عليه وسلم ان يبعث بعثان الى بصره فتجهز الناس وهم ثلاثة الاف فهل هـذي بصرى الشام الشمال ؟ ان شرحبيل كان أميراً في بصيره الجنوب (بصيرا) وما حولهـا وهي المنطقة التي توجه جيش المسلمين لها ، وليس منطقة بصرة الشمال التي تقف بينها وبين المسلمين مسافات وجيوش لم تحن مواجهتها بعـد ، الا أيـام الفتـوح فـي العهـد الراشدي.[1]

اذاً نقول أن مقتل رسول رسول ا صلى ا عليه وسلم الحـارث بـن عميـر الازدي في الغالب وجرى في العادة انه لا تقتل الرسل ، كان هذا الدافع الاول و الـسبب المباشر للاحتكاك بالروم الذين كانوا يحتلون بلاد الشام ، وانهم قـدموا لمعركتـي مؤتـه واليرموك فيما بعد والسبب الاخر هو قتل(فروه بن عمرو الجذامي) وهو أمير من أمـراء العرب يعود نسبه الى قبيلة جذام التي كانت تقطن جنوب الاردن ،وهي من قبائل العـرب الممتده ، وكان عاملا للروم على البلقاء والجنوب ويختصر ياقوت الحموي خبره قائلا:

قال ابن اسحاق : بعث فروه بن عمرو النافره الجذامي الى رسـول ا بأسـلامه وأهدى له بغله بيضاء وكان فروه عاملاً للروم على من يليهم من العرب وكـان منزلـه معان وما حولها من أرض الشام فلما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى اخذوه عندهم ثم أخرجوه ليصلبوه على ماء يقال له (عفرى) فهو أول شهيد عربي في الاسلام من خارج جزيرة العرب ويخبرنا أبن سعد عن فروه : كان فروه بن عمرو الجذامي عـاملا للـروم

---

[1] القوابعه، فضاءات عربية (ضانا وقت السحر) 2005ص(102، 103)

على معان من أرض البلقاء فأسلم وكتب الى رسول ا صلى ا عليه وسـلم بإسـلامه وبعث به مع رجل من قومه يقال له مسعود بن سعد وبعث الى الرسول صـلى ا عليـه وسلم ببغله بيضاء يقال لها (فضله) وحمار – أسمه يعفور- وفرس يقال لهـا (الظـرب) وأثواب وقباء سندس مخصوصه بالذهب ، فقبل رسول ا صلى ا عليه وسـلم هديتـه وكتب اليه جواب كتابه وأجاز رسوله مسعود بأثني عشر اوقيه وبلغ قيصر اسلام فـروه فدعاه وقال له: ارجع عن دينك نملكك قال: لا أفارق دين محمد وانك تعلم أن عيسى قـد بشره به ولكنك تضن بملكك فحبسه ثم أخرجه فقتله وصلبه وقد اتهم بالخيانه العظمى [1]، وبعد مقتل فروه بن عمرو الجذامي بدأ الروم يستشعرون خطر الدوله الاسلاميه الجديـده التي بدأت تؤتي ثمار دعوتها في المنطقه العربيه وبين قبائل العرب التي تدين بالمـسيحيه مثل جذام وغسان وكانت عمليه القتل هذه للحارث الازدي وفروه الجذامي رسـائل قويـه للعرب أحلاف الروم بأن لايغامروا ويتبعوا الدين الجديد لان مصيرهم سيكون الـصلب والقتل والموت ولهذا اصبحت حتميه المواجهه كبيره بين المسلمين والروم لتحرير الارض العربيه من تجبر وبطش الدوله الرومانيه وهذه ما حصل بالفعل قبل وفاة الرسول صـلى ا عليه وسلم حين عقد لواء جيش اسامه الى بلاد الشام وانفذ هذا البعث سـيدنا ابـوبكر حيث وصلت خيول المسلمين الى (زيزياء) التي كان بها المعـسكر الرومـاني والبركـه الرومانيه المشهوره ثم وقعت معركه مؤته وبعدها كانت معركة تحرير بلاد الـشام فـي معركه اليرموك تحريرا نهائيا وكبيراً .

---

[1] ابن اسحق، المغازي والسير ، ص(125)

الفصل الثالث

أصل العلاقات الدولية في الإسلام

لا نزاع بين الفقهاء على مشروعية الحرب نفسها وإنما النزاع بينهم في أصل العلاقات بين المسلمين وغيرهم ، هل هو السلم أو الحرب ؟ :

أولاً :- ذهب بعض الفقهاء إلى أن أصل العلاقات الدولية هو الحرب لا السلم ما لم يطرأ ما يوجب السلم من إيمان أو أمان ولا فرق في ذلك بين أن تكون هذه الدولة قد اكتسبت وصف العداوة باعتداء مادي على المسلمين أو إعداد لهذا الاعتداء أو ما اكتسبته بغير ذلك ولو بمجرد المخالفة في الدين بعد أن بلغتها دعوة الإسلام .

ثانياً : ما جاء في السنة النبوية من حديث أبن عمر رضي ا عنهما : أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال: " **أمرت أن أقاتل الناس حتّى يشهدوا أن لا إله إلاّ ا وإن محمداً رسول ا ويقيموا الصلاة ،ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام ، وحسابهم على ا تعالىً** [1] هذا الحديث واضح بحيث لا يدع مجالاً للشك في أن الإسلام يوجب على أهله قتال من لم يعتنق الإسلام حتى يسلم أو يعطي الجزية .

ثالثاً : المعقول : أن التعاليم الإسلامية تأتي لإصلاح ما فسد من عقائد الناس ونظم الحياة ، فإن لم تصحح عن طريق الرفق واللّين ، وجب أن تصحح عن طريق القوة والرهبة وذهب آخرون إلى أن أصل العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم السلم لا الحرب ، فمن لم يعتنق الإسلام ولكنه سالم دعوته فلم يعترض سبيلها ولا أضطهد القائمين بها فهو آمن من الحرب ، ولا يسمح الإسلام بقتاله ، فلا يكون بين المسلمين وغيرهم قتال إلا بسبب طارئ وعدوان على الدين والدولة وهذا هو الراجح الذي نؤمن به ونسير عليه ، فالحرب أمر طارئ وذلك دفعاً للشر والعدوان وحماية الدعوة لا للغلب أو المخالفة في الدين ، فالدعوة الإسلامية تكون في الغالب بالحجة والبرهان لا

---

[1] النيسابوري، أبي الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم ،206 -261 هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ، جزء 3 ، ص (1340)

بالسيف والسنان ، وهذا هو الملائم والمفهوم من النظرة الشاملة لهذا الدين [1] ونـص القرآن الكريم على أن السلم هو أصل العلاقات بين المسلمين وغيـرهم حتـى يكـون اعتداء فتكون حينئذ ضرورة دفاعاً عن النفس وحق البقاء لهجوم تكون المبـادرة فيـه ضرباً من الدفاع ، قال ا تعالى **:(وإن جنحواْ لِلسلْمِ فَاجنح لَها وتَوكلْ علَى اللّهِ إِنـه هو السمِيع الْعلِيم)** [2] وقال تعالى **:(حتى تَضع الْحرب أَوزارها)**[3] وقرر القرآن مبـدأ السلم العالمي قال تعالى : **(يا أَيها الَّذِين آمنُواْ ادخُلُواْ فِي الـسلْمِ كَآفَـةً ولاَ تَتَّبِعـواْ خُطُواتِ الشيطَانِ إِنه لَكُم عدو مبِين)** [4] وأعلن القرآن الكريم مبدأ التـزام المـسلمين بالسلام والأمن والود والطمأنينة في آية قال تعالى:**(فَإِنِ اعتَزلُوكُم فَلَم يقَاتِلُوكُم وأَلْقَـواْ إِلَيكُم السلَم فَما جعلَ اللّه لَكُم علَيهِم سبِيلاً)**[5] وآية قال تعالى**:(لَا ينْهاكُم الله عنِ الَّذِين لَم يقَاتِلُوكُم فِي الدينِ ولَم يخْرِجوكُم من دِيارِكُم أَن تَبروهم وتُقْسِطُوا إِلَـيهِم إِن اللَّـه يحِب الْمقْسِطِين)** [6] وأما آيات القتال الداعية إلى الجهاد فيجب فهمها كُلها مع بعضها دون ترك آية منها ، ومجموعها يدل على أن القتال محدد بالسبب الأصلي الـذي مـن أجله شرع الجهاد وهو أحد أمرين : أما دفع الظلم قال تعالى:**(أُذِن لِلَّذِين يقَاتَلُون بِأَنَّهم ظُلِموا وإِن الله علَى نَصرِهِم لَقَدِير)** [7] أو قطع الفتنة وحماية الـدعوة قـال تعـالى : **(وقَاتِلُوهم حتى لاَ تَكُون فِتْنَةٌ ويكُون الدين لِلّهِ فَـإِنِ انتَهـواْ فَـلاَ عـدوان إِلاَّ علَـى الظَّالِمِين)** [8] والآيات المطلقة بشن الحرب مثل آية قـال تعـالى:**(واقْتُلُـوهم حيـثُ ثَقِفْتُموهم)** [9] محمولة على الآيات المقيدة المبيحة للقتال بسبب العدوان أو الاعتداء مثل آية قال تعالى **:(وقَاتِلُواْ فِي سبِيلِ اللّهِ الَّذِين يقَاتِلُونَكُم ولاَ تَعتَـدواْ إِن اللّـه لاَ يحِـب**

---

(1) الزحيلي ، موقف الإسلام من اتباع الرسالات الالهية الاخرى ومن الأنبياء والرسل والكتب الالهية ص (170)

(2) سورة الأنفال ايه (61)

(3) سورة محمد أيه (4)

(4) سورة البقرة ايه (208)

(5) سورة النساء أيه (90)

(6) سورة الممتحنة ايه (8)

(7) سورة الحج أيه (39)

(8) سورة البقرة ايه (193)

(9) سورة البقرة ايه (191)

المعتَدِين)[1] فا سبحانه وتعالى أوجب على المـسلمين أن يقـاتلوا المعتـدين دفعـاً لاعتدائهم ، وإزالة ظلمهم ، حتى لا يقف حائل بين الدعوة والمدعوين ويكون الدين ومن المبادئ الأصولية المقررة أن المطلق يحمل على المقيد في حالة تماثل الـسبب ، أي أن الآيةَ المطلقة بتشريع القتال سواء وجد اعتداء أم لا مقيدة بالآية التي تقيد : **إنما القتال لمن قاتلنا** [2] ومن الأحاديث النبوية التي تدعو إلى السلم ، مثل قوله عليه الصلاة والسلام :**(يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا ا العافية)** [3] وحصر الرسول صلى ا عليه وسلم غاية القتال في دائرة الحق والعدل والدعوة إلى الإسلام فقال **:(من قاتل لتكون كلمة ا هي العليا فهو في سبيل ا)** [4] أما حديث :**(أمرت أن أقاتـل الناس حتى يقولوا : لا إله إلاّ ا)** فالمراد به مـشركوا العـرب خاصـةً بإجمـاع العلماء[5] وأما القول بأن للدين دعوتين : دعوة باللسان ودعوة بالسنان لإصلاح عقائـد الناس وأنظمة الحياة ، فلا يتفق مع طريق الدعوة ، التي بينها القـرآن الكـريم لنـشر الإسلام . وهي الدعوة بالحجة والبرهان والإقناع بالمنطق والعقل في قوله تعـالى:**(ادع إِلى سبِيل ربك بِالْحِكْمةِ والْموعِظَةِ الْحسنَةِ وجادِلْهم بِالَّتِي هِـي أَحـسن)** [6]ولـيس الإكراه والقهر من وسائل الدعوة المشروعة ، لأن الدين أساسه الإيمان القلبي والاعتقاد عن طواعية واختيار لقوله تعالى:**(لا إِكْراه فِي الدين قَد تبين الرشْد مِن الْغَي)**[7] وأمـا الأمر في قوله تعالى **:(وأَعِدواْ لَهم ما استَطَعتُم من قُوةٍ)**[8] فهو مـن أجـل إرهـاب الأعداء الطامعين وإخافتهم ، وأما الأحاديث الأخرى مثل: (**بعثتُ بين يـدي الـساعة بسيف حتى يعبد ا تعالى وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل**

---

(1) سورة البقرة ايه (190)

(2) الزحيلي ، مرجع سابق ص (171)

(3) اخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد ا بن أبي رضي ا عنهما ، صحيح مسلم

(4) متفق عليه للإمامين الشيخين البخاري ومسلم

(5) رواه احمد في مسنده وأبو يعلى في مسنده والطبراني في الكبير عن أبي عمر وفي فتح الباري ج64/1 ، القسطلاني، شرح البخاري ج106/1 و النسائي، سنن، ج 2/6

(6) سورة النحل آية (125)

(7) سورة البقرة آية (256)

(8) سورة الأنفال آية (60)

الذل والصغار على من خالف آمري) [1] فيقصد بها بين أهمية الجهـاد للـدفاع عـن الدعوة فلولا الاعتداء ما جاهد المسلمون . [2]

1.3 الإسلام دين الرحمة

والإسلام شريعة السلم ودين الرحمة ، وأسمه مشتق من مادة السلام والمؤمنـون بهذا الدين لم يجدوا لأنفسهم إسماً أفضل من أن يكونوا المسلمين ، وتحية أهلـه فيمـا بينهم السلام ، وختام الصلاة عندهم سلام على اليمين وسلام على اليسار ، وقد أنزل ا عز وجل القرآن الكريم في ليلة وصفها بأنها سلام ، ولن يتأخر عن الاستجابة لـدعوة السلام ولن يردها أبداً عملاً بقوله تعالى" **وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكـل علـى اللّهِ**[3] ويقول احمد عادل كمال:" وليس في الدنيا شريعة دينية ولا نظام اجتماعي فرض السلام تدريباً عملياً وأعتبره شعيره من شعائره وركناً من أركانه كما فـرض الـسلام بالإحرام في الحج ، فمتى أهل المسلم فقد حرم عليه أن يقُص ظفراً أو يحلق شـعراً أو يقطع نباتاً ، أو يعضد شجراً أو يقتل حيواناً أو يرمي صيداً أو يؤذي أحداً بيده ولـسانه ومع ذلك ، فإن الحروب ضرورة من ضرورات الحياة دفاعاً عن الـنفس والـوطن ، لردع المعتدي ، وكف الظالم ونصرة الحق ، والإسلام دين لا يفر من الواقـع ، لـذلك أعتبر الحرب شراً لا بد منهُ وعمل على تنظيم قواعدها وأحكامها .[4]

---

(1) روه احمد وابو يعلى والطبراني عن ابن عمر ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام : (بعثني بسيف : أي بعثني لأقاتل في سبيل ا من يقف أما دعوتي ،والمراد بالذل : هزيمة الشرك والوثنية، والصغار عدم التزام أحكام الإسلام ، وجعل رزقي أي من الغنيمة بحسب المألوف بين الناس والواقع القائم بين المسلمين والمشركين)

(2) الزحيلي : مرجع سابق ص (172)

(3) سورة الانفال ، آية (61) .

(4) كمال، احمد عادل كتاب المدائن ونهاية الدولة الساسانية، دار النفائس، الطبعة الثانية 1981م، ص (336)

2.3 مشروعية الجهـاد :

إن الإسلام حين قرر أن الجهاد هو لإعلاء كلمة ا وتخليص الإنسانية من ظلم الأنظمة البشرية وإزالة الظلم يعني إرساء قواعد العدل أي إرساء قواعد السلّم والسلام فالجهاد يمنع الظلم والاستبداد ويرفعه عن بني الإنسان ، إن في هـذا إعـزاز للـسلّم والسلام وإذلال للباطل ، ولولا دفع الباطل بالقتال لهدمتْ صوامع العباد وخُربت بيوت ا وكنائس النصارى(وما قام مُصلح بدعوة إصلاح فإذا كان الباطل فلا بد أن يكـون للحق شوكة تصيب الباطل)[1] وقد قال ا سبحانـه في ذلك :**(أُذِنَ لِلَّذِينَ يقَاتَلُونَ بِأَنهم ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ على نَصرِهِم لقَدِير{39} الَّذِين أُخْرِجوا مِن دِيارِهِم بِغَيرِ حـق إلـا أَن يقُولُوا ربنَا الله ولَولَا دفْع اللهِ الناس بعضهم بِبعضٍ لهدمتْ صوامِع وبِيع وصـلَواتٌ ومساجِد يذْكَر فِيها اسم اللهِ كَثِيراً ولَينصرن الله من ينصره إِن الله لَقَوِي عزِيز)** [2] إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد قررت أن الجدال قبل القتال ودعوة الناس تبدأ باللسان قبل اللجوء إلى السنان و المكالمة بالحروف قبل المقارعة بالسيوف فقال سبحانه وتعالى**(ادع إِلَى سبِيلِ ربك بِالْحِكْمةِ والْموعِظَةِ الْحسنَةِ وجادِلْهم بِالَّتِي هِي أَحسن)** [3]، ولو كان النبي صلى ا عليه وسلم يجعل الحرب أساساً لما امتثـل لأمـر ا بـدعوة الناس بالتي هي أحسن ولما كان لهذا التنزيل من معنى [4] و تذكر لنا السيرة مثاليـة النبي صلى ا عليه وسلم ورحمته الحانية ، فقد كان يؤذى فيصبر ، ويهان فيـصفح ، نزل عليه جبريل بقول ا تعالى :**(وإِن عاقَبتُم فَعاقِبواْ بِمِثْلِ ما عوقِبتُم بِهِ ولَئِن صبرتُم لَهو خَير للصابِرين)** [5] فيقول النبي الرحيم **:(بل نصبر)** [6] وتمكين الرسول صـلى

---

(1) أبو زهرة، محمد، العلاقات الدولية في الإسلام ، ص (19)

(2) سورة الحج الآيتان (39-40)

(3) سورة النحل آية (125).

(4) الحسن، محمد علي، العلاقات الدولية في القرآن والسنة 1400 هـ ، 1980م ، منشورات مكتبة النهضه الاسلامية ، عمان ص (264) .

(5) سورة النحل آية (126).

(6) ابن يتميه، مجمع الفتاوي ج28، ص(314) قيل انها نزلت لما مثل المشركون بحمزة وشهداء بدر فقال النبي صلى ا عليه وسلم" لئن اظفرني ا بهم لامثلن بضعفي ما مثلوا بنا" فانزل ا الاية وان عاقبتهم فعاقبوا" فقال النبي الرحيم" بل نصبر".

الله عليه وسلم من أهل مكة ويقفون أمامه موقف الذليل المستسلم ولكنه يقول : **(فاذهبوا فأنتم الطلقاء)**[(1)] فنظرة في سيرة هذا النبي صلى الله عليه وسلم تُرينا أن الانتقام ليس من خُلقه وان الحرب وما ينتج عنها من إهدار للدماء أمر كرهه الله إليه ولو كانت الحرب أصلاً لما قرأنا مواقف كهذه المواقف ولا سيرة كهذه السيرة بل لقرأنا بطولات الملاحم وأساطير الانتقام ، و قد يعترض معترض فماذا يعني أمر الله الأعداد للقتال ؟ والجواب عند ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد بين المقصود من الإعداد للقتال فقال تعالى: **(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ)** [(2)] فأمر الإعداد بين الله الهدف منه ، ففيه إرهاب لأعداء الله الذين يقفون أمام دعوة الله هذا هو المقصود من الإعداد والتجهيز للقتال وتعبئة الجند والنفير إلى غير ذلك بالقوة العسكرية التي تُنزل في قلوب الأعداء الخوف وتؤرق مضاجعهم فتجعلهم يحسبون للمسلمين ألف حساب ويحاولون قدر استطاعتهم مجانبة الصدام مع المسلمين وبذلك تحفظ دماء المسلمين وغير المسلمين وهذه سمة من سمات النبي محمد صلى الله عليه وسلم تفرد بها عن غيره من الأنبياء ، ففي الحديث أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي منها**(نصرت بالرعب مسيرة شهر).**[(3)] ويكفي أن نُمعن النظر في هذه الآيات وهذه الآية الكريمة قال تعالى : **(وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً)** [(4)] ويكفي أن نذكر ذلك الشعار الذي يرفعه قواد المسلمين وهو **(والله إن إسلامكم أحب إلينا من حربكم)**[(5)] لذلك يمكن أن نقرر أن الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم وهذا رأي أكثر الفقهاء ، وقد ذهب بعض الفقهاء في زمن الأمويين والعباسيين والحرب مشتعلة إلى أن الأصل في العلاقة هو الحرب وقد أخذوا قولهم بالواقع كما يقول الشيخ أبو زهرة لا من أصل النصوص وليس أولئك هم الأكثرية ومنهم من لم يأخذ الحكم في الواقع بل أخذه من النصوص

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية، المجلد الأول، باب فتح مكلة عام 8 هـ ص (70) .

(2) سورة الانفال آية (60)

(3) مسلم ، صحيح مسلم ص (521)

(4) سورة النساء ، جزء من الآية (94)

(5) الحسين ، مرجع سابق، ص 266

القرآنية والأحاديث النبوية والحروب المحمدية وأعتبر العلاقة هي السلم حتـى تكـون دواعي الحرب [1] وآيات القرآن الكريم قد أمرت بالسلام العام ،وأمرت المسلم بالسلام على نفسه وإخوانه قال تعالى :**(فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عنـد الله مباركة طيبة)** [2] وأمر الله عباده بالسلام على نبيهم الكريم قال تعـالى **(إن اللـه وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)** [3] وجعل الله السلام تحية عباده الصالحين قال تعالى:**(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهـم وتحيتهم فيها سلام)** [4] وجعلهُ مفتاحاً لدخول البيوت قال تعالى: **(لاتدخلوا بيوتاً غيـر بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)** [5] وجعله تحيـة لجميـع الرُسـل قـال تعالى:**(سلام على نوح في العالمين)** [6] وقال تعالى:**(سلام على موسى وهارون)** وقال تعالى **:(سلام على إبراهيم)** [7] وقال تعالى :(**وسلام على المرسلين)** [8] وجعلهُ تحيـة أهل الجنة قال تعالى: **(تحيتهم فيها سلام)** [9] كيف لا يكون الإسلام دين السلام وكـل مسلم يقول في تشهده كل يوم مرات كثيرة **(السلام عليك أيهـا النبـي ورحمـة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)** [10] ثم نختم كل صلاة بالسلام وبهذا أشاع الإسلام السلام في هدايته وجعله تحية لأصفياء خلقه شعاراً لعباده المقربين بفضله المؤمنين بحكمته وقد رفع السلام فجعله اسماً لدار كرامته ونعيمه ثم رفعه وجعله إسماً لذاته العليا، وقال تعالى **(هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السـلام المـؤمن**

---

(1) ابو زهرة، مرجع سابق ص (51) .

(2) سورة النورآية (61)

(3) سورة الأحزاب آية (56) .

(4) سورة يونس آية (9 – 10).

(5) سورة النور ،آية (27) .

(6) سورة الصافات ، آية (79).

(7) سورة الصافات أيه (120)

(9) سورة ابراهيم ، آخر آية (23).

(10) الدكتور احمد الحوفي، تحت راية الإسلام، ص(60) .اصدارات المجلس الاعلى.

المهيمن)[1] وقال تعالى **(لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون)** [2]
ولقد جاء الإسلام بدعوة التوحيد العظيمة ، وكانت أول كلمة أُنزلت على قلب الرسـول صلى ا عليه وسلم هي أقرأ في سورة(العلق) وكانت الدعوة إلـى الفعـل الثقـافي (قراءة) هي الملمح الأول من ملامح التغيير وإنارة العقول المعتمة بنور القراءة التـي جاء به القرآن الكريم ليخرج أهل الجاهلية من الشقاء إلى النعيم ، ومن النّار إلى الجنّة وليدمج القبائل العربية وعصبية الجاهلية الأولى في مجتمع إخوة الإسلام ، فلـم يعـد الانتماء إلى قيس ويمن وقريش ومخزوم وتميم ، وإنما إلى ذلك العالم الشاسع الخصب الغني الوفير الذي أسمه الإسلام الدعوة العظيمة التي بدأت برجل ، حبب ا إليه العُزلة والخلاء والتأمل في ملكوت ا ، وبهذا الخلق العظيم من جبال وشموس ونجوم تلمـع مُضيئة في ظلام الليل ، كان هذا المتوحد هو النموذج الكامل للإنسان صـاحب العقـل والرجاحة والاتزان والنضج ، وكان الأوان قد حان لتغيير معايير الحياة علـى الأرض من خلال هذا النبي صلى ا عليه وسلم الذي شرفه ا باختياره فأنزل القرآن الكـريم عليه .

3.3 الباعث على الحرب في الإسلام :

الحرب أبغض الأشياء إلى النفس المؤمنة ، ذلك أن قوام الحـرب قتـل الـنفس البشرية ، والمؤمن لا تسوغ له نفسه أن يهدم ما بناه ا تعالى ، ولذلك ذكـر القـرآن الكريم أن الحرب أمر مبغض للمؤمنين ، لا يحبونه ولا يرتضونه لذاتـه ، ولكـن قـد يقبلونه إذا أمر ا تعالى به وكتبه عليهم لأنهُ خير لهم ، وإن الرحمة الإنسانية العامـة التي دعا إليها النبيون _ وخصوصاً النبي محمد صلى ا عليه وسلم لتوجب ألاّ تترك الرذيلة تتعدى على الفضيلة ، ولا الشر يطغى على الخير ، بل إن الرحمة توجب نصر الفضيلة ورد الشر والحروب في الإسلام ضرورة أوجبها قانون الرحمة العادل وقانون الأخلاق والسلوك الإنساني المستقيم ، وإن الباعث على القتال نأخذه من نصوص القرآن والسنة ومن حياة الرسول صلى ا عليه وسلم ومن معاملة الذين وجه دعوته إليهم ،

---

(1) سورة الحشر ، جزء من آية (23)

(2) سورة الانعام ، آية (127)

وعندما نتجه بتفكيرنا هذا الاتجاه نجد كُل نصوص القرآن تمنع الاعتداء أبتداء وتمنـع الاعتداء في أثناء القتال وقبل القتال[1] ثم نجد نصوص القرآن كلها تتجه إلى بيان القتال المطلوب هو دفع قتال المشركين قال تعالى :**(وقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ولاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ)** وقال تعالى : **(وقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ ويَكُـونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ)** وقال تعالى : **(فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ واتَّقُواْ اللّهَ واعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)** [2] والنصوص القرآنية أيضاً تمنع الاعتداء وتنهى عنه ، بل إنها تأمر بالصبر إذا أمكن رد الاعتداء من غير قتال ، وهو ذلك الأمر المبغض في الإسلام الذي لا يباح إلا لضرورة ملحـه إليـه لا تقبـل التأخير وإن الذي نراه من سيرة النبي صلى ا عليه وسلم ومن سيرة الخلفاء الراشدين الذين خلفوه في حمل مصباح هذا الدين يثبت لنا أن النبي صلى ا عليه وسلم مكـث ثلاث عشرة سنة يدعو إلى عقيدة الوحدانية ، بألا يعبدوا إلا ا تعالى وحده لايشركون به شخصاً مهما سمت منزلته ، ولا وثناً مهما توارثوا تقديسه ، ويـدعو إلـى مكـارم الأخلاق فتبعه ضعفاء مكة وعبيدها وبعض كُبرائها كأبي بكر وعثمان وعمر رضـي ا عنه فأنزل المشركون الأذى الشديد بالمؤمنين وخصوصاً بالضعفاء ولم يـسلم مـن الأذى حتى النبي صلى ا عليه وسلم إلا من كان ذا بطش شديد كعمر ابـن الخطـاب وحمزة بن عبد المطلب، [3] ولما هاجر النبي صلى ا عليه وسلم إلى المدينـة تـرك وراءه طائفة من المؤمنين يفتنون في دينهم ، ويذوقون عذاب الهون في سبيل اعتقادهم فصادر المشركون أموال المؤمنين الذين هاجروا واعتدوا على الذين لم يهاجروا فـي أموالهم وأنفسهم ، فكان الإذن بالقتال لهذا أيضا ، وسار القتـال فـي مجـراه وكانـت غزوات النبي للمعتدين وغزوات المشركين لإزعاج الآمنين ، والنبي لا يني عن دعـوة الحق ، ويدعو إلى حرية الاعتقاد قال تعالى: **(أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِـأَنَّهُمْ ظُلِمُـوا وإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ{39} الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُـوا رَبُّنَـا اللَّهُ ولَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ وصَلَوَاتٌ ومَسَاجِدُ يُذْكَرُ**

---

(1) ابو زهرة، مرجع سابق : ص (89).

(2) سورة البقرة الآيات (190 ،193 ، 194)

(3) ابو زهرة، مرجع سابق ص (90) .

فِيها اسم اللهِ كثِيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز {40} [1] وننتهي من هذه النصوص ومن هذا السياق التاريخي إلى أن النبي صلى ا عليه وسلم قاتل لأمرين :-

الأمر الأول: دفع الإعتداء إذا وقع الإعتداء على الأنفس والأموال بالفعل ،فلا بد أن يكون هناك دفعاً للإعتداء ولذا قال عليه السلام :" **الجهاد ماض إلى يوم القيامة**" [2]

الأمر الثاني : تأمين الدعوة الإسلامية ، لأنها دعوة الحق ، وكل مبدأ سامٍ يتجه إلى الدفاع عن الحرية الشخصية . وإن محمداً صلى ا عليه وسلم رأى كل الملوك الذين يحيطون به قد تحركوا ليفتنوا أتباعه في اعتقادهم ، وما كان لينتظر حتى يراهم قد هاجموه بالفعل ، بل لا بُد أن يحتاط للدعوة وأن يتخذ الأسباب لمنع هذه الفتنة إستجابة للنص القرآني الذي يدعو إلى القتال حتى لا تكون فتنة وإن قتال محمد صلى ا عليه وسلم لم يكن للإكراه بل كان لدفعه . [3]

4. 3 أغراض الحرب في الإسلام :

لذاك حدد الإسلام أغراض الحرب كالآتي:

1. رد العدوان ، والدفاع عن النفس والأهل والمال ، والدين والوطن، قال تعالى:" **وقَاتِلُواْ فِي سبِيلِ اللّهِ الَّذِين يقَاتِلُونَكُم ولاَ تَعتَدواْ إِن اللّه لاَ يحِب الْمعتَدِين**" [4]
2. تأمين حرية الدين والاعتقاد للمؤمنين الذين يحاول الكافرون فتنتهم عن دينهم. قال ا تعالى":**يسأَلُونَك عن الشهرِ الْحرامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِير وصد عن سبِيلِ اللّهِ وكُفْر بِهِ والْمسجِدِ الْحرامِ وإِخْراج أَهلِهِ مِنْه أَكْبر عِند اللّهِ والْفِتْنَةُ أَكْبر**" [5]
3. حماية الدعوة حتى تبلغ إلى الناس جميعاً ، ويرفع الحجر عن بلوغها لكافتهم ، فلا بُد أن تزول عن طريق إبلاغها وبيانها كل عقبة ، والمؤمنون إخوانهم والمعاهدون

---

(1) سورة الحج الآيتان رقم (39-40)

(2) ابو داوود، سنن ابو داوود ج3 ص (308)

(3) ابو زهرة، مرجع سابق ص (93)

(4) سورة البقرة، آية (190) .

(5) سورة البقرة، آية (217) .

لهم عهدهم وأهل الذمة يوفى بذمتهم [1] والقرآن الكريم يقرر قال تعالى: ﴿ **لا إِكْراه فِي الدين قَد تبين الرشْد مِن الْغَيِّ** ﴾ [2]

4. تأديب ناكثي العهد من المعاهدين أو فتنة الباغية على جماعة المـؤمنين المتمـردة على أمر ا التي تأبى حكم العدل ، قال تعالى: ﴿ **وإِن نكَثُواْ أَيمانَهم من بعدِ عهدِهِم وطَعنُواْ فِي دِينِكُم فَقَاتِلُواْ أَئِمةَ الْكُفْرِ إِنهم لاَ أَيمان لَهـم لَعلَّهـم ينتَهـون{12} أَلاَ تُقَاتِلُون قَوماً نكَثُواْ أَيمانَهم وهمواْ بِـإِخْراجِ الرسـول وهـم بـدؤُوكُم أَولَ مـرةٍ أَتَخْشَونَهم فَاللّه أَحق أَن تَخْشَوه إِن كُنتُم مؤُمِنِين{13}** ﴾ [3]

5. إغاثة المظلومين من المؤمنين أينما كانوا ، والانتصار لهم من الظالمين ، قال تعالى ﴿: **والَّذِين آمنُواْ ولَم يهاجِرواْ ما لَكُم من ولاَيتِهِم من شَيءٍ حتـى يهـاجِرواْ وإِنِ استَنصروكُم فِي الدين فَعلَيكُم النصر إِلاَّ علَى قَومٍ بينَكُم وبينَهم ميثَاقٌ واللّـه بِمـا تَعملُون بصِير** ﴾ [4] و هذه أغراض إنسانية إصلاحية حقه ، وكل مـا سـواها مـن المقاصد فإن الإسلام لا يجيز الحرب من أجلها بأي حالٍ مـن الأحـوال ، وذلـك واضح من إضافة لفظ ﴿ القتـال في سبيل ا ﴾ أو﴿ الجهـــاد في سبيل ا ﴾ [5].

5.3 الحرب استثنائية في النظرية الإسلامية :

يقول عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته الشهيرة وهو رائد علم الاجتماع العربي إن الحروب وأنواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برأها ا وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض ويتعصب لكل منها أهل عصبيته فإذا تذامروا لذاك وتوافقت الطائفتان إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع كانت الحرب وهو أمر طبيعي في البشر لا تخلو منه أمة ولا جيل.[6]

---

(1) كمال، مرجع سابق ص(337)

(2) سورة البقرة، آية (256)

(3) سورة التوبة، الايات (12- 13).

(4) سورة الانفال، لآية (72).

(5) كمال ، مرجع سابق، ص (338)

(6) ابن خلدون، المقدمة، طبعة بيروت سنة 1391هـ ص (230)

إن الحروب بقيت خلال قرون طويلة من المشكلات البارزة في العلاقات الدولية فقد أحصى أحد المؤرخين [1] سنوات التاريخ ما بين سنة 1436 ق م وسنه 1925 ب.م فوجد أن البشرية لم تتمتع في الواقع إلا بأقل من ثلاثمائة سنة من أيام السلم إزاء ما ينبغي على ثلاثة آلاف سنه من أيام الحرب ومنذ مدة لا تبعد عن القرن السابع وصف العالم الهولندي غروسيوس في مقدمة كتابه قوانين الحرب والسلام : كيف كانت الأمم في العالم الغربي لا تحترم أية شريعة سماوية وفي العصر الحديث ظهرت بعض النظريات الجديدة مثل نظرية توازن القوى ومعناها بوجه عام إنتهاج بعض الدول الكبرى في سياستها الخارجية نهجاً يهدف إلى إيجاد تعادل في قوى دول أخرى في منطقة من المناطق والى توطيد التوازن فيما بينها ومنع تفوق بعضها على بعضها الآخر فتسعى لذلك بجميع الوسائل كالتدخل لاضعاف تلك الدول أو تفكيكها أو لتقويتها على حساب غيرها ومن هذه النظريات أيضاً السياسة القائلة : أنه لا صداقه دائمة بين الدول بل مصالح راهنه متقلبة [2] ، وإن ظهور الإسلام خصوصاً بالقياس إلى عصره التاريخي قد أحدث ثورة رائعة في العالم العربي وغير العربي فنصب السلام هدفاً اجتماعيا مثالياً رفيعاً وضبط تنظيم الحرب وحدده بأحكام شرعية إلزامية مبنية على نصوص صريحة وعلى مبادئ عادلة فبعد أن بدأ أنتشار الإسلام بالدعاية السلمية وكان السبيل الأمثل لهذه الدعاية الاقتناع بالموعظة الحسنه والمجادلة بالرفق والمحبة ، وبعد مرور العقد الأول على ظهور الإسلام اشتد ضغط الاضطهاد على النبي صلى ا عليه وسلم وأصحابه وأتباعه الأولين فاضطر هؤلاء تجنباً للاضطهاد إلى الفرار بصبر جميل والمهاجرة من مكة وبالفعل هاجر بعض أصحاب النبي صلى ا عليه وسلم إلى الحبشة فراراً من أذى قريش ، وكذلك تحالفت قبيلة قريش على محاصرة النبي صلى ا عليه وسلم وعلى محاولة اغتياله ولكن في سنة 622 ميلادي تمكن من إحباط مكيدتهم والهجرة مع أبي بكر الصديق رضي ا عنه إلى يثرب التي أصبحت مدينته وعاصمته ، وعلى الرغم من ذلك فان العداء للمسلمين من قريش وغيرهم من المشركين قد أستمر في أعمال

---

(1) دوراس، كما نقله شكري قرداحي في محاضراته عن القانون الدولي الخاص في الإسلام لدى اكاديمية لاهاي ، مجموعة محاضرات 1937 ج2 ، ص(642)

(2) محمصاني، صبحي، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام ،دار العلم للملايين ، ط2 ، كانون الثاني 1982 ص (174)

الضغط والاضطهاد والعدوان فلم تعد تنفع المهاجرة وحدها ونفذت طاقة الصبر على احتمال الظلم والأذى المتواصل ولم يبقَ للمسلمين من خيار لتفادي الهلاك سوى القتال دفاعاً عن دينهم وحياتهم وهكذا شُرعت الحرب الدفاعية [1] .

وان وقائع التاريخ تثبت على أن النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه لم يشنوا حرباً واحده عن طريق الاعتداء ، فمثلاً غزوة بدر ابتدأت قريش بالعدوان وجددته في غزوة أحد ثم استمرت في إعلان الحرب والعداء في غزوة الخندق فكان موقف النبي صلى الله عليه وسلم موقفاً مدافعا ومن باب الرد على العدوان وفوق ذلك يسعى الرسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصلح والسلم دائما والوفاء بالعهود التي كان يعقدها مع خصوم المسلمين مثل معاهدة المدينة التي عقدها مع يهود يثرب ثم في صلح الحديبية المعقود مع قريش ، وكان النقض من جانب قريش واليهود وكان رد النبي صلى الله عليه وسلم من باب الدفاع المشروع على ذلك النقض ،أما سائر الحروب اللاحقة التي كانت مع الروم والفرس فكانت بداية إعلانها من جانب هؤلاء جواباً على الكتب السلمية التي أرسلها إليهم النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغهم فيها رسالته ويدعوهم إلى الهداية بالحكمة والموعظة الحسنه فكان موقف الرسول صلى الله عليه وسلم المدافع الذي يحذر من الاعتداء ويحض على السلم ما أمكن مع التوصية دائما في التقوى والإحسان في أساليب القتال ، وهكذا قرر الإسلام أن السلام قاعدة أساسية ويتضح ذلك جلياً من القرآن الكريم والسنة القولية والفعلية ومن عمل السلف الصالح جميعاً أن السلام هو الحالة العادية وان الحرب ليست إلا حالة شاذة إستثنائية وقد أصاب الأستاذ فيليب حتى الشهير بتخصصه في التاريخ العربي حين قال (لا نعرف مدينة واحدة افتتحها العرب بقوة السيف) [2].

6. 3 . قانون الجهاد الأخلاقي في الإسلام :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم" : **إغزوا باسم الله وفي سبيل الله و قاتلوا من كفر بالله ، إغزوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عـدوك مـن المشركين فادعهم إلى أحد ثلاث**" [3] حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي أمير

---

(1) المحمصاني، مرجع سابق، ص (177)

(2) حتّى، فيليب، لبنان في التاريخ، بيروت، 1985، ص (40).

(3) البيهقي، السنن الكبرى، ج9 ، ص(49)

جيش المسلمين بالقول:" **وإذا لقيت عدوك من المشركين فأدعهم إلى ثلاث خصال فآيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم أدعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فقبل منهم وكف عنهم ثم أدعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأخبرهم أنهم أن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين فأن أبوا أن يتحولوا فيها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم ا الذي يجري على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شي ألا أن يجاهدوا مع المسلمين فأن هم أبوا فسلهم الجزيه فان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم وأن هم أبوا فاستعن با عليهم، وقاتلهم**" [1] وتقوم نظرية الجهاد الإسلامي على هدف أساسي هو نشر الدين الإسلامي وتوصيل مبادئه السماوية إلى العالمين ، وليس الفتح أو حب القتال هو محركها فالتوجيه الذي تقرره أصول الشريعة الإسلامية للمسلمين أن :" **لا تتمنوا لقاء العدو**" ولذلك كانت الأوامر للمجاهدين المسلمين بعدم سفك الدماء والنهي عن تخريب الممتلكات أو الأخذ منها لغير الضرورة ، جاء في السنن الكبرى عن الرسول صلى ا عليه وسلم ما يلي : أخبرنا أبو الحسن بن بشر أنبا أبو الحسن علي بن محمد المصري ثنا أحمد بن عبيد بن ناصح ثنا عبد بن ناصح ، ثنا عبد الوهاب ، يعني أبن عطاء الخَفّاْف ثنا يونس بن عبيد عن الحسن عن الأسود بن سريع رضي ا عنه قال : أتيت رسول ا صلى ا عليه وسلم فغزوت معه فأصبنا ظفراً فقتل الناس يومئذٍ حتّى قتلوا الذرية فبلغ ذلك رسول ا صلى ا عليه وسلم فقال : **ما بال أقوام جاوز بهم القتل حتى قتلوا الذرية** فقال : يا رسول ا إنما هم أبناء المشركين قال : " **ألا إن خياركم أبناء المشركين**" ثم قال : **لا تقتلوا الذرية قالها ثلاثاً** ، وقال : **كل نسمةٍ تولد على الفطرةِ حتى يعرب عنها لسانها فأبواها يهودانها وينصرانها** . [2] وهكذا نجد في سنة رسول صلى ا عليه وسلم سلوك السلف الصالح سمواً بقانون الجهاد الإسلامي الحربي الأخلاقي ومما ذكره البيهقي بالخصوص": أخبرنا أبو عبد ا قال : وحدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ثنا الحسن بن علي بن عفان ثنا يحيى بن آدم ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي ا عنها قال :" كان رسول ا صلى ا

---

(1) المقريزي، تقي الدين احمد، امتاع الاسماع بما للرسول من الانباء، والأموال، والحفده والمتاع، الجزء الأول، تحقيق محمد شاكر، القاهره 1941 ، ص (346)

(2) البيهقي، السنن الكبرى، مرجع سابق، ص (59)

عليه وسلم إذا بعث أميراً على جيش أوصاه في خاصة نفسه بتقوى ا وبمن معه مـن المسلمين خيراً ثم قال:" **أغزوا باسم ا وفي سبيل ا قاتلوا من كفر با ، أغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليداً وإذا لقيت عدوك من المشركين فـادعهم إلى إحدى ثلاث خصال أو خلال فأيهم أجابوك فاقبل منهم** " [1].

وكذلك نجد في خطاب أبي بكر أول خلفاء رسول ا صلى ا عليـه وسـلم بمناسـبة تجهيز المجاهدين للسير نحو الشام ، نجد أساس القانون الأخلاقي الذي يحكم الأعمـال الحربية في الجهاد الإسلامي ، وهو ما اتبعه الخلفاء الراشدون من بعـده ، فقـد ذكـر الطبري أن أبا بكر الصديق خطب في المجاهدين يوصيهم بحفظ قواعد عشر عن ظهر قلب : **ألا يغدروا وألا يحيدوا عن الحق ، وألا يقتلوا أو يجرحوا طفلاً أو شيخاً فانياً أو امرأة ، وألا يعقروا شجراً مثمراً ، أو يحرقوا أو يقطعوا نخلةً أو كرماً ، وألا يـذبحوا شاةً أو بقرةً أو غيرها إلا المواشي للأكل ، وإذا مروا بعباد نذروا أنفـسهم وحيـاتهم للعبادة فأمرهم أن يتركوهم وشأنهم لما نذروا أنفسهم لعبادته .** [2]

وقد ذهب فقهاء مسلمون إلى التشديد على حماية حياة وأموال العدو وعدم إهـدارها إلاّ للضرورة ، هذا وقد ذهب فقهاء عديدون بما فيهم أئمة المدارس الفقهية الأربعة (الحنفية، المالكية ، الحنابلة ، الشافعية) ، إلى ضرورة تقيد المجاهدين بعدم تخريـب المـدن أو البلاد المفتوحة استناداً إلى توجيه من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى ا عليه وسلم .

وأجمع الفقهاء على أن عدم مقاتلة الذين لا يشاركون في القتال وغالباً هـم مـن النـساء والصبيان ورجال الدين من الرهبان والنساك المتعبدين ، والشيوخ المـسنين وأصـحاب العاهات ،كالعمي ، والمرضى العقليين فلا يجوز التعرض لهم ولا تمارس ضدهم أعمال الحرب ما لم يساهم الشيوخ أو الرهبان أو النساء في الأعمال الحربية ومساعدة الجنود ، كما أن بعض الفقهاء من الأحناف والشافعية قرروا : أن عمل المجاهدين ألاّ يتعرضـوا للفلاّحين والمنصرفين إلى تجارتهم ولا يشاركون في القتال [3] .

---

(1) البيهقي، السنن الكبرى، مرجع سابق : ص (49)

(2) مبارك، احمد عبد الحميد، الإسلام والعلاقات الدولية، دراسة مقارنة الجامعة المفتوحة، 1993 ص (394) .

(3) مبارك، مرجع سابق ، ص (395)

وبذلك فنطاق القتال في الإسلام محصور في المتحاربين ، أما المدنيين فلا يجوز مقاتلتهم ويجب تفاديهم ، ولا يعطى من يخالف ذلك إلا إذا اقتضته ضرورة أكبر منه ، فالضرورة قانون في الإسلام ذو معايير تقدرها بقدرها ، وهذا خلاف المعمول به في النظم الوضعية وما تقرره الأعراف والقوانين الدولية وواقع التعامل بين الدول . [1]

7. 3 النهي عن قتال الضعفاء والأبرياء :

أذا أضطر المسلمون لقتال الظالمين المعتدين لرفع شرهم وإذاهم ولـرد فتنـتهم وإغوائهم فإنهم مأمورين بان يقاتلوا غير الأقوياء من الرجال البالغين العقلاء الـذين يحملون السلاح فيقاتلون المسلمون ويثيرون في الدنيا الفساد والفتنة والباطل وعلى هذا نهى الإسلام عن قتال أصناف من غير المسلمين لسبب ضعفهم أو براءتهم أو انشغالهم فيما لا شان له بأمور القتال والحرب وهم : [2]

1- النساء :

فانه لا مساغ من الوجهة الشرعية أن تقتل المرأة في الحرب وتستثنى من ذلك ما لو حملت المرأة السلاح لتقاتل به المسلمين فما من حرج في قتالها ولكن الأصل إن قتل النساء غير جائز لضعفهن ومسالمتهن ولان حالهن لا تـدل علـى القتـال وثمـة نصوص في النهي عن قتل النساء وكشاهد على ذلك (إن أمرآة وجـدت فـي بعـض مغازي رسول ا صلى ا عليه وسلم مقتولة فأنكر رسول ا صلى ا عليه وسـلم قتل النساء والصغار) [3] كما إن النبي صلى ا عليه وسلم بعث رجلاً فقال : " **قل لخالد لا يقتلون امرأة ولا عسيفاً** " [4]

---

(1) مبارك، مرجع سابق ، ص (396)

(2) عبد العزيز، أمير، افتراءات على الإسلام والمسلمين ، الطبعة الاولى ص (60)

(3) مسلم، الصحيح، الجزء الخامس ، ص (144)

(4) ابي داوود ، سنن أبي داود الجزء الثالث ، ص(53) ، العسيف معناه الاجير : الرازي، مختار الصحاح، ص (134)

2- الصبيان:

وهم لصغرهم وبساطة حلومهم وقلوبهم لا يجوز قتالهم في الحرب وأيما قتل لهم فانه ظلم نهى عنه الإسلام بشدة وفي النهي عن قتل الأطفال والصغار ، روى البيهقي وغيره من أصحاب السنن عن أنس بن مالك أن الرسول صلى ا عليه وسلم قـال :" **انطلقوا باسم ا وبا وعلى ملة رسول ا صلى ا عليه وسلم لا تقتلـوا شـيخا فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة**"[1].

3- الشيوخ الكبار :

وهم الهرمون الذين لا يطيقون القتال وليسوا أهلاً للمقاتلة ولا ينتفع بهم برأي أو حيلة أو مكيدة فهؤلاء لا ينبغي قتالهم لضعف أجسادهم وهوان قدراتهم وطاقتهم ، أما أن كانوا أهل مشورة في الحرب أو كانوا أهل بصيرة في القتال فإنـه يجـوز قتـالهم ويستدل على النهي عن قتال الكبار الهرمين بحديث البيهقي والمروي آنفاً.

4- الرهبان :

وهم فريق من أهل الكتاب يزعمون أنهم منقطعون للعبادة سواء في الصوامع أو الكنائس أو غير ذلك من بيوت عبادتهم فهم بذلك ليسوا من أهل الحرب أو القتال فـلا ينبغي أن يقاتلهم المسلمون إلا أن ينحازوا إلى جانب المعتدي فيقاتلوا معهم، وفي النهي عن قتل الرهبان أخرج البيهقي بسنده عن خالد بن زيد انه خرج مع رسول ا صـلى ا عليه وسلم مشيعاً لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع فوقف ووقفوا حوله فقال:" **اغزوا باسم ا فقاتلوا أعداء ا وعدوكم بالشام وستجدوا بعضهم رجـالاً فـي الـصوامع معتزلين من الناس فلا تعرضوا لهم ، ولا تقتلوا أمراه ولا صـغيراً ولا ضـريراً ولا كبيراً فانياً ولا تقطعوا شجرة ولا تقطعوا نخلاً ولا تهدموا بيتاً**" [2] .

(1) البيهقي، سنن، مرجع سابق، الجزء التاسع، ص(90)

(2) المرجع نفسه، ص 91

كما روي عن ابن عباس إن رسول ا صلى ا عليه وسلم كان إذا بعث جيشاً قال :" **اخرجوا باسم ا تقاتلوا في سبيل ا من كفر با ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تغلوا ، ولا تقتلوا الوالدين ولا أصحاب الصوامع**" (1)

5- العسفاء :

وهم الأجراء ومفرده عسيف وهو الأجير أو الخادم ، سمى بذلك لأنـه يعـسف الطرقات متردداً في الأشغال (2) ويضاف إلى الأجراء مفهوم الفلاحون وهؤلاء جميعاً لا ينبغي أن يقاتلهم المسلمون في الحرب فهم مشغولون في فلاحة الأرض وفي عسف الطرقات وهم بذلك لاهون عن القتال فلم ينصبوا أنفسهم للحرب ويستدل على ذلك بمـا رواه البيهقي عن رباح عن الربيع أن النبي صلى ا عليه وسلم قد وجد امرأة مقتولة فقال ":**ها ما كانت هذه تقاتل ثم نظر في وجوه القوم فقال لأحدهم الحق خالد بن الوليد فلا يقتلن ذرية ولا عسيفاً**" (3)وعن عمر بن الخطاب رضي ا عنه انه قال" : **اتقوا ا في الفلاحين فلا تقتلوهم إلا أن ينصبوا لكم الحرب**" (4) .

6- الزمني والعميان :

وهؤلاء صنف من ضعفاء الناس لا طاقة لهم بالقتال وليس لهم في ذلك سبيل أو قدرة فما ينبغي للمسلمين أن يقاتلوهم بل أن قتالهم في ذاته عدوان (5) وقد نهى الإسلام عن العدوان في كل إشكاله إذا قال جل وعلى:" **ولا تَعتَدواْ إن اللّه لاَ يحِب الْمعتَدِين** (6).

(1) البيهقي ، مرجع سابق ، ص 91

(2) المرجع نفسه.

(3) المرجع نفسه.

(4) المرجع نفسه.

(5) ابن رشد ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ج1 ص (384)

(6) سورة البقرة آية (190)

8.3 دار الحرب ، دار الإسلام ، دار العهد

لم يرتض الملوك العهد ، ولم يؤمنوا بالدعوة الإسلامية ولم يرتضوا الإسلام ديناً فكانت الحرب ، وفي هذا الوقت والنيران مشتعلة بعد أن مضى عهد الخلفاء الراشدين وجاء عهد الخلفاء الأمويين ثم الملوك العباسيين ، كان الاجتهاد الفقهي ، ونبتت فكرة الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم ، أهي الحرب ، أم علاقة السلم ؟ ففكر الفقهاء في ذلك ، فمنهم من قال : إن الأصل في العلاقة هي الحروب ، واخذوا قولهم من الواقع ، لا من أصل النصوص ، وليس أولئك هم الأكثرية وتكاد كلمات الفقهاء أجمعين تجمع على أن دار المخالفين تسمى دار حرب ، لأنها فعلاً كانت في عصر الاجتهاد الفقهي دار حرب بسبب تلك الاعتداءات المتكررة من الأعداء ، والمدافعة المستمرة وقد يقول قائلٌ : إن العلاقات الدولية في الإسلام قد خضعت للواقع ولم تخضع للمثل الدينية العليا والخضوع للواقع في العلاقات الدولية ، هو الأمر الذي يبرر الساسة به اليوم اعتداءهم، ويقول الإمام أبو زهره في الإجابة عن هذا السؤال :-

إن الذي أخذه الفقهاء هو التسمية وليس الحكم ، فهم لم يتخلوا عن المثل العليا التي قررها الإسلام من حماية الفضيلة والحريات والعدالة ، وما كان للفقهاء أن يسموا الأشياء بغير أسمائها وإن كانت الحرب مستعرة فعلاً وواقعاً وينتهي من هذا إلى أن الأصل في العلاقات بين المسلمين وغيرهم هو السلم ، وأن ذلك هو رأي الجمهورة العظمى من الفقهاء ، والفئة التي خالفت ما كان نظرها إلى الأصل بل نظرها إلى الواقع وكان ما قررته حكماً زمنياً وليس أصلاً دينياً ، وان تسمية دار المخالفين دار حرب لا يمنع من أن الأصل هو السلم وإن الفقهاء قد حددوا معنى دار الحرب تحديداً دقيقاً ، لا بد من بيانه ، وبيان الآثار المترتبة على اختلاف الدارين (دار الحرب ، ودار الإسلام) وإن بعض الفقهاء مستمدين من الكتاب والسُنة تقريرهم ، قرروا أن بين دار الحرب ودار الإسلام دار وسطاً تُسمى دار العهد ، وعلى ذلك تكون الديار ثلاثة أقسام : (دار حرب ، دار إسلام ، دار عهد) [1]

(1) ابو زهرة، مرجع سابق، ص (51)

3 .1.8 مفهوم دار الحرب ودار الإسلام ودار العهد:

دار الإسلام

هي الدولة التي تحكم بسلطان المسلمين ، وتكون المنعة والقوة فيها للمـسلمين ، وهذه الدار يجب على المسلمين القيام بالذود عنها ، والجهاد دونها فرض كفاية إذا لـم يدخل العدو الديار ، فإن دخل العدو الديار كان الجهاد فرض عين عليهم ، فعليهم جميعاً مقاومته ما أمكنتهم الفرصة واستطاعوا إلى ذلك سبيلا هذه دار الإسلام . أمـا مفهـوم دار الحرب ودار العهد فهو يحتاج إلى تمييز وتبيين ، وقد أختلف الفقهاء في تعريـف دار الحرب على رأيين احدهما أن :

دار الحرب

هي الدار التي لا يكون فيها السلطان والمنعة للحاكم المسلم ، ولا يكـون عهـد بينهم وبين المسلمين يرتبط به المسلمون ويقيدهم ، فالعبرة عند أصحاب هذا الرأي إلى المنعة والسلطان ، فما دامت الدار خارجة عن منعة المسلمين من غير عهد فهـي دار حرب يتوقع الاعتداء منها دائماً ، وا سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بأن يأخذوا الحذر دائماً ، وأن يكونوا على أهبة القتال لدفع الاعتداء وذلك رأي الكثير من الفقهاء.

والرأي الثاني : رأي أبي حنيفة والزيدية ، وبعض الفقهاء وهـو أن كـون الـسلطان والمنعة لغير المسلمين لا يجعل الدار دار حرب،بل لا بد من تحقق شروط ثلاثة لتصبح الدار دار حرب .

أول هذه الشروط :

ألأ تكون المنعة والسلطان للحاكم المسلم بحيـث لا يـستطيع تنفيـذ الأحكـام الشرعية .

وثانيها :

أن يكون الإقليم متاخماً للديار الإسلامية بحيث يتوقع منـه الإعتـداء علـى دار الإسلام ، ويترتب على هذا الشرط أن تكون الصحارى المتاخمة للبلاد الإسلامية ليست دار حرب ما لم تكن ممتنعة على المسلمين بقوة أخرى ، لا يمكن للحـاكم المـسلم أن يفرض سلطان الإسلام عليها وكذلك البحار المحيطة التي تتصل بالديار الإسلامية لاتعد في قبضة غير المسلمين مالم تكن ممتنعة على الحاكم المسلم .

والثالثة :

إلاّ يبقى المسلم أو الذمي (أي غير المسلم الذي يعد من الرعيـة الإسـلامية) مقيماً في هذه الديار بالأمان الإسلامي الأول الذي مكن رعية المسلمين من الإقامة فيها وبتطبيق هذا الشرط تكون البلاد التي أستولى عليها المسلمون وأمنوا أهلها ثم اضطروا إلى الجلاء عنها تحت تأثير حرب أو عامل آخر ليست دار حرب ، إذا كـان الـذين سيطروا عليها أبقوا المسلمين ورعايا الدولة الإسلامية مقيمين فيها بمقتـضى الأمـان الأول ، إذا سالمت هذه الدولة المسلمين وكان معهم سلام لاتعكره الحرب ، وأما إذا نقضوا الأمان وحاربوا المسلمين فأن الدار دار حرب ، ولو أعطوا أولئك اماناً جديـداً ولاشك إن هذا الرأي هو الذي يتفق مع إعتبار أن الأصل في العلاقة هو السلم، وأننـا إذا أخذنا برأي أبي حنيفة يكون لدينا نوعان من الأرض لا يدخلان فـي تعريـف دار الإسلام ولا في تعريف دار الحرب وهما الـديار التـي لايتحقـق فيهـا الـسلطان الإسلامي ، والديار التي لاتُتاخم المسلمين أما التي لا تتاخم المسلمين ولا يتوقع منهـا الاعتداء فهي دار سلم ، ينطبق عليها معنى أعتزال المسلمين ، الذين لم يثيروا حربـاً ولم يعقدوا عهداً لبعد الديار .[1]

دار العهد :

إن دار العهد حقيقة اقتضاها الغرض العلمي ، وحققها الواقع ، فقد كانت هنالك قبائل ودول لا تخضع خضوعاً تاماً للمسلمين وليس للمسلمين فيها حكم ولكن لها عهد محترم وسيادة في أرضها ، ولو لم تكن كاملة في بعض الأحوال وهذه الـبلاد هـي التي كان بينها وبين المسلمين عهد عقد إبتداءاً ، أو عقد عند ابتداء القتال معها عنـدما يخيرهم المسلمون بين العهد أو الإسلام أو القتال ومن هذه القبائل ما كان الصلح فيهـا على أساس جعل عطاء من المال يدفعه أهلها في نظير حماية المسلمين لهم والـذود عنهم ، كما حصل في صلح النبي صلى ا عليه وسلم مع نصارى نجران فقد أمـنهم النبي صلى ا عليه وسلم على أنفسهم وأموالهم من أي اعتداء يكون عليهم سواء أكان من المسلمين أم من غيرهم ، وكذلك فعل القائد الصحابي أبو عبيده عامر بن الجـراح مع أهالي حمص فقد أمنهم ، وتعهد بان يدفع الرومان عنهم في نظيـر مـال دفعـوا

[1] ابو زهرة، مرجع سابق ص (53،54)

إليه ، ولكن حدث أن أصاب الجيش الإسلامي ضعف بسبب طاعون سرى فيه ، فأرسل القائد الوفي – الذي أسماه محمد صلى الله عليه وسلم – أمين هذه الأمة أموالهم وبين عجزه عن مدافعة الرومان عنهم ، فنشطوا لمعاونة القائد العادل الأمين. وفي عهد عثمان رضي الله عنه عقد عبد الله بن سعد بن أبي السرح صلحاً مع أهل النوبة ، كان أساسه تأمينهم على أنفسهم ، ورعاية استقلالهم ومبادلة ألتجارة معهم ، ولم يأخذ منهم فريضة ماليه يؤدونها وكذالك فعل معاويه بن أبي سفيان ، مع أهل أرمينيه فقد عقد معهم صلحاً تقرر سيادتهم الداخلية المطلقة ونرى أن هذا النوع مع القبائل أو الدول لا يمكن أن يعد دار حرب ولا دار سلام ، ولكن يعد دار موادعة أو دار عقد ، وقد قال بعض الفقهاء إن هذه الديار تدخل في عموم دار الإسلام لان المسلمين لم يعقدوا هذه العقود إلا وهم أهل المنعه والقوه ، ولكن الفقهاء الذين حرروا القول في القانون الدولي الإسلامي كالشافعي في كتابه (الأم) ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، قرروا إن دار العهد نوع آخر ، فقد جاء في كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن ما هذا نصه :

"المعتبر في حكم الدار هو السلطان والمنعة في ظهور الحكم ، فان كان الحكم حكم الموادعين فبظهورهم على الأخرى كانت الدار دار موادعة وإن كان الحكم حكم سلطان آخر في الدار الآخرة فليس لواحد من أهل الدار حكم الموادعة" ونرى محمد بن الحسن الشيباني يؤكد فرض دار أخرى هي دار الموادعة ، أو العهد ويبنيها على السلطان والمنعة ، ولكنه يأتي بأمر جديد ، وهو : أنه يفرض أن أهل العهد قد يكونون خاضعين في نظامهم لدولة أخرى لا تدخل في حكم العهد فيقرر أنه": إن كان السلطان والمنعة لأهل الجماعة التي عقد معها عقد الموادعة فإنها دار عهد ، وإن كان السلطان والمنعة لدولة أخرى فإنه لا يقرر العهد لأحدهما إلا أن تكون لها ومن معها معاهدة" وإنه يجب أن يلاحظ أن العالم الآن تجمعه منظمة واحدة قد التزم كلُ أعضائها بقانونها ونظمها ، وحكم الإسلام في هذه أنه يجب الوفاء بكل العهود والالتزامات التي تلتزمها الدول الإسلامية ، عملاً بقانون الوفاء بالعهد الذي قرره القرآن الكريم وعلى ذلك لا تعد ديار المخالفين التي تنتمي لهذه المؤسسة العالمية دار حرب ابتداء بل تعتبر دار عهد [1].

---

[1] ابو زهرة، مرجع سابق، ص (56 – 57)

9.3 نظام العلاقات الدولية في الإسلام

1.9.3 كيفية نشوء العلاقات بين الدول وطبيعتها :

أن الفرد في أي مجتمع موجد له حاجات ومطالب ومصالح أساسيه لا بـد مـن وجودها وترابطها حتى تنعم الحياة لهذا الفرد وهي كثيرة لا يمكن إحصائها ومثال ذلك الدولة في المجتمع الدولي لها حاجاتها ومطالبها ومصالحها الحيوية المتنوعة التي لابـد منها ولا يمكن تحقيقها دون اللجوء إلى غيرها من الدول في إكمـال هـذه الحاجـات والمصالح الحيوية ، فلا توجد دولة على وجه الأرض تستطيع إن تستغني عن غيرهـا من الدول التي تتمتع بإمكانات مادية ومعنوية وفيرة أو تلك التي تتمتع بإمكانات ماديـه قليلة ، فكل دولة تختلف من حيث الإمكانات والاحتياجات وتتباين مـن حيـث الثقافـة والبيئة والاقتصاد فتلجأ الدولة إلى خارج ذاتها لإكمال حاجاتها ومصالحها سواء كانـت تلك الحاجات والمصالح لجلب منافع أو دفع المفاسد والأخطار ، وهي في سبيل تحقيق ذلك إما أن تستخدم الأساليب المقنعة فتسود العلاقات السلمية بـين الـدولتين ، وتبـرم المعاهدات والاتفاقات الثنائية الجماعية أو أن تلجأ إلى القوة بعد إن تكون قد فشلت فـي استخدام الأساليب السلمية فتسود العلاقات الحربية بين الدولتين والقارئ للتاريخ يجد إن العلاقات بين الدول منذ نشوئها وحتى يومنا هذا تتأرجح بين السلم والحرب ، وأن نسبة الحالات الحربية أعلى بأضعاف من نسبة الحالات السلمية .[1] .

وخلاصة القول : أن نشوء العلاقات بين الدول أمر محتوم وهي متغيرة على الدوام في طبيعتها وتغلب عليها صفة استمرارية الصراع فمن الصراعات القديمة واسـتخدام الأسلحة التقليدية إلى العصر الحديث واستخدام الطاقة الذرية وأساليب الـردع الذريـة والنووية إلى تعاون هنا وهناك واتفاقيات تتلوها اتفاقيات تعقدها الدول حسب مـصالحها الحيوية والإستراتيجية.

2.9.3 قواعد ومرتكزات العلاقة الدولية في الإسلام

إن المقصود العام من الشريعة الإسلامية هو تحقيق مصالح الناس سواء كانت في الدنيا أو الآخرة وهذا يلزم نشوء علاقات للدولة الإسلامية مع غيرها من الدول ومن

---

(1) فرانكلن ، العلاقات الدولية ص 23-25

يستقرئ أحكام الشريعة الإسلامية وتوجيهاتها المختلفة يتبين أن الإسلام قد نظم العلاقات الإنسانية على جملة من الأسس والقواعد وهي:

الكرامة الإنسانية :

بدأت منذ بدء الفطرة التي فطر ا عليها البشر حيث بلغت درجة التكريم في خلق ا للإنسان بأن نفخ ا في الإنسان من روحه فجمع تكوينه بين عنصرين العنصر المادي والعنصر الروحي من روح ا قال تعالى:**(ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ{6} الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ{7} ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ{8} ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ)** [(1)] ، ومن مظاهر تكريم ا للإنسان إن استخلفه في الأرض قال تعالى :(**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**) [(2)] تلك الخلافة التي استفسرت عنها الملائكة وقالت جلّ شأنه (**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء**) [(3)] وجاء الرد الشافي في قوله تعالى (**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**) [(4)] إن هذا الإنسان الذي أختاره ا خليفة في الأرض وأمر الملائكة بالسجود لآدم يدل على كرامة الإنسان منذ خلقه وهذا الإنسان كما تدل الآيات ليس خاصاً لعنصر دون عنصر ولا جنس دون جنس بل الجميع سواء في حق التكريم .وقد قال النبي صلى ا عليه وسلم"**كلكم لأدم وادم من تراب ، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**"[(5)] أول تكريم كان بهبة العقل الذي سخر ا تعالى له به الكون بما فيه سواء أكان على الأرض أم كان في جوف السماء ولا تفاضل بين الناس بالألوان ، فالأبيض والأسود على سواء إلا بالتقوى ، ويروى في ذلك أن رجلا من أصحاب النبي صلى ا علية وسلم عير أخر بسواد أمه فقال له: يا أبن السوداء ، فغضب النبي عليه السلام وقال : لقد طف الكيل ، لقد طف الكيل ، ليس لأبن البيضاء على أبن السوداء فضل ، ولا فرق بين دين ودين في تكريم الإنسان حياً أو ميتاً" ويروى أنّه مرت جنازة يهودي فوقف له النبي صلى ا

---

(1) سورة السجده الايات (6-9)

(2) سورة البقرة جزء من الاية (29)

(3) سورة البقره جزء من اية (30)

(4) سورة البقره آخر الاية (30)

(3) ابو زهرة، مرجع سابق، ص (19)

علية وسلم تكريماً ، فقال له بعض أصحابةُ ً:إنها جنازة يهودي ً فقال النبي الأمين الكريم ً**أليست نفساً** .[1]

ومن تكريم ا للإنسان أن فضله على كثير من مخلوقاته قال ا تعالى ً: ً**فَضلْنَاهم على كَثِيرٍ ممن خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** [2] ومن هذا التفضيل إستخلاف الإنسان في ملك ا وخلقه وجعله على أحسن خلق وأكرم صوره لذلك فالإسلام دين الإنسانية يهدف إلى تحقيق غايات أساسيه وهذا من شأنه تحقيق الصلاح للمجتمعات والأفراد في الدنيا والخير والسعادة والفوز في الحياة الأخرى، ومن أجل ذلك جاءت أحكام الشريعة الإسلامية من أجل تحقيق الكرامة الإنسانية للفرد والجماعة في الدنيا وتحقيق الغايات الأخروية للحياة فلا تفضيل للهدف الدنيوي عن الغاية الأخروية قال تعالى: ً**وابتَغِ فِيما آتَاك الله الدار الْآخِرةَ ولَا تَنس نَصِيبك مِن الدنْيا وأَحسِن كَما أَحسن الله إِلَيك ولَا تَبغِ الْفَساد فِي الْأَرضِ إِن الله لَا يحِب الْمفْسِدِينً** [3] لذا كانت العلاقات بين الأفراد والجماعات في المفهوم الإسلامي تقوم على أساس الكرامة الإنسانية لكل البشر ومن ثم فهي أشمل من القانون الدولي الذي ينظم العلاقات على أسس تحدد الأشخاص المعنوية والفردية التي تتغير في أحكامه ووفقا لقواعده فإن الشخصية الدولية في صورة الدول المعترف بها هي المخاطبة بالأحكام وليس الفرد العادي ، الذي لا ينتمي إلى كيان سياسي معترف به ولا يستفيد من أحكام القانون الدولي إلا بطريق ثانوي وغير مباشر، في حين أن الفرد في الإسلام بغض النظر عن أي اعتبار آخر غير الاعتبار الإنساني هو الأساس في النظام الإسلامي والعلاقات بين الأفراد والجماعات ، فمجرد الصفة الإنسانية تكفيه حقوقا أساسية في داخل النظام الإسلامي وفي علاقة النظام الإسلامي بالأمم الأخرى [4].

---

(1) ابو زهرة، مرجع سابق، ص (20)

(2) سورة الاسراء أخر الآية (70)

(3) سورة القصص ايه (77)

(4) مبارك، مرجع سابق، ص (121).

الناس جميعا أمة واحدة :

أعتبر الإسلام الناس جميعا أمة واحدة ، الإنسانية تجمعها وإذا فرقـت الأهـواء فالأصل واحد ، ولقد صرح القرآن بهذه الوحدة في آيات كثيرة وما دام الأصل واحـد فالوحدة شاملة قال تعالى:" **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم مـن نفْـس واحِـدةٍ وخلَقَ مِنْها زوجها وبث مِنْهما رِجالاً كثِيراً ونِساء واتقُواْ اللّه الـذِي تَـساءلُون بِـهِ والأرحام إِن اللّه كان عليكم رقِيباً**" [1] فهذه الآية تصرح بأن الأصل واحد فقد خلق ا الناس جميعا من نفس واحده وخلق من هذه النفس زوجها وتوالد النـاس مـن هـذين الأبوين الكريمين ،قال تعالى" **كان الناس أُمةً واحِدةً فَبعـثَ اللّـه النبِيـين مبـشرِين ومنذِرِين وأَنزلَ معهم الْكِتَاب بِالْحق لِيحكُم بين الناس فِيما اخْتَلَفُواْ فِيهِ وما اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الذِين أُوتُوه مِن بعدِ ما جاءتْهم الْبينَات**" [2] فهذه الآية تصرح بأن الإنـسانية أمـة واحدة وأن الاختلاف عارض ومنشأه إختلاف الأهواء وان ا سبحانه وتعالى أرسـل الرسل ليحكموا بأمر ا في الأختلاف وليبينوا لهم الهداية، قال تعالى : (**ومِـن آياتِـهِ خَلْقُ السماواتِ والْأَرضِ واخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُم وأَلْوانِكُم)** [3] فاختلاف اللغات والألوان لـم يكن يمانع من الوحدة الإنسانية الجامعة بل إن هذا الاختلاف من سنة ا تعالى في خلق الإنسان إذ جعل فيه قوة يتكيف بمقتضاها مع بيئته ويتجاوب وقد صرح القرآن الكـريم بذلك إذ قرر إن اختلاف الألسنة والألوان من مظاهر قدرة ا تعالى في خلق الإنسان ، وأن اختلاف الناس شعوبا وقبائل لم يكن ليتقاتلوا ويختلفوا ولكن ليتعارفوا ويتعـاونوا ، وقد صرحت بذلك الآية الكريمة في سورة الحجرات قال تعالى :"**يا أيها النـاس إِنـا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْنَاكُم شُعوباً وقَبائِلَ لِتَعارفُوا**" [4] وأن هذا التعارف يجعل كل فريق ينتفع بخير ما عند الفريق الآخر وتكون خيرات الأرض كلها لابن هـذه الأرض وهو الإنسان ، فلا يختص فريق بخير إقليمه ويحرم منه غيره، فـإذا كانـت الأرض مختلفة فيما تنتجه فالإنتاج كله للإنسانية كلها، ولا سبيل لذلك إلا بالتعـاون والتعـارف الإنساني وفي سبيل ذلك حث القرآن الكريم على السعي والضرب بالأرض طلبا لهـذا

---

(1) سورة النساء اية (1)

(2) سورة البقره اية (213)

(3) سورة الروم اية (22)

(4) سورة الحجرات ايه (13)

التعارف الإنساني ولتحصيل أهل كل إقليم على ما عند الآخرين [1] وأن النبي صلى ا عليه وسلم قد حارب التفرقة في المعاملة بين الألوان وصرح بذلك ، قـال رسـول ا صلى ا عليه وسلم" : **الجنة لمن أطاعني ولو كان عبداً حبشياً، والنار لمن عصاني ولو كان شريفاً قرشـياً** " [2] فليس في الإسلام بمقتضى المبادئ الثابتـة أختلافـاً فـي المعاملة بسبب أختلاف الألوان وان التفاوت بين الناس بالعمل لا باللون وإذا كان بعض الناس جاهلاً والآخر متحضراً أو عالماً، فعلى العالم أن يعلم الجاهل وليس له أن يتحكم فيه أو يستبد به، ولقد قال في ذلك الخليفة الرابع من أصحاب محمد عليه السلام علـي بن أبي طالب **لا يسأل الجهلاء لما لم يتعلموا، حتى يسأل العلماء لما لم يعلموا** [3].

وكما أن الإسلام حارب فكرة التميز بألألوان ، حارب التميز بالعنصر والجـنس فالناس جميعا لأدم ، لا فرق بين أري وحامي وسامي بل الجميع ينتمون إلى أب واحد وأم واحده، وليس هنالك عنصراً أختص بصفات لا يختص بها الآخر وإذا كانت ثمـة لغات لبعض هذه العناصر، فذلك بحكم البيئة وما توجه إليه، وهي في مجموعها لإيجاد التكافل الإنساني في الانتفاع بهذه الأرض التي جعله ا تعالى خليفة فيهـا بمقتـضى التكوين وبمقتضى ما أتاه ا تعالى من مواهب واستعدادات لتجعل الكون كله مسخراً له وأن الذريعة التي يملكها ابن الأرض ليتحكم في أخيه ويستغله في أرضه ومـصيره تتكون في عنصرين جوهريين:-

أولهـا :- أن الناس أجناس يعلو بعضها على الأخر بمقتضى فطرته وتجعل له الكلمة العليا والآخر السفلى وبهذا كان الظلم وكانت الفتن الإنسانية وقـد وضـح القـرآن أن الإنسانية كلها تنتمي إلى نفس واحدة.

وثانيهما:- هو العصبية الوطنية أو القومية ، إذ كل إقليم يريد أن يسيطر على غيره أو أن يكون له الغلبة على الأخر وقد جاء الإسلام فحارب العصبية القوميـة والإقليميـة ليكون العدل هو السند ولكي تكون المودة بين الناس وفي كل بقاع المعمورة وقد قـال النبي صلى ا عليه وسلم :" **ليس منا من دعا إلى عصبية ، ليس منا من قاتل علـى عصبيةً** فالنبي عليه السلام بريء من كل تعصب إقليمي أو قومي .

---

(1) أبو زهره ، مرجع سابق ص22.

(2) المباركفوري، صفي الدين، الرحيق المختوم ، حديث قدسي ص(60)

(3) بن ابي طالب، علي، كتاب الجفر بشرح الشيخ محمد عيسى داود ص(50)

الحرية :

لما كان نطاق الحرية هو علاقة الإنسان بأخيه الإنسان لذا فان مجـال تنظيمهـا وضمان تحقيقها على أرض الواقع يكون لمجموع الأفراد وفق الإرشاد العام الذي ذكره القرآن الكريم والسنة الصحيحة للرسول صلى ا عليه وسلم ، وهذا المنهاج الـسماوي العام لسلوك الأفراد في المجتمع الإسلامي ينعكس مـن سـلوك الجماعـة الـسياسية الإسلامية في علاقاتها مع الجماعات السياسية الأخرى ، فمنذ العصور القديمـة كـان يسود المجتمعات البشرية الاضطهاد وعبر الأزمان إستمر إلى أن جاء الإسـلام فـي أوائل القرن السابع الميلادي ، فنادى بالحرية وطلب من المسلمين سلوكاً عمليـاً فـي الحياة بما يكفل الحرية للجميع ، وبالتالي لم تكن الحرية في الجانب الإسلامي فرضـا خيالياً أو حلما وإنما سلوكاً عملياً فرضه الإسلام فيمـا بـين المـسلمين بيـنهم وبـين الجماعات الأخرى ، ويقول البروفسور" تي دبلو أرنولد" في كتابه تعاليم الإسلام في ظل الحكم الإسلامي : كان للجماعات الأخرى من أتباع الأديان الأخرى غير الإسلام كامل الحرية ،وان المسلمين تركوهم أحراراً لا يعترضهم احد ،وهذا كان مدهشاً وغريباً في القرن السابع الميلادي خاصة ، وان المسلمين اقروا بـه وهـم منتـصرون لـصالح المهزومين [1] .

أما الحرية في الإسلام فكانت مبدأً عاماً للفرد وللجماعة ، فالشريعة الإسلامية تقر بالشخصية الإنسانية المستقلة لكل فرد وبالتالي لمجموع الأفراد في كل جماعه حيث تقر لهم بالحق في إدارة أمورهم بالشورى وتجد إحكام القرآن الكريم وآياته تخاطب الفـرد وتقر له الحقوق والحريات والواجبات وتقر له بحرية الاختيار في العقيـدة وممارسـة شعائرها وفي المعاملات ، كما أن الشريعة الإسلامية تخاطـب الجماعـات أو الأمـم الأخرى فهي ليست نظاماً لقوميه أو عرق معين وإنما تعتبر الناس أمه واحده قال تعالى : (**يا أَيها الناس إِنا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْنَاكُم شُـعوباً وقَبائِـلَ لِتَعـارفُوا إِن أَكْرمكُم عِند اللهِ أَتْقَاكُم**) [2] ولهذا فالحرية دعامة أساسيه من دعائم النظام العملية الذي يقيمه الإسلام في تكوينه الداخلي وفي علاقات المسلمين بغيرهم من الأمم الأخرى بـل

(1) مبارك مرجع سابق، ص (125)

(2) سورة الحجرات اية (13)

نجد الحرية هي الأصل الأول في الجانب ألاعتقادي في الإسلام لان الإيمان لا يـتم إلا بالإرادة المتحررة والالتزام الذاتي لا الالتزام حكما قال تعالى :" **لا إِكْراه فِي الدين قَـد تبين الرشْد مِن الْغَيِّ** " [1] وقال تعالى": **فَمن شاء فَلْيؤْمِن ومن شاء فَلْيكْفُرْ** " [2].

ولقد أراد صحابي من الأنصار أن يكره أبنين له في الإسلام فنهاه النبي صلى ا عليه وسلم عن ذلك وجاءت إمرأة عجوز إلى عمر رضي ا عنه تطلب منـه بعـض الحاجة ولم تكن مسلمة فدعاها عمر إلى الإسلام فامتنعت ، فخشى الفاروق أن يكون قد أعنتها بما طلب ، فاتجه إلى ربه ضارعاً وقال :" **اللهم إني لم أكرها** [3]وأن الإسـلام أعتبر أمتحان المؤمن في عقيدته فتنه ، وقرر إن الفتنه أشد من القتـل لأنهـا تعـذيب للروح والعقل والقلب وأن حرية التدين لا تتكون للرجل الحر من منع الإكراه فقط فـلا بد أن يكون أساس العقيدة تفكيرا سليما ، يحكم العقل من غير تقليد ولا خضوع لأهواء جامحة مسيطرة وبذلك تتكون حرية الاعتقاد من عناصر ثلاثة :

أولهـا: تفكير حر غير مأسور يتعصب لجنسية أو تقليد ، أو شهوه أو هوى فكثيراً ما تحكم الأهواء والجنسية باسم التدين .

ثانيهـا: منع الإغراء أو الإكراه للحمل على العقيدة ، فليس بمتدين حر من يعتقد اعتقاداً تحت تأثير إغراء بالمال أو المنصب أو الجاه .

وثالثهـا: العمل على مقتضى العقيدة بتسهيل ذلك لكل معتنق لدين من غير إرهاق وأن الإسلام عمل على حماية عقيدة الذين يستظلون بظله أو يعقدون معه عهداً ولا يثيـرون عليه حرباً بل أنه سهل لهم القيام بشعائر دينهم وقد قرر فقهاء المسلمين فيما أسـتنبطوه من نصوص قرآنيه ونبوية ومن أعمال الرسول وصحابته قاعدة تقول أمرنا تركهم وما يدينون وبهذه القاعدة المجمع عليها من فقهاء المسلمين حميت حرية العقيدة فـي ظـل الإسلام فلا يضار غير المسلم فيما يعتقد ويقيم شعائره الدينية حـراً غيـر مـضطر ، ويروى في تسهيل عبادة غير المسلمين الذين تحكمهم الدولة الإسلامية أن عمـر بـن الخطاب عندما ذهب ليعقد معاهدة السلام والأمن مع القائمين على إيليا رأى رضي ا عنه هيكلاً لليهود قد ستره التراب ولم يبقَ منه إلا أعلاه فجاء بفضل ثوبه وأخذ بعـض

---

(1) سورة البقرة (256)

(2) سورة الكهف ايه (18)

(3) أبو زهرة، مرجع سابق، ص (25)

التراب المتراكم فيه فاقتدى به جيش المسلمين فزال كل ما ستر الهيكل من تراب وبـدا واضحاً ليقيم اليهود عنده شعائرهم الدينية وفي هذه الرحلة الطيبة حضر وقت الـصلاة وهو بجوار كنيسة بيت المقدس فصلى خارجها فقيل ألا تجوز الصلاة فيها فقال الحاكم العادل الحر : خشيت أن أصلي فيها ، فيزيلها المسلمون من بعدي ويتخذوها مـسجداً ، فأي حماية للحرية الدينية أقوى من هذه وأي تسهيل لأداء العبادات لغير المسلمين أكرم من هذا.[1]

العدالـة .

قامت كل علاقة إنسانية في الإسلام على العدالة ، فهي الميزان المستقيم الـذي يحدد العلاقات بين الناس في حال السلم ، وحال الحرب على السواء ففي السلم يكـون حسن الجوار قائماً على العدل ، وفي الحرب يكون الباعث عليها هو العدل ، والعدالـة حق للأعداء كما هي للأولياء قال تعالى :" **يا أيها الذين آمنُوا كُونـوا قـوامين لِلّـهِ شُهداء بِالْقِسطِ ولاَ يجرمنكُم شنَآن قَومٍ على أَلا تَعدِلُوا اعدِلُوا هو أَقْرب لِلتقْوى واتقُوا اللّه إِن اللّه خَبِير بِما تَعملُون**" .[2]وقال تعالى :" **إِن اللّه يأْمر بِالْعدل والإِحسان وإِيتَاء ذِي الْقُربى وينْهى عن الْفَحشَاء والْمنكَر والْبغْيِ**" [3] وفي الحديث القدسي" **يا عبـادي أني قد كتبت العدل على نفسي فلا تظالموا**" وقال صلى ا عليه وسلم" **الظلم ظلمـات يوم القيامه**" [4] وقوله تعالى : **لَقَد أَرسلْنَا رسـلَنَا بِالْبينَـاتِ وأَنزلْنَـا معهـم الْكِتَـاب والْميزان لِيقُوم الناس بِالْقِسطِ وأَنزلْنَا الْحدِيد فِيهِ بأْس شَدِيد ومنَافِع لِلناسِ**" [5]وإذا كان لكل دين سمه يتسم بها فسمه الإسلام هو العدالة وهي شعاره وهي خاصته فالعدالة هي الميزان المستقيم الذي توزع من خلاله الحقوق وبه تحمى الحقوق وبه ينـتظم الوجـود الإنساني ، وإذا كانت العدالة هي ميزان العلاقات الإنسانية في كل أحوالها فـلا يبغـي قوي على ضعيف ، ولا يضيع حق . [6]

---

1 ابوزهرة، مرجع سابق، ص(30)

2 سورة المائدة الاية : (8)

3 سورة النحل : الاية (90) .

4 اخرجه البخاري في صحيحه ج2 – ص 864 ومسلم في صحيحه ج4 ص 1996

5 سورة الحديد، الايه (25)

6 ابو زهره، مرجع سابق، ص (35)

الفضيلـــه

إن التمسك بالفضيلة من أساس العلاقات الإنسانية في الإسلام سواء أكانت بـين الآحاد أم كانت بين الجماعات وسواء أكانت العلاقة في حال الحرب أو في حال الـسلم لأن قانون الأخلاق قانون عام يشمل جميع الأجناس ومختلف الألوان والفضيلة حق لكل إنسان يستحقها بمقتضى إنسانيته وقد تقرر ذلك في المبادئ الإسلامية التي تطبق علـى جميع أهل الأرض ، قال تعالى:**(إن أكرمكم عند اللهِ أتقاكم إن الله عليم خبير)**[1].

وأشد ما كان يدعو إليه القرآن في الأمر بالفضيلة هو ما يقترن بالجهاد خشية إن تندفع النفوس في حال إحتدام القتال إلى ما يخالف ذلك المبدأ العام فمثلاً نجد النص القرآنـي يأمر بالمعاملة بالمثل عند الاعتداء ، فمن اعتدى يدفع شره ومن قاتل يقاتـل ، ولكـن إقتران ذلك بوجوب التمسك بالتقوى والتقوى تكون في التمسك بالفضيلة[2] ومثال علـى الآيات الكثيرة التي تحث على التقوى والعدالة في القتال قوله تعالى: **وقاتلوا في سـبيل اللهِ الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**[3] وقوله تعالى : **من اعتـدى عليكم فاعتدوا عليهِ بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين**[4].

فهذه النصوص القرآنية وأن أمرت رد الاعتداء بمثله ، إلا أنه أمر بـالتقوى وهـي إن يجعل المؤمن بينه وبين غضب ا وقاية فأن إنتهك العدو حرمات الفضيلة مثلاً في قتل للنساء والأطفال ومعاملة الأسرى بأزدراء وتعذيب واحتقار ، فان المؤمن لا ينتهك هذه الحرمات ولا يجاري الأعداء في مأثمهم ، وما يرتكبونه في الحروب ضـد الفـضيلة الإنسانية العامة فمن وصايا الرسول عليه الصلاة والسلام لجيوشه التي تصنع الأسـاس في التعامل بالفضيلة الإنسانية مع العدو : **سيروا باسم ا في سبيل ا وقاتلوا أعداء ا ولا تغلوا ولا تغدروا ، ولا تنفروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً**[5] ويوصي عليه

---

(1) سورة الحجرات (جزء من الاية 13)

(2) ابو زهره، مرجع سابق، ص(33)

(3) سورة البقره اية (190)

(4) سورة البقره (194)

(5) البيهقي، السنن الكبرى، مرجع سابق ص (52)

السلام بألا يقتل الأسير فيقول :" **لا يعترض أحدكم أسير أخيه فيقتله**" [1] وهكذا الـدين هو دين الفضيلة ورسالة الله تعالى إلى أهل الأرض .

التعاون الإنساني .

التعاون في الإسلام مبدأ عام في كل الجماعات الإنسانية كمـا قـرره القـرآن الكريم ، فقد جاء في سورة المائدة الحث على التعاون المطلق على البر ومنع التعـاون على الإثم والعدوان وقال تعالى :" **وتَعاونُواْ علَى الْبِر والتقْوى ولاَ تَعاونُواْ علَى الإِثْـمِ والْعدوانِ**" [2] وإنما التعاون قوام الأسرة، وقوام الأمة ، وقد جاءت النـصوص الدينيـة الإسلامية بتعميم التعاون في داخل الإقليم الواحد وفي نطاق الإنسانية ودعا النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل والقول إلى التعاون في علاقات الدول لبعضها البعض وقد أشـار النص القرآني إلى أن اختلاف القبائل والأجناس للتعارف ووراء التعارف التعاون على الخير بينهما ولقد نَفّذَ عليه السلام مبدأ التعاون الدولي عندما جاء إلى المدينة فعقد مـع اليهود حلفاً أساسه التعاون على البر وحماية الفضيلة ومنع الأذى وأكد ذلك بـالمواثيق لكن اليهود نقضوا حلف التعاون ، ودبروا الأمر مع المشركين ضد النبي صلى الله عليه وسلم ، واشترط مع ذلك أن من يخرج من مكة مسلماً ملتحقاً بالنبي والمؤمنين يرد إليهم وان لم يكن ذلك برضاء أهله ، وإن من يخرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم مرتداً إلى مكة يقبلونه ولا يمنعونه فقبل النبي السمح ذلك الشرط حتى ضج بعض المـؤمنين من قبوله ، والصفح الجميل أبرز ما يكون ظهوره عند الانتصار فما كانت الحرب للثأر والانتقام بل لإعلاء الحق ودفع عدوان الباطل ولذلك عندما فتح الله مكة وخضعت لكلمة التوحيد كان الصفح الكريم فقد قال النبي بعد أن أستتب له النصر للملأ من قريش :" **ما تظنون إني فاعل بكم ؟ قالوا: أخ كريم وأبن أخ كريم فقال الرسول الكريم:" أقول مـا قاله أخي يوسف لإخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم اذهبوا فانتم الطلقاء**". [3]

---

(1) البيهقي، السنن الكبرى، مرجع سابق ص (50)

(2) سورة المائدة آخر الاية (2)

(3) ابو زهره، مرجع سابق، ص . 26 ، والكافي ، جزء 3 ص 512 باب فتح مكة .

التسامح :

دعا الإسلام إلى التسامح غير الذليل ، فهو يبني العلاقات الإنسانية سواء أكانت بين الآحاد أم كانت بين الجماعات على التسامح من غير استسلام للشر أو تمكين للأشرار ، وقد ذكر ا سبحانه وتعالى ضرورة دفع العداوة بالتي هي أحسن وأن هذا الدفع الكريم هو الذي يجلب المحبة ، وأمر نبيه الأمين أن يصفح الصفح الجميل عمن يعاديه ، والصفح الجميل هو الصفح في علو ومن غير استسلام للشر أو استخذاء للأشرار ، وقد طبق النبي صلى ا عليه وسلم مبدأ التسامح في علاقاته بالمشركين وغيرهم في معاهداته وفي حروبه ، ففي المعاهدات تراه في صلح الحديبية وهو الصلح الذي عقد بينه وبين المشركين عندما أراد أن يحج فمنعوه وأبوا أن يدخل البيت الحرام ، وقد كان أساس هذا الصلح شططاً من جانب المشركين ، وسماحة من جانب النبي صلى ا عليه وسلم ، فقد أصروا في صلحهم على أن يمنعوه من الحج في عامه هذا ، فقبل هذا الشرط ومعه جيش يستطيع به إن يدك عليهم ديارهم ، وكان عليه السلام يعقد المعاهدات مع القبائل العربية لإيجاد تعاون إنساني لإعلاء المعاني السامية ، وكان يحث على كل تعاون على الخير ويؤيده ويرد كل تعاون على الشر ويحاربه ، ولقد كان عليه السلام من مبادئه التعاون على نصرة الضعيف وإن النبي صلى ا عليه وسلم يعلن إن ا يمد بالقوة كل من يعاون أخاه الإنسان في أي إقليم وفي إي موطن ، فيقول عليه السلام :" **ا في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه**" ولم يعني ذلك الأخ بل عممه فيعم الأخوة الإنسانية ، ولا يقتصر على الأخوة الدينية أو الاقليميه[1]

المعاملة بالمثل .

إن هذا المبدأ شعبه من شعب العدالة قال تعالى :" **الشهر الْحرام بِالشهرِ الْحرامِ والْحرماتُ قِصاص فَمن اعتَدى علَيكُم فَاعتَدواْ علَيهِ بِمثْلِ ما اعتَدى علَيكُم** "[2] وقد طلب سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم من المسلم أن يحسن معاملة الناس حتى تكتمل مروءته وتجب أخوته ، وإلا فلا تجب أخوة من خالف هذا النهج النبوي الكريم الذي قرره رسول ا صلى ا عليه وسلم في قوله :"**من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم**

---

(1) ابو زهرة، مرجع سابق، ص (24)

(2) سورة البقرة ايه (194)

لم يكذبهم ، ووعدهم لم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته" [1] وقد يقال إن العدالة لا تنافي الرحمة بل أنها تلازمها فحيث كانت العدالة كانت الرحمة ولا يمكن إن تكون رحمه حقيقية مناقضه للعدالة الحقيقية ، وقد كان محمد صلى ا عليه وسلم أرحم الناس وأكثر الناس سماحه في المعاملة مع انه كان عدلاً بكل ما تشمله هذه الكلمة من معان ، ذكرت عائشة زوجه أخلاقه فقالت ": **ما ضرب رسول ا صلى ا عليه وسلم خادمه ولا امرأة ولا دابة ولاشيأ قط إلا أن يجاهد في سبيل ا ولم ينل منه شي فانتقم لنفسه ، إلاّ أن تنتهك حرمات ا فإذا أنتهكت حرمات ا لم يقم شيئاً حتى ينتقم** " [2] وهذه أخلاق الرحماء حقاً وصدقا يتسامحون في حقوق أنفسهم التي لا يترتب على التسامح فيها نصرة للباطل ولا هدم لحق غيرهم .

المودة ومنع الفساد

المـــودة :

قال تعالى ": **لا ينْهاكُم الله عن الذِين لم يقَاتِلُوكُم فِي الدين ولم يخْرِجوكُم مـن دِيارِكُم أَن تَبروهم وتُقْسِطُوا إِلَيهِم إِن الله يحِب الْمقْسِطِينً** [3] إن الإسلام لا ينهى عن بر من لا يعتدي على المسلمين كما وضحت الآية الثامنة في سورة الممتحنة فالبر ثابت للمسلم وغير المسلم وأن المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ولا الأخلاق ، ويروى انه في مدة صلح المدينة بلغ النبي صلى ا عليه وسلم إن قريشاً إصابتهم جائحة فأرسـل مع حاطب ابن أبي بلتعه إلى أبي سفيان خمسمائة دينار ليشتري بها قمحـاً ويوزعهـا على فقراء قريش [4] .

كما أن رعايا الأعداء الذين لا يشتركون بالقتال فأن مودتهم لا تنقطع ولـذلك لا يمنع قيام الحرب وجود مستأمنين يقيمون في الديأر الإسلامية ولا يُظلمون في أمـوالهم

---

(1) الديلمي، الفردوس بماثور الخطاب، ج3 ص (499)

(2) ابو زهرة، مرجع سابق :" (37)

(3) سورة الممتحنه ايه (8)

(4) ابو زهرة، مرجع سابق ص (42)

وأنفسهم ، كما أن الأتجار وهو مظهر من مظاهر التواصل فانه لا يقطع وقت الحـرب وهكذا يعتبر الإسلام الرحمة والمودة قائمة حتى في حال الحرب.

منع الفساد :

لتحقيق الخلافة الإنسانية في هذه الأرض منع الإسلام من الفساد فيها ودعا إلـى تعاون الإنسان على أصلاحها ولمنع الفساد لا بد من المحافظة كل خمسة أمور:

(1) المحافظة على النفس الإنسانية وحمايتها وبالتالي المحافظة على الكرامة وعلى الحرية والعدل وغيرها من المقومات الإنسانية .

(2) المحافظة على الدين : المحافظة على حرية الدين ، وحماية الشعائر الدينية وألاّ يتطاول أهل دين على دين آخر بالأذى ، كما منع الإسلام الاعتداء على الذين لا يدينون به من رعايا الدول الإسلامية .

(3) المحافظة على النسل : فعمل الإسلام على منع إشاعة الفاحشة في الـذين أمنـوا وحرم ذلك وان هذا النوع من الحماية يكون على رعايـا الدولـة الإسـلامية مـن مسلمين وغير مسلمين .

(4) المحافظة على العقل : يمنع كل أمر يذهب العقل كالخمر وغيره مما يفسد العقول.

(5) المحافظة على المال ويشمل هذا النوع رعايا المسلمين وغيرهم لان إفساد خيرات الأرض يتنافى مع الأخلاق الإنسانية ، ولقد حض الإسلام على العمل لنفع الإنسانية ولذلك قال النبي صلى ا عليه وسلم" **ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً يأكل منه إنسان أو دابة إلا كتب له به صدقه**" [1]

10.3 الدبلوماسية في الإسلام

الوسائل السلمية في إدارة وتنظيم العلاقات الدولية في الإسلام

تتخذ الجماعات السياسية في تنظيماتها الحديثة والمعاصرة شكل الدولـة التـي تدخل مع الدول الأخرى في علاقات متبادلة أثناء السلم والحرب وبالطبع مع التطـور وتشابك العلاقات صار في كل دولة جهاز يتولى تنظـيم عمليـات الاتـصال بتبـادل العلاقات ووفقاً للتنظيم فإن ذلك الشخص الموجود في أعلى الدولـة يقـوم علـى رأس

(1) ابو زهره، مرجع سابق، ص(44، 45)

الجهاز أو الادارة نيابة عن الدولة وغالباً ما ينيب عنه وزير الخارجية الذي يعاونه في ذلك عدد من المبعوثين الدبلوماسيين والقناصل الدائمين أو المؤقتين [1] .

وفي التصور الإسلامي وجدت نظريتان في طبيعة الدولة لتحقيق عالميه الدعوة الإسلامية قال بهما الفقهاء ولكل منها أسسها التي أقامت عليها نظامها للعلاقات بين المسلمين وغيرهم من أمم الأرض وهما (التفاوض والتعاهد) [2] .

فقد وجدت الدبلوماسية في الدولة الإسلامية الأولى في صورتها المبسطة أي وجدت من حيث الموضوع منذ تأسيس الكيان السياسي في الجزيرة العربية فقد أخذت المعاهدات دوراً بارزاً في وضع القواعد التي تضبط العلاقات السلمية بين الجماعات والإمارات والمدينة (الدولة) في الجزيرة العربية وخارجها ، كما عرف العرب كغيرهم من الأمم قبل الإسلام نظام المبعوثين فقاموا بإيفادهم إلى الجماعات والدول المجاورة ، وفي صدر الدولة الإسلامية كانت الأعراف الدبلوماسية تتميز بنفس خصائص العلاقات الدولية حتى منتصف القرون الوسطى تقريباً أي ذات طبيعة مؤقتة عارضه ، حيث كان المبعوثون يوفدون للقيام بمهام خاصة فإذا ما تمت عادوا إلى بلادهم ، وكذلك الحال عند المسلمين حيث كانوا يلجأون إلى الدبلوماسية المؤقتة كعامل مساعد أو بديل للقتال ، وحتى في أثناء الحرب كانت الدبلوماسية وسيله لتسليم العدو رسائل يحملها المبعوثون سواء من المسلمين أو من غيرهم وكان المسلمون يحملون الرسائل بالدعوة إلى الأيمان والعمل الصالح والاتفاق على كلمه سواء كما جاء في المنهاج السماوي ، وكذلك كانت الرسل تقوم بإعلان الجهاد الحربي كما كانوا يوفدون لتنظيم آثار الحرب للتفاوض أو لتبادل الأسرى أو لإبرام العهود والمعاهدات و استخدام الاتصال الدبلوماسي عن طريق السفراء المبعوثين المؤقتين لنقل الهدايا وغيرها، وهذه الطبيعة العارضة قديماً بقيت تميز الدبلوماسية الإسلامية (والدبلوماسية آنذاك بعامة) حتى العصر العباسي الأول كما كانت كل النظم تنظر إلى الدبلوماسية نظره شك وريبه فتعتبر الدبلوماسي جاسوساً ، ففي الدولة البيزنطية كانت تخفي ثرواتها ونسائها عن أعين المبعوثين والسفراء حتى لا تكون محط أطماع

---

(1) مبارك ، الإسلام والعلاقات الدوليه دراسة مقارنه، 1993، ص (267)

(2) الزحيلي، العلاقات الدوليه في الإسلام مقارنه بالقانون الدولي الحديث، ص (45)

دول هؤلاء السفراء ، وتحرص على أن تظهر لهم قوتها وشده بأسها واستعداد جيـشها أي إن مهمة الدبلوماسي حتى في العصر الحديث هي تتبع الحوادث في الدولـــة التي يقوم فيها بمهمته وإبــلاغ دولـته كل ما يهمها أن تكون على علم به وبمعنى عـــام كانت الدبلوماسية في النظم الوضعية خلافاً لمفهومها في الإسلام [1] حيث فـي الـنظم الوضعية لم تكن محصورة في كونها وسيله لتسهيل التعاون المتبادل وتحقيق الخير العام للدول بل كان يغلب عليها طابع البحث عن مواضع الضعف في الدولة الموفـد إليهـا المبعوث أو العين للأفاده منها عند نشوب الصراع.

1.10.3 الدبلوماسية في عهد الرسول صلى ا عليه وسلم

إن الظاهرة العامة التي سادت الفترة القصيرة التي أمضاها الرسول صـلى ا عليه وسلم على رأس الجماعة الإسلامية منذ تأسيسها بعد هجرته وأصحابه إلى المدينة، هي أن جل همه كان تبليغ الدعوة وأن ينشر مبادئــها قومه وأهله ، أوفي المنـاطق المجاورة والدفاع عن الدعوة الإسلامية ضد كفار العرب وحلفائهم ثـم تـولى نـشرها وأذاعتها للعالمين ، ولذلك فمن الطبيعي إلا توجد في كل الفتـرة التأسيـسية للجماعـة الإسلامية دبلوماسية سلمية مزدهرة نظراً لان الدعوة ووجهت من العـرب وغيـرهم بالعدوان والمقاتلة ، ومرحلة تكوين الكيان العام للإسلام ونشر دعوته ، وما اضـطرت إليه من جهاد لدفع اعتداء أعداء الدعوة الإسلامية ، ولم تسنح فرص كثيرة لكي تقـوم بين المسلمين وغيرهم من الأمم علاقات سياسية سليمة منظمة فلـم توجـد دبلوماسـية متبادلة سوى ما كانت تمليه نتائج المعارك ودعوة المشركين أو أصحاب الكتـاب إلـى الإسلام ، وكانت سفارات الرسول صلى ا عليه وسلم محدودة العدد والمدى والهدف، موجزه في إجرائها مبسطه دون تعقيد ، وأعظم السفارات الدبلوماسية في عهد النبـي صلى كانت كتبه إلى ملوك وأمراء عصره يدعوهم فيها إلى الإسلام والإيمـان بكتبـه ورسله ، والعمل الصالح وفق ما جاءت به رسالة السماء وقد غلبت على ذاك العـصر دبلوماسية الحرب الناتجة عن غزوات الرسول صلى ا عليه وسلم العظيمـة الآثـار للذود عن الإسلام وتوصيل رسالته إلى الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمـون العـالم القديم يومئذ ، وفي هذا الهدف كانت كتب الرسول صلى ا عليه وسـلم فـي الـسنة

(1) ابو هيف، علي، القانون الدولى العام ، ط 10 ، ص 493 نشأة المعارف الاسكندريه، 1977

السادسة من الهجرة إلى ثمانية من الملوك والأمـ ـراء الذين كانوا يحكمون العالـ ـ ـم القديم [1] وكانت مهمة كل السفارات والبعثات واحده وذات طبيعة وغاية دينية ، وهـي الدعوة إلى الدين الجديد (الإسلام) وتذكر روايات المؤرخين أنَ تلك الكتب كانـت فـي صيغة واحده متقاربة ومتماثلة [2] ، سادت العلاقات بين الدولة الإسلامية التي وضـع أسسها رسول ا صلى ا عليه وسلم وخلفه في قيادتها الخلفـاء الراشـدون ، وبـين الممالك المجاورة طبيعة المهمة الرئيسية لتلك الدولة : وهي تبليغ رسالة الإسلام بكـل صوره السلمية والجهاد ضد أعداء الإسلام وأعـداء انتشار مبادئه وقد سـار صـحابة الرسول صلى ا عليه وسلم على نهجه من بعده ويعد العهد الذي قام به سيدنا عمر بن الخطاب رضي ا عنه بين المسلمين وغيرهم من الأمم الذين صارت لهم ذمـه مـع المسلمين [3] وفي العصر الأموي سادت دبلوماسية الحرب والعلاقات الناتجة عنها حيث قضت الخلافة الأموية في الشرق معظم سنوات عمرها في تثبيت كيانها ومقاتله الـروم على حدودها الشمالية وقد كان من أشهر الحوادث الدبلوماسية بين الخليفةً معاوية بـن أبي سفيانً رضي ا عنه وبين الإمبراطور قسطنطين الرابع على أثر فشل الخليفة في الاستيلاء على القسطنطينية عام 58هـ 687 م ، وقد عبرت تلك المعاهدة عن ميـزان القوى حيث فرض البيزنطيون على الخليفة أتاوه سنوية وإيفاد مبعـوثين إلـى دمـشق للوقوف على نية الخلافة تجاه الدولة البزنطيه ، وكانت علاقاتهما محل بحث من قبـل بعثات دبلوماسيه من حين الأخر .[4]

---

(1) وهم: قيصر بيزنطه، وكسرى فارس، ونجاشي الحبشه (والمقوقس عظيم الاقباط) أو كيروس حاكم مصر الروماني، والحارث بن ابي شمر الغساني حاكم الشام التابع لبيزنطه وصاحب اليمامه وصاحب عمان والبحرين:ً إن القبط لم يكن لهم استقلال فمصر كانت ولاية رومانية تابعه لقيصر والمسلمون كانوا يعرفون ذلك ، ولذا فالمبعوث من الرسول صلى ا عليه وسلم توجه إلى الاسكندرية ليسلم رسالته ويؤدي سفارته إلى (كيروس) حاكم مصر الروماني ويرجح إن يكون هذا اسم المقوقس بالعرب، انظر: الطبري، تاريخ الطبري ج2 ص(649) وما بعدها.

(2) مبارك، الإسلام والعلاقات الدولية دراسة مقارنه ص (283) .

(3) الخضري، تاريخ الامم الإسلامية ج2 ص (85) .

(4) مبارك، مرجع سابق، ص(285).

وبعد قيام الدولة الإسلامية الثالثة العباسية تعاظمت علاقاتها الخارجية وازدهرت وتنامت دبلوماسيتها حيث كانت الدولة العباسية أحد أربع قوى رئيسية كانـت تـسيطر على العالم يومئذ وهي الإمبراطورية البيزنطية ، والإمبراطورية العباسية في الـشرق وقد ورثتا التنافس فيما بينهما الذي كان سائداً من قبل بين بيزنطـة وفـارس فتبادلتـا الاعتداءات وعقد المعاهدات بينهما ،وفي الغرب كانت الدولة الإسلامية الأمويـة فـي الأندلس وفي المقابل مملكة الفرنج (الأسبان المسيحيون) اللتان تبادلتـا الاعتـداءات والمعاهدات وتبادل السفارات لتبادل الأسرى أو مفاداتهم وكان ذلك طبيعياً بين دولتـين من اكبر وأقوى دول العالم يومئذ [1].

هذا وكانت الدبلوماسية الإسلامية تتم بوسائط ذلك الـزمن مـن حيـث الـشكل والمضمون إذا كانت تجرى وفقاً لمراسم وقواعد تلائم روح وظـروف ذلـك العـصر وتتفق مع مركز طرفي السفارة المتعاملين من حيث النصر أو الهزيمة ،وكانـت تلـك المعاهدات أو التصالحات هي المنظم والموجه للعلاقات الخارجية للدولة الإسلامية نحو غيرها وبالعكس، كما كانت تلك تنظم العلاقات لصالح هذا الفريق أو ذاك تبعاً لظروف القوة وقد صنف هذه الظاهرة الأستاذ محمد عنان حيث يقول :" كان لعقد هذه الصلات أثر كبير في توجيه سياسة الإسلام نحو النصرانية أو السياسة النصرانية نحو الإسلام ، وقد كانت هذه الصلات تتجه بالأخص من الغرب إلى الشرق في عصور القوة والمجد ذلك لأنها كانت في الغالب ترمي إلى التماس السلام والمهادنة أو تحقيق بعض المـنح والمغانم من الإسلام القوي الظافر . ولكنها كانت في عصور الـضعف والاضـمحلال تتجه بالأخص من أمم الشرق إلى أمم الغرب التي تتبوأ مقام الزعامة والنفـوذ وتعمـل لتوحيد سيادتها بالغرب والتفريق بين الدول الإسلامية المتنازعة كما كانت تفعل الدولة البيزنطية منذ انحلال الخلافة العباسية وتمزق سيادتها بين مختلف الـدول والإمـارات التي قامت على أنقاضها ، كما كانت تفعل أسبانيا النصرانية منذ أن انهـارت الخلافـة الأموية القوية وانقسمت الأندلس إلى دويلات عصر ملوك الطوائف الصغيرة ، وكذلك ساد التنافس بين الدولتين المسيحيتين البيزنطية في الشرق ومملكة الفرنج في الغرب ، كما الدولة الإسلامية في الشرق مع الدولة الإسلامية في الأندلس فقد حاولت كـل مـن الدولتين التنافس على زعامة الدين والدنيا أمام زعامة الدين الأخر في الطرف الأخـر

---

[1] مبارك، مرجع سابق، ص (286) .

وحاول الفريقان أن يفيدا من هذا التنافس بين دولتي كل فريـق مـن ذلـك أن الدولـة العباسية تتنافس مع الدولة الأموية الأندلسية فتبعث السفراء إلى دولة الفرنج في الغرب لمعاداتها للأمويين في الأندلس فكانت الاتصالات والسفارات بين الجانبين ، وكـ ـذلك كان ثمة فكرة مماثلة تحمل الدولة الأموية في الأندلس والدولة البيزنطية لتثير الخـصم اللدود للدولة العباسية ومنافسها في الشرق على عقد التفاهم والعلاقات الودية ، فكانـت بين أمراء بني أميه وقياصرة بيزنطة مراسلات وسفارات سياسية هامة . [1]

2.10.3 التفاوض كاداة في العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية:

المفاوضات لغة واصطلاحاً :

هي نوع من الحوار والاتصال الذي يتم بين طرفين أو أكثر بقصد الوصول إلى اتفاق حول مسائل أو موضوعات تخص العلاقات والمصالح المشتركة بين المتفاوضين بحيث تكون النقطة التي يتم الالتقاء عندها بالاتفاق ليست بالضرورة تلك النقطة التي تعبر عن المطالب التي يطرحها هذا الجانب أو ذاك عند بدء العملية التفاوضية بعدما تكون نقطة الالتقاء هذه تعبيراً عن نوع من" الحلول الوسط" أو الحلول التوفيقية المعقولة والمقبولة من قبل الطرفين المتفاوضين عبر تنازلات متبادلة ومتوازنة إلى حد بعيد وغاية ما في الأمر أن يكون ثمة حد أدنى يمثل القيم الأساسية والمصالح العليا التي لا ينبغي للمفاوض التنازل عنها أو التفريط فيها بأي حال من الأحوال طيلة جولات ومراحل العملية التفاوضية للدولة الإسلامية [2] .

---

(1) عنان، مرجع سابق ، ص (210 ،211)

(2) شتا، أحمد عبد الونيس، دراسة بعنوان الاصول العامة للعلاقات الدولية في الاسلام وقت السلم، دراسة في تحليل أهم أدوات العلاقات الخارجية للدولة الاسلامية – كتاب اعمال ندوة مناقشة مشروع العلاقات الدولة بالاسلام – العلاقات الدولية بين الاصول الاسلامية وبين خبرة التاريخ الاسلامي – مركز البحوث والدراسات السياسية المجلد الاول ط1 2000 ص (385) و(386) .

أهمية التفاوض في نطاق العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية :

ترجع الأهمية التي تكتسبها المفاوضات في هذا الخصوص إلى حقيقة كونها وسيلة ذات طبيعة سلمية تتصل في تبادل الحوار والمجادلة والإقناع العقلي في جو من التفاهم والاحترام المتبادل وهو ما يمثلُ أداة مهمة في إطار تحقيق العديد من أهداف العلاقات الخارجية للدول الإسلامية كما هو الشأن بالنسبة للتمكن لنشر الدعوة الإسلامية في الأرض وتسوية ما قد ينشأ من منازعات بين المسلمين وغيرهم إلى جانب استخدام التفاوض في إبرام العديد من الاتفاقيات والمعاهدات المؤقتة والدائمة هذا فضلاً عما تلعبه المفاوضات من دورهام وأساسي في بناء وتدعيم السلم والأمن وإشاعة روح التعاون والتفاهم بين الدولة الإسلامية والدول الأخرى غير الإسلامية ، ومثال ذلك : ما تم في صلح الحديبية من تبادل الرسل والمفاوضات بين الرسول صلى ا عليه وسلم ومشركي مكة إلى إن تم التوصل إلى اتفاق وما تم في معركة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة وفي حرب المسلمين ضد الفرس في بلاد ما وراء النهر أبان الخلافة الراشدة وما تم في هذه الوقائع من مفاوضات مضنيه شاقة بين المسلمين وغيرهم من أجل الاتفاق على تبادل الأسرى وفدائهم أو أطلاق سراحهم ، كل ذلك دليل على أهمية التفاوض في إبرام المعاهدات والاتفاقات بين الدول الإسلامية والدول الأخرى غير الإسلامية ، وفضلاً على ذلك فقد تضطر الدولة الإسلامية إلى الدخول في مفاوضات مع غير المسلمين بقصد دفع خطر عن البلاد الإسلامية والتخطيط من خلال ذلك لإضعاف جبهة العدو وذلك بالإتفاق مع البعض من الكيانات أو الدول غير الإسلامية على أن يقفوا موقف الحياد في حال قيام الحرب بين المسلمين وعدوهم ولو أقتضى الأمر دفع مال من المسلمين إلى غيرهم ، من ذلك مفاوضاته صلى ا عليه وسلم مع قبائل بني غطفان في يوم الأحزاب بقصد التزامهم الحياد في الحرب ضد المسلمين في مقابل حصولهم على ثلث ثمار المدينة لان اجتماع الأحزاب من بني النضير وبني فزاره وغطفان وبني مرة وبعض بني أشجع لمحاصرة المدينة آنذاك قد شكل تهديداً مباشراً للدولة الإسلامية [1] .

(1) شتا، مرجع سابق ص (387) .

مشروعية التفاوض:

يتضمن القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من الأدلة التي تنطوي على مشروعية اللجوء إلى التفاوض كوسيلة من وسائل تنفيذ الأهداف المرسومة للعلاقات الخارجية للدولة الإسلامية ومن ذلك قوله تعالى :**(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)** [1]صدق ا العظيم وقوله تعالى : **(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)**[2] صدق ا العظيم ، فلا شك أن ما تشير إليه الآيات من حالات السلم والموادعة والمحاورة تعبر عن إتّباع الأسلوب الحسن في محاورة أهل الكتاب ودعوتهم إلى الحق فضلاً على ذلك قوله تعالى **: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن)** [3] يفترض دخول المسلمين مع غيرهم في مفاوضات من أجل تبصيرهم بالحق ودعوتهم إليه بالمقالة المحكمة الصحيحة والمقنعة والعبر النافعة ، وغني عن البيان أن مشروعية اللجوء إلى التفاوض حسبما يستدل عليه من آيات القرآن سالفة الذكر تدعم أيضاً بما ثبت في السنة من أن الرسول صلى ا عليه وسلم قد دخل في مفاوضات كثيرة ومتنوعة مع المشركين في مكة وفي المدينة في إطار دعوتهم للإسلام أو على أثر قيام المعارك والحروب بين الجانبين ، من ذلك مفاوضاته صلى ا عليه وسلم مع سهيل بن عمرو مندوب قريش في معاهدة الحديبية ، ومفاوضاته صلى ا عليه وسلم مع يهود بني النضير حين خرج إليهم في عشرة من أصحابه يسألهم المعونة في دية قتيلين قتلهما أحد المسلمين خطأ وكذلك مفاوضاته صلى ا عليه وسلم مع أبي سفيان أثناء فتح مكة لإنهاء القتال [4].

(1) سورة الانفال آية (6)

(2) سورة آل عمران آية (64)

(3) سورة النحل آية (125)

(4) شتا، مرجع سابق ص (389) .

ارتباط الوسائل بالغايات في التفاوض:

ثمة حقيقة أساسيه ومهمة فيما يختص بالعلاقة بين أطراف العملية التفاوضية مؤداها : ارتباط الوسيلة التي يستخدمها المفاوض المسلم في تفاوضه مع الغير بالغاية من هذا التفاوض ، بعبارة أخرى : فإنّه إذا كانت اعتبارات المصلحة والسياسة الشرعية تقضي بأن يكون للمفاوض المسلم حرية الحركة بالنسبة للوسائل التي يستخدمها في مفاوضاته بما يتفق وطبيعة العملية التفاوضية في ذاتها ، فأن هذه الحرية مقيده بوجوب أن تكون تلك الوسائل في نطاق ما هو جائز ومباح شرعاً وذلك أن العروض المغرية التي عرضتها قريش على الرسول صلى ا عليه وسلم مقابل تخليه عن الدعوة كانت بحسب المألوف وطبيعة الأمور ، وحسبما تمليه مفاوضات الحكم والسياسة الشرعية كفيلة بأن يقبل هذه العروض ، حتى أذا ما دانت له الزعامة والجاه والملك ، إتخذ ذلك وسيله لنشر الدعوة وفرضها على الناس ، وهو ما لم يقبله النبي الكريم صلى ا عليه وسلم باعتبار ذلك منافياً لمبادئ الدين وقواعده الأساسية[1]

حصانات المفاوض :

تحفل السُنّة بالكثير من الأدلة التي تؤيد على ضرورة حماية المفاوض في شخصه وأمواله ، والتصدي لأي أذى أو اساءة تلحق به ، من ذلك قوله صلى ا عليه وسلم :" **إني لأ أخيس العهد (لا أنقضه) ولا أحبس البرد (لا أمنع الرسل من العودة إلى بلادهم)** [2] وقوله صلى ا عليه وسلم أيضاً لرسولي مسيلمة الكذاب اللذين جاؤوا إلى رسول صلى ا عليه وسلم بكتاب مسيلمة للتفاوض بشأن مشاطرة الرسول صلى ا عليه وسلم النبوة ، وعلى الرغم من إعلانهما نفس موقف مسيلمة – قال لهما صلى ا عليه وسلم :" **لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما**" [3] فالأصل في منح

(1) شتا، مرجع سابق ص (393) .

(2) أبي داود، سنن ج3 ص(110) لا اخيس : أي لا أنقض العهد ، من خاس الشئ في الوعاء ،البر والبرد : جمع بريد أي الرسل0

(3) الشوكاني، نيل الأوطار، جزء 8، ص (29)، ورواه ابو داوود، ص (2761) وصححه أبن حيان.

الحصانات والامتيازات يكمن حسبما يشير إليه الحديثان الصحيحان سالفي الذكر – في الصفة التمثيلية (كون المفاوض ممثلاً رسمياً لكيان أو دولة ذات سيادة) كما ويكمـن أيضاً في المقتضى الوظيفي ، وتتسم المفاوضات بالطبيعة الرضائية ، على معنى أن : دخول الدولة الإسلامية مع غيرها من الدول في مفاوضات ثنائية أو جماعية لا يكـون إلا بمقتضى اتفاق الأطراف المعنية على ذلك وانصراف إراداتهم إليه ، ويترتب علـى القول بتحقيق الصفة الرضائية للمفاوضات على الأقل فيما يتصل بمسارها ونتائجها – إن تظلّ الدولة الإسلامية شأنها في ذلك شأن غيرها من الأطراف المفاوضـة ، غيـر ملتزمة بما يصدر عن مفاوضها من أقوال أو أفعال تحدد الموقف التفاوضـي للدولـة الإسلامية أثناء سير العملية التفاوضية طالما لم تتوصل الأطراف المتفاوضة إلى اتفاق تلتزم به في علاقاتها المتبادلة ، وفي كل الحالات التي تنتهي فيها المفاوضات ، دون أن يتوصل الطرفان المتفاوضان إلى اتفاق محدد بشأن موضوع التفاوض ، فإن الأصل في علاقات الطرفين المتفاوضين بالنسبة لهذا الموضوع يظل كما كان عليه الحال قبل بدء العملية التفاوضية من حيث براءة ذمة الطرفين من أية التزامات أو حقوق فيما يخـتص بالمسألة محل التفاوض [1] .

التمثيل السياسي في الإسلام .

كانت الدبلوماسية مؤقتة أو متقطعة ؛ لان الحرب كانت سائدة بين الأمـم فـي أغلب الاحيان والعلاقات بين الشعوب فاترة ضعيفة ،وكان للمبعوثين الـسياسيين حـق الإقامة المؤقتة في غير بلادهم قبل ظهور التمثل السياسي الدائم في القرن السابع عشر ولا مانع شرعاً من قبول مبدأ التمثيل السياسي الدائم عملاً بفكرة تجدد الأمان المعطـى للممثل السياسي بطريق صريح أو ضمني حتى تنتهي مهمته بحسب الحاجة ؛ لأنـه لا يحتاج إلى تأمين خاص ، وأجاز فقهاء الحنابلة إعطاء الأمـان لكـل مـن المـستأمن والرسول السياسي لمدة مطلقة دون تقييد بزمن معين ،ويؤكد جواز ذلـك القـول بـان الأصل في علاقات المسلمين بغيرهم هو السلم لا الحرب لا سيما وأن مبـدأ المقابلـة بالمثل هو أساس فكرة التبادل الدبلوماسي وقد أقر العرف الدولي للمبعوثين الـسياسيين

---

(1) شتا، مرجع سابق، (395)

والقناصل امتيازات خاصة لتمكينهم من مباشرة وظائفهم وأداء أعمالهم بدون عائق لمبدأ المساواة والتبادل والإحترام لهؤلاء وهذه الحصانات أو الامتيازات ثلاث :

1. **الحصانة الشخصية**: لشخص المعتمد السياسي وأشـيائه وحقائبـه الـسياسية ودار الاعتماد وهي تقضي بتحريم كل تعرض أو اعتداء على ذلك .
2. **الحصانة القضائية**: ومن شأنها حماية المبعوث من الملاحقات المدنيـة والجنائيـة والإقليمية الإدارية.
3. **الحصانة المالية**: وهي تشمل الإعفاء من الضرائب والرسوم على أساس المعاملـة بالمثل وموقف الإسلام من هذه الحصانات يتبين فيما يأتي :

الحصانة الشخصية :

أقرها الإسلام عملا بمقتضى الأمان ،والأمان يمنع التعرض لـشخص الرسـول السياسي وماله وأسرته واتباعه وحاجاته بل ورسائله السياسية ولا يمنع من تمتعه بهذه الحصانة قصده التجسس أو الحصول على معلومات مهمة لصالح بلـده ، لان الفقهـاء قرروا ألا يكون محض عمل الشخص هو التجسس، والتمثيل السياسي الدائم يحقق فوائد متماثلة عن طريق تبادل الممثلين الدائمين ويقر الإسلام مثل هذا العمل لتحقيق مـصالح كثيرة تفوق بعض ما قد يلحق الدولة من ضرر بناء على القاعدة الأصولية التي تقضي بأنه: يرتكب أخف الضررين لإزالة أشدهما ، والحكم يتبع المصلحة الراجحة .

الحصانة القضائية :

فان الفقه الإسلامي يختلف فيها مع الأعراف الدولية الحاضرة لان الفقهاء يقرون مسئولية المستأمن والرسول السياسي مدنيا وجنائيا عما يرتكبانه من أعمال فـي بـلاد الإسلام لأن المستأمن ملزم بأحكام الشريعة بطلبه الأمان وأقامته في دار الإسـلام، [(1)] فيعاقب دفعا للفساد ، ودفع الفساد واجب ملزم لكل من يقيم بين المسلمين ولو مؤقتا ولا يصلح المجرم لأداء وظيفته ولا يستحق الحماية ، وتسامح أبو حنيفة في هـذا الـشأن فأعفى المستأمن من المسئولية الجنائية المتعلقة بحق ا ً الحق العامً كالزنا والـسرقة

---

(1) ابو يوسف تلميذ أبي حنيفه ، كتاب الخراج والأموال : ص(189) وابن اسحاق، شرح السير الكبير : ج1 ، ص (206)

ونحوهما ، كما يعفى في تقدير الأمام أبو زهرة من تطبيق العقوبات ألتعزيرية التي لـم يرد فيها نص شرعي مراعاة للأعراف الحاضرة لأن تقدير هذه العقوبات من حق ولي الأمر .[1] ولا خطر من محاكمة أي مجرم في بلاد الإسلام لان العدل والحـق سـمة بارزة في القضاء قال تعالى : **(ولاَ يجرمنكُم شنَآن قَومٍ على أَلا تَعـدِلُواْ اعـدِلُواْ هـو أَقْرب ِللتقْوى)** [2] والدول الحالية تبلغ دولة الموفد لمحاكمته ولها أن تعتبره شخصاً غير مرغوب فيه وتطلب استدعاءه بل لها في الجرائم الخطيرة أن تطرده وان تقبض عليـه إذا كان ذلك ضروريا للمحافظة على سلامتها .

الحصانة المالية :

وأساسها المعاملة بالمثل في العرف الدولي فهي مقررة أيضا في الفقه الإسلامي ففقهاؤنا أقروا إعفاء المستأمن من الضرائب التي كانت معروفه لـديهم فقـالوا يعفـى الرسل والسفراء من العشور (الرسوم الجمركية)ولهم نصوص صـريحة بـذلك .[3] ولوحظ في الإعفاء المذكور معاملة المثل بالمثل كما هو المقرر في العـرف الـدولي بالنسبة لأعضاء السلك الدبلوماسي والقنصلي، أما ضريبة الخراج فيعود للحـاكم ولـي الأمر فله حق تقدير طرحها وإعفاء من يرى منها ، لا سيما إذا أعفـي منهـا المـسلم المستأمن في دار الحرب ولا مانع شرعا من المقابلة بالمثل فيما لو أعفي سفراؤنا من الضرائب الشخصية المباشرة كما جرت بذلك عادة الدول الحديثة من باب المجاملة لأن المعاملة بالمثل أساس لكثير من الضرائب التي فرضها المسلمون على غيرهم وهو مبدأ مقرر في الإسلام .[4]

---

(1) ابو زهرة ، الجريمه والعقوبه ص (335) والعلاقات الدولية في الاسلام، ص (73)
(2) سورة المائدة :جزء من الايه (8)
(3) ابي يوسف، الخراج : مرجع سابق : (188)
(4) ابن اسحق، شرح السيرالكبير والمغازي : ج4 ص(283)

تأمين الرسل والسفراء في الإسلام

لقد كفل الإسلام للرسل والسفراء مختلف أنواع الحماية ، والرعاية ، والحصانة، والتكريم حتى وان أساؤوا للمسلمين ليتمكنوا من أداء مهمتهم ويحققوا الخيـر والـسلام للعالم وذلك بنص القرآن الكريم في سورة التوبة قال تعالى : **(وإن أحد من المـشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه)** [1] وبالسنة القولية والعملية فلـم يقتل النبي عليه الصلاة والسلام رسل مسيلمة الكذاب وقال :" **لو كنـت قـاتلاً رسـولا لقتلتكما**" قال عبد ا بن مسعود : فمضت السنةُ أن الرسل لا تقتل [2] ورد النبـي أبـا رافع مبعوث قريش إليهم بالرغم من إعلان إسلامه بمجرد رؤية النبي عليـه الـصلاة والسلام وقال ": **إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرود ولكن أرجع إليهم فان كان في قلبك الذي فيه إلآن فأرجع**" [3] واجمع الفقهاء على مشروعية الأمان وحمايـة الرسـل والسفراء وأجازوا للمبعوث السياسي أن يدخل بلاد المسلمين بدون حاجـه إلـى عقـد أمان.[4] ولم يجيزوا الغدر برسل العدو حتى ولـو قتـل الأعـداء رهـائن المـسلمين الموجودين عندهم فلا تقتل رسلهم لقول بعض الصحابة":وفاء بعهد من غير غدر خيـر من غدر بغدر" [5]

11.3 باب المعاهدات

1.11.3 العهود عند عرب الجاهلية :

إن عقد المعاهدات كان معروفاً عند عرب الجاهلية فالقبائل كل منها كان يمثـل شبه دويلة كانت تعقد فيما بينها الأحلاف والمعاهدات المتنوعة أهمها التحالف العام على السلم والنصرة والتعاون في أمور الثأر والمفاداة ودفع الديات ، وكان هـذه الموضـوع

---

(1) سورة التوبه : جزء من الايه (6)

(2) الشوكاني، نيل الاوطار، مرجع سابق ، ج8 ص(29)

(3) أبي داود، سنن، ج3 ، مرجع سابق ، ص (110)

(4) ابن اسحق، السير الكبير ، مرجع سابق ، ج1 ، (199)

(5) ابو يوسف، الخراج ، مرجع سابق ص(188)، و إبن إسحاق، السير الكبير: مرجع سابق :ج1 ص(320)

يأخذ اهتماماً كبيراً لدى العرب بالنظر لما فيه من تعزيز لقوة القبيلة ، فكـانوا يقيمـون الأعياد ويضرمون النار احتفاء بذلك ويسمونها نار التحالف ، ومن الأمثلة علـى هـذه الأحلاف حلف الفضول* فقد اجتمعت قبيلة قريش في دار أحد وجهائها عبـد ا بـن جدعان في مكة بعد أن كثر فيهم الزعماء وانتشرت الرئاسات وازدادت الاعتداءات فقرر المجتمعون التحالف على إعتبار مكة حرماً ومأمناً للناس لا يجوز فيها غزو ولا نهـب ولا قتال ولا ظلم ومن ثم تحالفوا على رد الظالم فيها وإنصاف المظلوم مـن الظـالم ، وكان النبي صلى ا عليه وسلم مع الحاضرين وقال عن ذلك بعد الرسالة : **(لقد شهدت في دار عبد ا بن جدعان حلف الفضول ما لو دعيت إليه لأجبتُ وما يزيده الإسلام إلا شدة)** [1] .

ومن أمثلة الأحلاف الأخرى في الجاهلية حلف المطيبين ، وقد أختلفت بطـون قريش على توزيع الوظائف البلدية* في مكة [2]، وانقسموا طائفتين وهما : بنـو عبـد مناف ومن تبعهم من جهة وبنو عبد الدار ومن تبعهم في الجهة الأخرى ، وهموا بالقتال فيما بينهم فتدخل كبراؤهم في الأمر حتى تداعوا إلى الصلح بأن تكون لبني عبد منـاف وأصحابهم وظائف السقاية والرفادة وتكون لبني عبد الدار وظـائف الحجابـة واللـواء والندوة وعقدوا على ذلك حلف لا ينتقصونه ، فأخرج بنو عبد مناف ومن تابعهم جفنـه مملوءة من طيب فغمسوا أيديهم فيها ومسحوا فيها الكعبة تأكيداً علـى أنفـسهم فـسموا المطيبين وكان منهم النبي صلى ا عليه وسلم وأبو بكر الصديق وكذلك أخرج بنو عبد الدار ومن تابعهم جفنه من دم وغمسوا فيها أيديهم ومسحوا فيها الكعبة فسموا الأحـلاف

---

(2) محمصاني، القانون والعلاقات الدولية في الإسلام، دار العلم للملايين ، بيروت ط2 كانون الثاني 1982 ، ص (137)

* وقد سمي حلف الفضول نسبه إلى الحلف الذي كان قديما في مكه أيام قبيلة جرهم وقام به رجال كلهم يسموا الفضل وهم الفضل بن الحارث والفضل بن وداعه والفضل بن فضاله .

(3) محمصاني، مرجع سابق ص(137)

* الوظائف البلدية كانت موزعه قبيل الإسلام على بطون قبيلة قريش العشرة يتناقلونها بالوراثة كما يلي: السقايه والعمارة لبني هاشم، العقاب: أي حفظ الراية لبني اميه، اللواء والندوه والحجابة وسدانة الكعبه لبني عبد الدار، والسفارة لبني عدي، والرفادة لبني نوفل، والمشورة لبني اسد، والاشناق لبني تيم والقبه والاعنه لبني مخزوم، والحكومة والأموال المحجرة لبني سهم، والايسار والازلام لبني جُمح .

وكان منهم عمر بن الخطاب ، وكذلك عرف عـرب الجاهليـة أنواعـاً أخـرى مـن المعاهدات منها إتفاق المساندة لأجل التناصر المتبادل في إعمال القتـال ومنهـا أتفـاق الموادعة لأجل إقامة السلم وتأكيد عدم الإعتداء أو الإستفزاز وهي شبيه لما يعرف اليوم بمعاهدات الدفاع المشترك ومعاهدات عدم الاعتداء [1] .

2.11.3 العهود في الإسلام :

جاءت الشريعة الإسلامية فأبرزت الإخوة الدينية والإنسانية الشاملة بـدلاً مـن العصبية القبلية المحدودة فوسعت نطاق عقد المعاهدات بين الأمم ثم فرضـت احتـرام المواثيق جميعاً حتى فوق واجب التضامن الديني، وتأكدت الصفة الإلزامية للمعاهـدات بصورة واضحة في كثيرمن آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى:(**وَأَوفُواْ بِعَهدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّم وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيمَانَ بَعدَ تَوكِيدِهَا)** [2] وقال تعالى: (**وَأَوفُواْ بِالعَهدِ إِنَّ العَهدَ كَـانَ مَسؤُولاً)** [3] وقال تعالى : (**إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ المُشرِكِينَ ثُمَّ لَم يَنقُصُوكُم شَـيئاً وَلَـم يُظَاهِرُواْ عَلَيكُم أَحَداً فَأَتِمُّواْ إِلَيهِم عَهدَهُم إِلَى مُدَّتِهِم إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُتَّقِينَ)** [4] والـذي يستقريء أحكام الشريعة الإسلامية في هذا المجال يجد أن المعاهدات الطريق الطبيعـي الذي ينظم العلاقة السلمية وأن أحكامها هي التي تسود ، وتشكل المعاهدات وشـروطها مرجعاً لبيان الحقوق والإلتزامات المتبادلة بين الدول قديماً وحديثاً ، والمعاهدات عبـارة عن عقود واتفاقات تعقدها الدول لتنظيم علاقة قانونية وسياسية كانت أو تجارية أو غير ذلك .

3.11.3 السابقات التاريخية للمعاهدات :

رويت عن النبي صلى ا عليه وسلم أمثلة وسابقات عديدة في عقد المعاهدات ، في طليعتها الوثيقة التي كتبها في المدينة في أوائل هجرته إليها سنة 623 م وهي كتاب

---

(1) الماوردي، ابو الحسن، الأحكام السلطانية ، ص(74، 75) وقاموس لسان العرب تحت كلمة حاف، ص(35 ، 37) و الأندلسي، محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ج2 ص (209 ، 210)

(2) سورة النحل ، جزء من الآية (91)

(3) سورة الاسراء ، جزء من الآية (34)

(4) سورة التوبة ، آية (4)

كتبه بين المؤمنين المؤلفين من المهاجرين المكيين والأنصار اليثربيين من جهة وبين اليهود من جهة ثانية ، حيث وادع فيه هؤلاء وأقرهم على دينهم وأموالهم وإشترط لهم وعليهم ما فصل في تلك الوثيقة وقد تضمن النص على وحدة الأمة المبنية على الأخوة الدينية ، وقررت حرية العقيدة والرأي وحُرمة النفس والحياة (الحرية الشخصية) وحُرمة المال (حرية الملكية الشخصية) وتحريم الجريمة ، ومن معاهدات النبي عليه الصلاة والسلام المهمة صلح الحديبية الذي عقد بينه وبين قبيلة قريش في مكة السنة السادسة للهجرة (628) م وهو معاهدة صلح وتحالف على عدم الاعتداء بين مسلمي المدينة ومشركي مكة ، وقد أعتبرت كسابقة لصحة عقد المعاهدات مع غير المسلمين لمدة مؤقتة ، كما تضمنت اعترافاً رسمياً من جانب المكيين بدين الإسلام وبدولة محمد صلى ا عليه وسلم في المدينة وكان عقدها في المدينة لمدة عشر سنوات وقد نقضها القرشيون بعد مرور سنتين فقط ، وكما يقول الإمام أبو زهرة : فإن هذه المعاهدة كانت لحُسن الجوار ولتثبيت دعائم العدل ويلاحظ فيها نصاً صريحاً على نصر المظلوم فهو عهد عادل لإقامة السلم وتثبيته بالعدل ونصر الضعيف ، وكل معاهداته عليه السلام كانت في هذا الصف ويروى أنه كتب كتاباً لليهود يثبت فيه عهده وجاء فيه:" **لكم ذمة ا وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم ورقيقكم وكل ما ملكت أيمانكم ، لا يطأ أرضكم جيش لا تحشدون ولا تحشرون ، ومن سافر منكم فهو في أمان ا وأمان رسوله لا إكراه في الدين**"[1] ونرى في هذا الكتاب تثبيت الحرية الدينية ممن كانت معهم القوى الغالبة ، ولقد عاهد النبي صلى ا عليه وسلم بني ضمره من قبائل العرب وهذا نص ذلك العهد" **هذا كتاب محمد رسول ا لبني ضمره بأنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وإن لهم النصر على من رامهم إلا أن يحاربوا في دين ا وإن الرسول صلى ا عليه وسلم إذا دعاهم إلى النصر أجابوه ، عليهم بذلك ذمة رسوله ، ولهم النصر من بر منهم واتقى**" ونرى في هذا أن هذه معاهدات كانت حرة لتنظيم علاقات سلمية مع التحالف على النصرة ونرى منها جميعاً أنها لم يكن فيها إكراه على دين ، بل كانت دعوة إلى سلم بين المتعاقدين ، ونصر حُر لا إثم فيه .

وبعد عصر النبي عليه الصلاة والسلام جاء عصر الصحابة وكانت الحرب قد نشبت بين المسلمين وبين أكبر دولتين في ذلك العصر وهما الفرس والروم.

---

(1) أبو زهرة، العلاقات الدولية في الإسلام، مرجع سابق، ص (77)

هذا وقد جاءت المعاهدات لتنظيم السلم من خلال نوعين من المعاهدات :

1- المعاهدات المؤقتة . 2- **المعاهدات الدائمة .**

1- المعاهدات المؤقتة :

وينظم هذا النوع من المعاهدات العلاقة السلمية بين الدول الإسلامية وبين غيرها من الدول ، سواء عقدت هذه المعاهدات في ظل حرب ناشئة أو في أعقابها أو كانت في ظل ظروف غير حربية ، وسمة هذا الصنف من المعاهدات أنها مؤقتة ، ولا تأخذ صفة الدوام أو تكون مطلقة عن التوقيت لم يتعرض الطرفان لتحديد مدة فيها ، لـذلك جـاء تعريف المعاهدة في الكتب الفقهية بأنها (مصالحة أهل الحرب على ترك القتـال مـدة زمنية أو غيره) [1] هذا وقد أخذت المعاهدة عدة أسماء فـي كتـب الفقـه الإسـلامي بالإضافة إلى كلمة المعاهدة فقد أطلق عليها الهدنة والمهادنة والموادعة والصلح والعهد والأمان [2] ومثال على المعاهدات المؤقتة ، معاهدة صلح الحديبية .

صلح الحديبيـة.

نحن نعلم أن النبي صلى ا عليه وسلم قد دوهم في المدينة مـن قبـل أعـداء الإسلام من قريش وأحزابها ومن اليهود وحلفائهم ، وفي غزوة الأحزاب قرر الرسـول عليه الصلاة والسلام أن قريشاً لن تغزو المدينة بعد هذا أبداً فأصبحت الدولة الإسـلامية بعد ذلك دولة مرهوبة الجانب عند جميع العرب ، ولكن الرسول صلى ا عليه وسـلم فكر في خطة أُخرى يخطوها في سبيل الدعوة وفي سـبيل تقويـة الـدعوة الإسـلامية وإضعاف أعدائه وقد بلَغَهُ أن مؤاخاة كانت بين أهل خيبر ومكة على غـزو المـسلمين فرسم خطة يصل بها موادعةً مع أهل مكة ينتج عنها أن يخلى بينه وبين العرب لتسهيل نشر الدعوة في الجزيرة العربية وأن يعزل بها خيبر عن قريش ، ورأى أن هذه الخطة إنما هي زيارة بيت ا الحرام ملتزماً بها خُطّةَ السلم حتى يصل إلى المقصود ، ورأى أن عدم محاربة العرب في الأشهر الحُرُم تُسهلُ لهُ هذه الخطة ، وكان الرسول صلى ا

(1) أبن قدامة، المغني، ج 10، ص (517)

(2) الكاساني، بدائع الصنائع، ج 7، ص (108)

عليه وسلم يعلم أن قريشاً قد تفككت وحدتها وصار يساورها الخـوف مـن المـسلمين وتحسب لهم ألف حساب ، فأراد أن يذهب إلى البيت الحرام وإذا منعته قريش كان هـذا المنع وسيلة من وسائل الدعوة الإسلامية في السلم ، ومن وسائل الدعوة ضد قـريش ، ولهذا أذن الرسول صلى ا عليه وسلم بالعمرة في شهر ذي القعدة الحرام ، وأرسل إلى القبائل من غير المسلمين يدعوهم إلى الاشتراك معه في الخروج إلى بيـت ا الحـرام آمنين ، وكان يقصد في ذلك أن يعلم العرب أنهُ خرج معتمراً ولم يخرج غازيـاً وأنـه أشرك العرب من غير المسلمين وهم ليسوا على دينه لأنه لا يريد قتالاً وبـذلك يكـسب الرأي العام معه فيما لو منعته قريش من العمرة ، ولقد قرر خطة السلم ولذلك لم يـأذن للمسلمين أن يحملوا سلاحاً إلا السيوف في أغمادها ، وغادر الرسـول عليـه الـصلاة والسلام المدينة ومعه ألف وأربعمائة رجل وهو يتقدم الناس على ناقته القصواء وأحـرم بالعمرة من ذي الحليفة [1] .

ولما سار نحو مكة بلغ خبره قريشاً بأنه قدم للعمرة لا للقتال ، فخافت قريش أن يكون الأمر خطة من الرسول عليه السلام لدخول مكة على أهلها وحسبت لهـذا الأمـر ألف حساب وقررت أن تحول بينه وبين دخول مكة مهما كلف ذلك مـن تـضحيات ، فجهزت جيشاً للقاء المسلمين وصدهم عن مكة وعقدوا لخالد بن الوليد وعكرمة بن أبـي جهل على جيش كبير ، ووصل خالد إلى ذي طوى وعسكر هناك كما عسكر النبي عليه الصلاة والسلام بعسفان وسأل النبي صلى ا عليه وسلم رجلاً من بني كعب عن أخبار قريش فقال له :" لقد سمِعت قريش بمسيرك فقد خرجوا وقد لبسوا جلود النمور [2] فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم" : **يا ويح قريش ، قد أهلكتهم الحرب فماذا لـو خلـوا بيني وبين سائر العرب فإن هم أصابوني كان ذلـك الـذي أرادوا ، وإن أظهرنـي ا عليهم دخلوا في الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فو ا لا أزال أُجاهد على الذي بعثني ا به حتى يظهره ا أو تنفرد هذه السالفة**" [3]

(1) الشوكاني، نيل الاوطار ، ص 1990 ج 8 ط المنيرية نقلاً عن: الحسن، العلاقات الدولية في القرآن الكريم والسنة ص(342) .

(2) البيهقي، سنن البيهقي، ج9، مرجع سابق، ص (219)

(3) الشوكاني، نيل الأوطار، مرجع سابق ج 8 ص 195- 196 ط أبي يوسف، المنيرية وكتاب الخراج ص، (210) طبعه ثالثة ، المكتبة السلفية، محي الدين الخطيب ، القاهرة

وهنا وقَفَ رسول ا صلى ا عليه وسلم يفكر في الأمر ويعيد النظر في الخطة التـي اختطها ، ولقد قرر خطة السلم ولم يتهيأ للقتال ، ولكن قريش أرسلت إليه جيشاً لتقاتلـه وهو لا يريد قتالهم ولكن أيرجع أم يغير خطة السلم إلى خطة القتـال ؟ إنـهُ يعلـم أن المسلمين قادرون على مواجهة خصمهم ودخول معركة مع عدوهم إن لـم يكـن مـن الحرب بُد ، ولكنه لم يُحضر للحرب ولم يقرر القتال وإنما جاء ليعتمر وجاء مـسالماً ، وهنا فكر الرسول صلى ا عليه وسلم في إرسال وفد من عمر وعثمـان رضـي ا عنهما فذهب عثمان ولما أُشيع أنه قتل عثمان هاج المسلمون هياجاً شديداً فأخذوا حذرهم واستعدوا لقتال عدوهم وهنا فكر الرسول صلى ا عليه وسلم في إعادة النظر في خطة السلام وتحويلها إلى خطة حرب بعد أن غدرت قريش بعثمان في الشهر الحرام ولـذلك قال : (**لا نبرح حتى نناجز القوم**) [1] ودعا الناس إليه فبـايعوه علـى أن ينـاجزوا قريشاً وكان ذلك تحت الشجرة وقد وصف القرآن الكريم هذا الموقـف العظـيم وقـال تعالى:(**لقَد رضِي الله عن الْمؤْمِنِين إِذْ يبايِعونَك تَحتَ الشجرةِ فَعلِم مـا فِـي قُلُـوبِهِم فَأَنزلَ السكِينَةَ علَيهِم وأَثَابهم فَتْحاً قَرِيباً{18}ومغَانِم كَثِيرةً يأْخُذُونَها وكَان الله عزِيـزاً حكِيماً{19}**) [2] ولكن حينما أستعد المسلمون للحرب إذ بعثمان قد قَدِم بأخبـار قـريش وتجددت المفاوضات السلمية وعادت قريش مرة أخرى لإرسال وفد فأرسلت سُهيل بـن عمرو وبذلك تحققت خطة الرسول صلى ا عليه وسلم السلمية وهي اتفاق مع قـريش على وضع الحرب وكان الرسول عليه الصلاة والسلام بعيد النظر في إبرام المعاهـدة ، والمتأمل لنصوص المعاهدة يدرك النتائج الباهرة التي ترتبت عليها [3].

وحول المكاسب التي حققها المسلمون من معاهدة الحديبية يقول الأسـتاذ أحمـد الكومي :" ولا جرم أن هذه الهدنة حكمة بالغة ، كان لها أعظـم الأثـر فـي مـستقبل الإسلام، فقد تضمنت إعتراف قريش بالدولة الإسلامية وقيامها ، ثُّم إن إقرارها للمسلمين بحق زيارة البيت العتيق إعتراف منها بأن دين الإسلام من أديان شبه الجزيرة ، وطالما أنكرته وناصبت أهله العداء ، نعم لقد أثبتت الأيام أن هذا العهد حكمة سياسية ، وكانت

---

(1) المباركفوري، الرحيق المختوم ص (50) .

(2) سورة الفتح، الآيتان (18، 19)

(3) الحسن، العلاقات الدولية في القران والسنه، مرجع سابق، ص (344)

هذه أول مرة اعترفت قريش فيها بمحمد صلى ا عليه وسلم ، لا على ثـائر وخـارج عليها بل أنه ندها وعدلها ، فاعترفت بذلك بالدولة الإسلامية وقيامها ، ثم إن إقرارها للمسلمين بحق زيارة البيت وإقامة شعائر العمرة أعتراف منها بان الإسلام دين مقـرر معترف به من أديان شبه الجزيرة العربية" [1] .

ومن أهم النتائج والمكاسب التي حققها النبي صلى ا عليه وسلم ما ذكره إبـن كثير أن النبي صلى ا عليه وسلم قد عزل يهود خيبر عن قريش ، وفعلاً فقد تمكن من القضاء على يهود خيبر دون تدخل أحد قال تعالى :" **وعدكم الله مغانم كثيرةً تأخُذُونَها فَعجلَ لكُم هذِهِ وكَف أَيدِي الناس عنكُم ولتكُـون آيـةً للمـؤْمِنين ويهـدِيكُم صِـراطاً مستَقِيماً** [2] .

وهذه المرة الأولى التي تلجأ فيها قريش إلى عقد هدنة لمدة عشر سنين جعلـت المسلمين يطمئنون من جهة الجنوب ولا يخشون غارة قريش ومهدت للإسلام أن ينتشر ويزداد انتشارا سريعاً بعد هذه المعاهدة بل كانت هذه الفترة مـن الفتـرات الذهبيـة لانتشار الإسلام ، ويتحدث المستشرق أرنولد في كتابه ، الدعوة إلى الإسلام فيقـول :" يحدثنا التاريخ بصراحة ووضوح أن أهم فترة أنتشر فيها الإسلام هي فترة السلم التـي تلت صلح الحديبية بين قريش ومحمد صلى ا عليه وسلم وكانت فترة السلم سـنتين ، ويقول المؤرخون أن من دخل الإسلام في خلال هاتين السنتين أكثر ممن دخلـوا فـي المدة التي تقرب من عشرين عاماً منذ بدء الإسلام حتى الصلح ،وهذا يـدلنا علـى أن انتشار الإسلام تبع للسلم [3] .

ونضيف إلى أن النبي صلى ا عليه وسلم قد عقد معاهدة الحديبية وتوخى فيها المصلحة للمسلمين بل كشف التاريخ عن بعد نظر وعن حكمة عظيمة ونتائج كبيـرة ، وأن الرسول صلى ا عليه وسلم بعقده هذه الهدنة قـد نظـر إلـى صـالح الـدعوة الإسلامية، وقد سدد الوحي خطاه وثبته بعد أن استشار أصحابه على الحرب أو السلام ، فاختاروا الحرب ولكنه أختار السلام مؤيداً بالوحي [4] .

---

(1) الكومي، احمد، تفسير سورة الفتح، ص (27)
(2) سورة الفتح آية (20) .
(3) توينبي، أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص (108) شلبي، احمد، التاريخ الإسلامي ص (179)
(4) الحسن، مرجع سابق، ص (341)

المعاهدات الدائمة :

وهي المعاهدة التي تنهي حالة الحرب بين الدول الإسلامية وبين من يدخل فيها من غير المسلمين فرداً أو جماعة أو دولة إنهاء مؤبداً ما لم ينقض هذا الطرف عهده أو يخل بأحكامه إخلالاً بيناً ، ولا يعرف الفقه الإسلامي نموذجاً لهذا النوع من المعاهدات إلا عقد الذمة أو عقد الجزية . فما معنى عقد الذمة ؟ معنى عقد الذمـة : الذمـة لغـة معناها: العهد والأمان والكفالة والحرمة[1]، وأهـل الذمـة المعاهـدون مـن اليهـود والنصارى وغيرهم ممن يقيم بدار الإسلام[2] ومعنى عقد الذمة في **الإصلاح** :- هـو عقد يصير بمقتضاه غير المسلم في ذمة المسلمين أي في عهدهم وأمانهم علـى وجـه التأبيد وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام [3] أو هو إقرار غير المسلمين على دينهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام ا [4] وأهل الذمة بناء على هـذا هـم الـذين ارتضوا العيش في دار الإسلام من غير المسلمين وتعهدوا في مقابل ذلك أن يخـضعوا لأحكام الإسلام والنظام العام وأن يلتزموا بها قانوناً كالمسلمين وإن لم يؤمنوا بهـا وأن يدفعوا مبلغاً من المال وهو الجزية لقاء انتفاعهم بمرافق الدولة وما تقدم لهم من خدمات ورعاية وحماية ومن أمثلة المعاهدات الدائمة ، العهدة العمرية .

العهدة العمرية :

وهي التي عقدها الخليفة عمر بن الخطاب رضي ا عنه مـع أهـالي بيـت المقدس ، بعد إستسلام تلك المدينة في العام الخامس عشر للهجرة (636م) وتعد هـذه عهداً أساسياً لأهل الذمة في دار الإسلام . ففي هذه المعاهدة أعطى الخليفة عمر رضي ا عنه أهل إيلياء [5] أماناً كاملاً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم ، بحيث لا يكرهون على

---

(1) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث والأثر ج2ص (16) .

(2) الفيروز أبادي، القاموس المحيط (باب ذمم)

(3) زيدان، عبد الكريم، أحكام الذميين والمستامنين في دار الإسلام، ص (40)

(4) الحنبلي، منصور بن إدريس، كشاف القناع ج 1، ص (704) .

(5) محمصاني، مرجع سابق، ص (141)

دينهم ولا تهدم كنائسهم ، ولا ينقص شيء من أموالهم وقد إشترط فيهـا أن لا يـسكن إيلياء أحد من اليهود ، وذلك بناء على طلب البطريرك صفرونيوس ، وهذه المعاهـدة تمثل روح الشريعة الحقيقية السمحة التي وضعها الفاروق قولاً وعملاً فكان توقيع هذه المعاهدة على أثر الصلح الذي رغب به أهالي إيلياء بعد طول الحـصار علـيهم وقـد طلبوا أن يكون المتولي لعقدها عمر بن الخطاب رضي ا عنه بنفسه ، فأجـاب هـذا الخليفة رغبتهم فحضر إليهم بنفسه ووقعها بعد أن أعطى على ما فيها من العهود المنوه بها وأشهد عليها من حضر الصحابة والقواد وهذه الوثيقة التاريخية محفوظة في ديـر الروم الخاص بالطائفة الأرثوذكسية في بيت المقدس [1] .

وبعد ذلك ، سار الخليفة إلى تلك المدينة ودخل كنيسة القيامة فلما حـان وقـت الصلاة قال البطريرك – صلّى في موضعك ، فرفض الخليفة ولـم يـصل إلا علـى الدرجة التي على باب الكنيسة . ولما انتهى من الصلاة ، قال للبطريرك :ً لو صليت داخل الكنيسة ، أخذها المسلمون من بعدي ، وقالوا هنا صلى عمرً ثم أمر الخليفة ببناء المسجد على الصخرة الغربية من ذلك المكان [2] وتعد هذه الوثيقة أنموذجاً رائعاً عـز نظيره ، وقل مثاله بين الأمم ذلك الذي شكلتهً العهدة العمريةً التي وقعهـا ومهرهـا باسمه أمير المؤمنينً عمر بن الخطابً وشهد عليها أربعةٌ من كبار الصحابة الأجلاء، لتصبح دستوراً وأماناً لأهل إيلياءً القدسً.

وإن هذه العهدة العمرية التي أعطيت لنصارى إيلياء أصـبحت مُلكـاً للتـاريخ الإنساني ، تَدلُ دلالة واضحةً على قيم العفو والتسامح التي لـم يـشهد لهـا التـاريخ الإنساني ما يضاهيها أو يقاربها، إلا نموذجاً واحداً حين سمح الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم لوفد نجران بالعودة من المدينة المنّورة إلى بلادهم نجـران دون أن يـسلموا وإنما ظلوا على دينهم ومعتقدهم بعد أن استأذنوا رسول ا صـلى ا عليـه وسـلم بالرحيل فأذن لهم وتدل العهدة العمرية التي كتبت أماناً لأهل إيليـاء بعـد أن فتحهـا

---

* سميت مدينة القدس (إيلياء) عن إسمها اللاتيني : إيليا كابيتوليـا Aelia capitolina ، أي العظمى نسبة إلى الامبراطور الروماني إيليوس هدريانوس Aelius Hudrianus الذي بناها مجدداً على أثر محو المدينة القديمة بعد إخماد ثورة اليهود فيها بين سنة 132 و 135 م .

(1) الحسيني أمين، مذكرات أمين الحسيني، مجلة فلسطين، بيروت، عدد أيلول 1969 ص 41 .

(2) الواقدي، فتوح الشام، ج 1، ص (154)

المسلمون صلحاً آمناً ، وسلم البطريرك ً صفرونيوس مفاتيحها إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي ا عنه أماناً لهم ولأموالهم وأولادهم وكنائسهم وصلبانهم دون أن يأخذ منها شيئا" وبدون أن يفقدوا قطرة دمٍ واحدة ما داموا قبلوا الحماية ، هذا الشاهد التاريخي الذي رأينا عكسه في سقوط الأندلس في يد الأسبان ، وفي زمن الاسـتعمار الحديث السابق واللاّحق الذي لم يترك على الأرض شيئاً يمور بالحياة ، إن هذا الخلق الإنساني الكبير وقيم العدل والمروءة والعفو عن المستأمنين جسدها خليفـة المـسلمين عمر بن الخطاب رضي ا عنه وألتزم بها الجيش الإسلامي التزاما منقطـع النظيـر، والتي إشترط فيها أن لا يبقى فيها اليهود وفيها حق الخروج لنصارى إيلياء ومن أَحب منهم أن يلتحق بالروم فله ذلك وليحمل معه ما أراد من أهل ومال وصلبان ومتاع إنها قمة العظمة للفاتحين الذين تخلّقوا وأطاعوا قائدهم وأميرهم فأمنوا الناس على حيـاتهم وأولادهم ومعتقداتهم وكنائسهم وصلبانهم، وهذا لم نعهده بالفاتحين عبر العصور السابقة حين تسقط في يدهم مدينة سواء بالصلح أو بالحرب وتقول الوثيقـة (أنـه لا تـسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من خيرها ، ولا من صلبهم ،ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحداً منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود)[1] .

لا أعتقد انهُ بلغت قيمة من قيم التسامح مثل هذا السمو والرفعة والتزام بالعهـد مثلما بلغت الوثيقة العمرية ودخلت التاريخ كعهد من عهود التسامح المـضيء الـذي تتباهى به الإنسانية ،وأنه هو عين العفو عند المقدرة مادام الصلح كان بديلاً عن الحرب والحصار (وهذا ما أعطى عبد ا أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسـائر ملتهـا)[2]هنـا قمـة التواضع في وثيقة التسامح والأمان الرائعة ، حين قّدم أمير المؤمنين عبوديته علـى منصبهِ كأمير للمؤمنين وذكر في هذه الفقرة العظيمة الأمان مرتين،أماناً أعطاهم إيـاه المقر بعبوديته تواضعاً وإذعاناً عز وجل الذي أعطاه هذا الفتح المبين،ثم جـاءت

---

(1) الزحيلي، العلاقات الدولية في الاسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث، مؤسسة الرسالة، ط ـ 1، 1401 هـ ـ، 1981 بيروت، ص (164) .

(2) المرجع نفسه.

صيغتا الأمان كدليل ملموس على معنى عظيم من معاني السلم والصفح وقيمة مـضيئة من قيم التعامل الإنساني.

4.11.3 مشروعية المعاهدات

شرع الإسلام المعاهدات واعتبر جوازها أصلا ثانياً دلت عليه نصوص الكتـاب وسنة النبي صلى ا عليه وسلم ومن ذلك قوله تعالى : **(وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على اللّه إنه هو السميع العليم{61} وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك اللّـه هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين{62})** [1] فهذه الآية دلت على مشروعية المصالحة مع غير المسلمين متى كانت محققة للمصلحة العامة [2] وقال سبحانه : **(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام اللّه ثم أبلغه مأمنه ذلـك بـأنهم قـوم لا يعلمون)** [3] والآية وان سبقت لبيان جواز الأمان بغرض سماع الإسلام والتعرف على أحكامه إلا أنها غير مقيدة بهذه الحالة فقط يكون الأمان لأغراض التجارة أو السياحة أو التعليم أو لأي غرض مباح آخر ، وقد عقد النبي صلى ا عليـه وسـلم جملـة مـن الاتفاقات والمعاهدات مع غير المسلمين كموادعته لليهود فـي المدينـة بعـد الهجـرة مباشرة، ومعاهدة صلح الحديبية مع قريش التي أوقفت الحرب بين الفريقين مدة عـشر سنين [4] ويعلق النووي على حديث صلح الحديبية فيقول : (**وفيه أن للإمام إن يعقـد الصلح على ما رآه مصلحة للمسلمين وان كان لا يظهر ذلك لبعض الناس في بدايـة الرأي وفيه احتمال المفسدة اليسيرة لدفع أعظم منها أو لتحصيل مصلحة أعظم منها إذا لم يمكن ذلك إلا بذلك**) [5] أي إذا لـم يمكـن تحـصيل المـصلحة الكبـرى إلا بالمعاهدات والمصالحة .

---

(1) الأنفال : 61-62

(2) ابن حجر، فتح الباري ج6 ، ص (276)

(3) سورة التوبة : اية (6)

(4) مسلم ، صحيح مسلم بشرح النووي ج 7 ، ص (419)

(5) المرجع نفسه.

5.11.3 شروط المعاهدات:

وضع الإسلام للمعاهدات شروطاً لا تصح إلا بها ، لأن غاية الشروط أن توجه التصرف كي تحقق ما شرع له من دون الإخلال بمقاصد الـشرع ومبـادئ الإسـلام الكلية، والمعاهدات وإن كانت مشروعة في الأصل إلا أنها حتى تحقق مصالح الإسلام والمسلمين لا بد أن تتوفر فيها الشروط الآتية :

الشرط الأول :أن لا تعارض المعاهدات نصوص الشريعة ، ولا مقاصدها متى كانـت في حالة السعة والاختيار لقوله صلى ا عليه وسلم " **كل شرط ليس في كتاب ا فهو باطل وان كان مائة شرط**"[1] ففي المعاهدات السياسية لا يجوز الدخول فـي معاهـدة تستباح بمقتضاها الشخصية الإسلامية ، أو تنقص كرامتهم أو تنال من سيادتهم علـى أرضهم أو يضيع بها جزء من بلادهم [2] .

يقول الأستاذ الدريني:(عقد السلم أو الصلح الذي يحل حراماً محرم في الإسـلام قطعاً) [3] ويقول : (كـل سلم تحمل المسلمين على الهوان ، أو تريدهم على الإستخذاء أو على إقرار عدوهم على بغيه وعدوانه من انتهاكه لحرمة أوطانهـ ـ ـم واغتـصاب أجزاء منها واستلاب حقوقهم، ففيها بما أخرجهم منها عنوة بقوة السلاح ليحل محلهـم أمما وجماعات وافده من بقاع شتى من دول العالم احتلالا" استيطانيا" ليمحـو وجـود المسلمين ومقومات حياتهم وحضارتهم ومقدساتهم ، مثل هذه السلم محرم في الإسـلام قطعا" ، ولا يقره بديلاً عن فرضية الجهاد العينيه في مثل هذه الحال للأدلـة القاطعـة التالية :

1. لأنها" سلم هوان" وا تعالى يقول في شانها : **(فَلا تَهِنُوا وتَدعوا إِلى السلْمِ وأَنـتُم الأعلون والله معكُم ولن يتركُم أَعمالَكُم)** [4] .
2. قيام المعاهدة أو المسالمه على محض البغي والعدوان وذلك محرم شرعاً" بـالنص بل ما جاء الإسلام إلا ليلغي ظاهرة البغي والعدوان من الأرض إيقاعا أو توعـا أو

---

(1) البخاري، الجامع الصحيح ج3 ص (251) طبعة دار الشعب

(2) ابو ليل، اسس العلاقات الدولية ص 505

(3) الدريني، محمد فتحي، خصائص التشريع الاسلامي في السياسة والحكم، ط1، بيروت مؤسسة الرسالة 1402 هـ - 1982م، ص (356)

(4) سورة محمد، آية (35)

استمرارا وبقاءاً لقوله تعالى : **(ولا تَعاونُواْ على الإِثْمِ والْعـدوان)** وإنما طلب إقرار الحق والعدل في العالم كله هذا ولا تعاون اشد أثما وأعظم نكرا من عقد سـلم مـع عدو باغ متسلط لأنه ينطوي على إقرار عدوانه واستمرار بغيه على ديار المسلمين ووجودهم ومقدساتهم وثرواتهم وحضارتهم .

3. لقوله تعالى :**(فَمن اعتَدى عليْكُم فَاعتَدواْ عليهِ بِمِثْـل مـا اعتَـدى علَـيكُم)** [1] ، **(وأَخْرجوهم من حيثُ أَخْرجوكُم)** [2].وهذا يفيد إن على المسلمين إزاء المعتدي إن يردوا عليه عدوانه بمثله وذلك بشن الحرب ضده كسرا لشوكته بأقصى مستطاعهم من القوى وان يحرصوا على ذلك كل الحرص .

4. لقوله تعالى:(**والَذِين إِذَا أَصابهم الْبغْي هم ينتَصِرون**) [3] وذلـك بمقاتلـة البـاغي انتصافا لأنفسهم من عدوهم للظلم أبدا لقوله تعالى **(ولا تَركَنُواْ إِلى الـذِين ظَلَمـواْ فَتَمسكُم النار)** [4].

5. منافاة سلم الهوان لمقتضيات العزة الالهية التي أرداها ا للمؤمنين لقوله تعـالى: **(ولِلهِ الْعِزةُ ولِرسولِهِ ولِلْمؤْمِنِين)** [5].

6. لا يربط الإسلام أحكامه بمظاهر اللفظ أو القول وإنمـا يحفـل بالحقـائق وينـوط الأحكام بها ، ومن ثم ليقرر الإسلام سلماً أو صلحاً أو معاهدة ، هي في جوهرهـا وسيلة غير مستدامة لقهر المغلوب أو إبقاء على أثار عدوان الظالم تحكيمـا للقـوة الغاشمة في العلاقات الدولية ، أو عملا بما يسمى سياسة الأمر الواقع لما تتـضمن هذه السياسة من تغليب القوة على الحق والعدل وهذه مناقـضة لأصـول الإسـلام ومقاصده الأساسية أو نظامه الشرعي العام الذي هو حق ا ومعلوم انه لا يملـك احد أن ينقض حق ا عن طريق التراضي أو التعاقد أو التعاهد .

---

(1) سورة البقرة ، اجزء من آية (194)

(2) سورة البقرة ، جزء من آية (191)

(3) سورة الشورى ، آيه (39)

(4) سورة هود ، آية (113)

(5) المنافقون ، جزء من آية (8)

7. الإسلام يقضي بوجوب الجهاد فرضا عينيا حال مداهمة العـدو ديـار المـسلمين واستيلائه على أجزاء من أراضيهم وإخراج أهلها منها عنوة وهـذا الحكـم ثابـت بالإجماع ويبقى هذا الحكم مستمرا لقيام علته فما دام الباغي قائما فلا يجوز قطـع استمرار هذه الفريضة شرعا ،وعقد السلم أو المعاهدة السلمية مع وجود هذا العدوان قطع لاستمرار فريضة الجهاد العينية مع وجود علتها وذلك إسقاط للحكم مع وجود علته وهو محرم وما أدى إليه محرم بداهة.[1]

8. هذا في المعاهدات السياسية أما في المعاهدات التجارية فلا يجوز معاهدة لا تراعي أحكام الشرع في البيع والشراء والصرف ،فلا تجوز معاهدة يستباح فيها الربـا أو الخمر والخنزير ، وهكذا في كل معاهدة يجب مراعاة أحكام الشريعة فـلا تجـوز معاهدة يخالف مضمونها نصوص الشريعة وأحكامها ومبادئها العامة .

الشرط الثاني : أن يباشر عقد المعاهدة رئيس الدولة أو أي شـخص ذو أهليـة يمثـل الدولة لان المعاهدات من المصالح العامة وتحقيق المصالح العامة مـن خـصوصيات الإمام أو نائبه . ولان أحكام المعاهدات تسري على كافة الناس والذي له حق الطاعـة على الكافة هو رئيس الدولة فإذا انشأ معاهدة الالتزام بأحكامها يصير واجبا على جميع الأفراد .[2]

الشرط الثالث : الرضا المتبادل بين الطرفين [3] وهذا الشرط أساسي فـي اسـتقرار المعاهدات ،وخاصة المعاهدات المدنية ، أما المعاهدات التي تعقد فـي ظـل ظـروف حربية فان اشتراط الرضا المطلق أمر متعذر لكن يكفي أن تقبل الدولة بالمعاهدة دفعـا لضرر أعلى ، وان شاب إرادتها عيب الإكراه .

الشرط الرابع : أن يكون للمسلمين فيها مصلحة ظاهرة يغلب على الظـن تحققهـا لان المعاهدات روابط عقدية بين الدول لتحقيق مصالحها فإذا كان في المعاهدة مفسدة يغلب على الظن تحققها فإنها لاتجوز، وإذا عقدت فإنها تقع باطلة باتفاق الفقهاء. [4].

---

(1) الدريني، مرجع سابق، ص (358)

(2) المرجع نفسه، ص (364)

(3) الزحيلي، العلاقات الدولية من الإسلام، ص (136) .

(4) بن الهمام، الكمال، فتح القدير، ص (455)

6.11.3 آثار المعاهدات :

للمعاهدة في التشريع الإسلامية حكم عام ملازما" لوجودها ما دام كـل طـرف ملتزماً بعهده موفيا به ، وهو حصول الأمان بين طرفي التعاهد على الأنفس والأمـوال والأعراض وعلى كل طرف إن يمتنع عن القيام بأي عمل من أعمال القتال إذا كانـت المعاهدة هدنة أو اماناً عاماً أو خاصاً ، وهذا الأثر يترتب على العقد بمجرد انعقاده .

7.11.3 إنتهاء المعاهدات :

تنتهي المعاهدات بإحدى الطرق التالية :

1. انتهاء مدتها المتفق عليها بين الطرفين لقوله تعالى:(**فَأَتِموا إِلَـيهم عهـدهم إِلَـى مدتِهم**) يدل النص بمفهومه على انه بعد انتهاء مدة المعاهدات تعود الحالة إلى ما كانت عليه قبل التعاهد .
2. إذا نقض العدو المعاهدة المعقودة بينه وبين المسلمين حتى ولو أتى النقض علـى شرط واحد من شروطها لقوله تعالى : (**إِلا الَذِين عاهدتم من الْمشْرِكين ثُـم لَـم ينقُصوكُم شَيئاً ولَم يظَاهِروا علَيكُم أَحداً فَأَتِموا إِلَيهِم عهدهم إِلَى مدتِهِم**)
3. إذا أعان المعاهدون عدوا" للمسلمين في قتال اشتبكوا فيه مع هذا العدو سواء كان ذلك بالإمداد البشري أو العسكري .
4. إذا ظهرت علامات تدل على خيانة الطرف الأخر لعهده سـواء كانـت الخيانـة كتدبير مؤامرات ضد الدولة الإسلامية ، أو كان بوضع خطط لقلب نظام الحكم أو نحو ذلك فيجب على الدولة الإسلامية في مثل هذه الحالة إنذار الدولة بأن المعاهدة لاغيه بسبب الخيانة الظاهرة وقد بين القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: **(وإِما تَخَافَن مِن قَومٍ خِيانَةً فَانبِذْ إِلَيهِم علَى سواء إِن اللّه لا يحِب الخَائِنِين**)[1]
5. إذا انتهى موضوع المعاهدات وحققت أغراضها إذا كانت اقتصادية أو تجارية ولو كان ذلك قبل انتهاء المدة[2].

---

(1) الانفال : آية (58)

(2) مساق نظام الإسلام، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، ص (224)

وهكذا فقد ضبط الإسلام العلاقة بين الدولة الإسلامية وبين غيرها مـن الـدول بقواعد عامة من الشرع وبأحكام تفصيلية تتقاصر دونها أحكام القوانين الدوليـة في أحداث صورة لأنه شرع ا الحكيم إلى خلق ا أجمعين .

الفصل الرابع

الجهود المبذولة لنشر الصورة الصحيحة للأسلام

1.4 خطاب جلالة الملك عبدا الثاني في الكونغرس الأمريكي

قال جلالة الملك عبدا الثاني في مقابله مع التفزيون الأردني قبيل مغادرته الى واشنطن وإلقائه خطابه التاريخي في الكونغرس : إن المستجدات التي تمر فيها المنطقه في غاية التعقيد والصعوبه ، ولا بد من التحرك على مختلف الأصعدة والاتصال مع مختلف الأطراف لمنع تردي الأوضاع وضياع الفرصة المتاحة لإيجاد تسوية شاملة تجنب المنطقة وشعوبها ما يمكن أن تغرق فيه من الكوارث وأنتشار الفوضى في كل مكان.

وزيارتي للولايات المتحده الامريكيه تأتي في هذا الاطار، فهي عضو رئيسي في اللجنة الرباعية ، ونحن على قناعة تامة أنه لا بد من التحرك والتعاون مع الأطراف المؤثرة وعلى رأسها الولايات المتحدة لإيجاد مخرج أو تسوية لهذه الأوضاع التي تهدد المنطقة بكاملها ، وبصراحة نحن في هذه المنطقة أمام خيارين خيار السلام والإستقرار أو خيار الفوضى والعنف والدمار.

وأضاف جلالته: لا يجوز أن نبقى مكتوفي الأيدي ونقول : الولايات المتحدة منحازة ولا فائدة من الحوار معها ... والصحيح هو أن نواصل الحوار مع الولايات المتحدة لأنها كما قلت طرف أساسي في قضايا المنطقة ولا يمكن لأحد أن يتجاهل دورها لأنها أكثر دولة قادرة على التأثير على إسرائيل ، فقد آن الأوان لتمارس هذا الدور المؤثر وتثبت لشعوب المنطقه شفافيتها ، وعدم أنحيازها الى طرف دون الآخر0 لذلك لا بد لنا من القيام بواجبنا وحث هذه الدوله العظمى وغيرها على إتخاذ مواقف متوازنة وداعمة للعملية السلمية خاصة أننا سمعنا من الأمريكيين كلاما" واضحا" وصريحا" ورغبة في إعادة تحريك عملية السلام على أساس خارطة الطريق وحل الدولتين. وتركيزي في هذه الزياره لن يكون فقط على لقائي مع الرئيس بوش وأعضاء الادارة الأمريكية ، وإنما سأتوجه أيضاً الى صُناع القرار والمشرعين من خلال الخطاب الذي سألقيه في الكونغرس أمام الشيوخ والنواب ، صحيح هناك مسؤولية على

الولايات المتحدة ، ولكن المسؤولية الرئيسية على إسرائيل التي لا بد لها من أن تختار بين أن تبقى أسيرة عقلية اسرائيل القلعة ، أو أن تعيش بسلام واستقرار مع جيرانها[1]

1.1.4 الخطاب الملكي فرصه تاريخية

القراءات والتحليلات التي تناولها السياسيون والكتاب والحزبيون والأكـاديميون والفعاليات الشعبية خلال الفترة الماضيه لخطاب جلالة الملـك عبـدا الثـاني أمـام الكونغرس الأمريكي بشقيه الشيوخ والنواب جمهوريون وديمقراطيون ، أجمعت علـى أن جلالة الملك عبدا الثاني كانت له قراءات خاصه فيما يتعلق بالأزمة التي يعيـشها الشرق الأوسط وأكد جلالته أن محور تلك الأزمـات هـو الـصراع الإسـرائيلي – الفلسطيني وإن هذا الصراع طال أو قصر لن يتوقف بدون إقامة الدولة الفلسطينية على ترابها الوطني حتى حدود الرابع من حزيران لعام/1967 ، من هنا جاء الترحيب بذلك الخطاب التاريخي الذي ركز على رغبة الشعوب العربية والإسلامية بالـسلام ، وأراد كذلك أن يوصل برقية عاجلة الى أعضاء الكونغرس مفادها ان الوقـت عامـل مهـم ويجب التحرك السريع دون تأخير لأغتنام الفرصة والتـي وصـفها جلالـة الملـك بالأخيرة ، ولعل الأصداء العربية والمحلية والعالمية التي أعقبت الخطاب بعثت برسالة مفادها أن جميع دعاة السلام يؤيدون ما ذهب اليه جلالة الملك ، وأنهم بحاجـه الـى إعادة النظر بسياسة الغطرسة التي تمارسها بعض الدول ، وقـد آن الأوان لأن يـنعم العالم بأسره سواء العربي أو الإسلامي أو الغربي بالسلام والطمأنينة والتفكير بـصالح الأجيال القادمة ، وحمل خطاب جلالته ابعاداً إنسانيه كما هي سياسية ، وقـد أنـشغل المحللون والمفكرون على جميع الصعد والمستويات بقراءة الخطاب قراءة متأنية مـن مختلف جوانبه السياسية والاجتماعية والأيدلوجية والفكرية ، ولأول مرة يتفق غالبيـة المحللين سواء كانوا من رجال السياسية أو الفكر أو الاعلام على أن الخطاب وصـف الوضع الذي تعيشه منطقة الشرق الأوسط وصفاً دقيقاً عكس الحالـة المترديـة التـي يعيشها سكانه في ظل انعدام الأمن والتهديد الذي يشهده مـن جهـة وتنـامي الأفكـار التكفيرية المتطرفة وردة الفعل العكسية التي خلفها وراءه من جهة ثانية ، وقد وصف

(1) المجالي، حيدر عبد ا ، الخطاب دعوة للسلام في زمن الحرب، عمان، المكتبة الوطنية 2007 ص(19)

العديد من السياسيين جلالة الملك عبدا الثاني بالشجاع لأنه خاطب صناع القرار فـي السياسة العالمية بهذا الوضوح وبتلك الجرأة غير المسبوقة ، ومن هنا نستطيع القول أن الفرصة التي أتيحت للأردن ليكون صاحب كلمة الحـق والفـصل فـي مكـان هـام كالكونغرس وفي هذا التوقيت الحرج ، كما أن الكلمات التي أستخدمت فـي الخطـاب كانت ذكية ومنتقاه بعناية فائقة ولذلك كان وقعها مؤثراً أنعكست أصـداؤه مـن داخـل الكونغرس مباشرة بالتصفيق المتكرر والوقوف أو بالدهشة الكبيرة .

أما الأهداف السامية التي كان يريد توصيلها الملك الى تلك النخب السياسية فهي: أن زمن الوعود قد ولى ، وأن شعوب المنطقة قد أصيبت بخيبة الأمل كنتيجـة حتميـة للأوضاع التي آلت اليها المنطقه ويقصد في فلسطين ولبنـان والعـراق ومعظـم دول المنطقة التي تشهد توتراً وصراعاً ودموية ، وأن هذه فرصة ربما تكون الأخيرة لإعادة المنطقة الى بارقة أمل جديد ، ألا وهي العيش والتعايش بأمن وسلام دائميين بلا تأخير أو تراجع لذلك طلب من الساسة الأمريكيين الإسراع نحو إحياء العملية الـسلمية التـي تغط في سبات عميق. وقد آن الأوان لإيقاظها حماية للشعبين الفلسطيني والاسـرائيلي وفي هذا الصدد يقول جلالته : قد يقول البعض إن السلام صعب ، ويمكننا التعايش مع الوضع الراهن ، ولكن عملية القتل العنيفة أيها الأصدقاء هي جزء من هـذا الوضـع الراهن ، والفلسطينيون والإسرائيليون ليسوا الضحايا الوحيدين ، فقد رأينا العنف وهـو يدمر لبنان في الصيف الماضي ، كما ركز الخطاب على أحـوال الـشعوب الأمنيـة والمستقبل الذي ينتظرهم في ظل الأوضاع الحالية ، حيث ذكر جلالته الأسـباب التـي تؤدي الى زيادة فقر الشعب الفلسطيني واللبناني ، ونوه الملك عبدا الثاني الى خطورة الوضع الذي تشهده المنطقة في ظل الأحداث المتسارعة التي تحدث هنا أو هناك ،وأنه لا بد أن يقوم هؤلاء الساسة الأمريكان بواجبـاتهم ، ورأى جلالتـه أن أمـن الأردن وأستقراره مرهون كذلك بأمن المنطقة كما هو حال باقي شعوب العالم ، ولـذلك فـإن مناشدته أعضاء الكونغرس بهذا الحماس وبهذه الصراحه والوضوح إنما يريد بذلك أن يدفع شراً قد يصيب الأردن [1].

(1) المجالي، مرجع سابق، ص (21)

2.1.4 الخطاب الملكي كسر حاجز الصمت

بهذه الكلمات المعبرة والمباشرة خاطب جلالة الملك عبدا الثـاني الكنـوغرس الأمريكي بشقيه الشيوخ والنواب ومن خلالهم العالم أجمع لأيصال الرسالة الأسـمى ، السلام ولا شيء غير السلام ، السلام الذي يجمع ولا يفرق الذي يبعد منطقـة الـشرق على وجه الخصوص مما يعصف بها من شبح وويلات الحروب. بعيداً عن الـشعارات الرنانة ، وتسجيل المواقف وبالوصول الى قراءة الموقف بعمق بالغ وتحليل منطقـي وبالانحياز للسلام دون سواه والتمسك بالحق العربي في أقامة الدولة الفلـسطينية علـى الارض الفلسطينية وبتفويض عربي للصوت الهاشمي إعتلى الملك أهم منـابر العـالم السياسية الكونغرس الأميركي ليضع النقاط على الحـروف وليعيـد للقـضية مكانتهـا الطبيعية ، بأن تبقى على سلم أولويات العالم وأجندته ، وليتم وضعُ حدٍ للماسـاة التـي تعيشها في بحثها عن السلام وسط النزاع وعدم الإستقرار ، والخطاب الملكـي الـذي حمل في مضامينه الرسائل الهامة ، السلام العالمي ، القضية الفلسطينية ، الوضع فـي العراق ، العنف في لبنان ، العلاقة الأردنية الاميركية ، الحرية والديمقراطية التي بنيت عليها أمريكا ، والتي تحترم فيها فردية الإنسان ، والجهد الدبلوماسي الأردني في عهـد الراحل الحسين بن طلال رحمه ا ، الظلم والإرهاب وما ينتج عنه من ضحايا ، الجهد العربي الذي يبذل في موضوع السلام ، دور المجتمع الـدولي، والخطـاب الهاشـمي بالتفويض العربي بين الأصرار الملكي على أن تعود الأمور لنصابها الصحيح والـذي كانت عليه من خلال لفت جلالته أنظار العالم أجمع عبر الكونغرس إلى أن سلام العالم وأمنه واستقراره وما ينسحب عليه من أمور الإقتصاد والتقدم وغيره لن يكون إلا بحل المشكلات العالقة في منطقة الشرق الأوسط وبخاصة النزاع الفلـسطيني الإسـرائيلي ، وان حدث غير ذلك ستبقى الأمور على حالها وليس هذا فحسب ، بل ستتجه لمزيد من التأجيج الأمر الذي لا يصب في مصلحة الجميع دون أستثناء ، ويقارن الملك بين أمس الزمان وحاضر المكان الذي يعيش ، وما بذل خلالهما من جهود مضنية فـي سـبيل تحقيق السلام وإحلال الأمن والوصول لتسوية عادلة شاملة ، وبجميع قـضايا الـشرق الأوسط وفي ذلك أشارة واضحة وصريحة إلى أن الوضع بات بحاجة ماسـة وملحـة لاتخاذ القرار ، وكان الخطاب الملكي منذ بداية أول كلمة فيه الى نهايتـه يحمـل فـي ثنايـاه الهم الفلسطـيني حيث أشار المـلك الى أن المعانـاة في النـزاع الفلـسطيني

الإسرائيلي تنسحب على الطرفين معاً فيما يخص الأمن والإستقرار ، وبغير ذلك فـإن الضرر واقع والمأساة موجودة ، فالحق الفلسطيني ما زال يراوح مكانه منذ ستين عاماً من الحرمان ، وأربعين عاماً من الإحتلال الإسرائيلي ، وجاءت دعوة جلالته الى نشر السلام العادل والمشرف ، الذي يجعل اسرائيل جزءاً من دول الجوار ليكون بذلك سلاماً يمتد من شواطيء المحيط الأطلسي عبر أمتداد جنوبي البحر الأبيض المتوسـط الـى ساحل المحيط الهندي [1] .

وفي أعتقادي أن هذا الخطاب المهم جاء في مرحلة دقيقة وحساسة ومصيرية من حياة العرب والمسلمين مستشعراً رغبتها الحقيقية في العيش بسلام وأمـان ، ومقـدما صورةً حقيقية عنها في التعايش السلمي وتقديم النظرة الوسطية للتعامل مع شعوب العالم وهذا ما ركز عليه الخطاب الملكي بكُل وضوحٍ وواقعيه وصـراحه ،وبلـسانٍ يفهمـه أصحاب القرار في صنع السلم والحرب في الادارة الامريكية ، وكان الحـديث عميقـاً وصريحاً جداً لكي يدركوا ما يدور في المنطقه من أفكار وتطلعات بعيداً عـن النظـرة الاحادية الضيقة ودعم طرف على طرف فـي مرحلـةً لا تحتمـل تجاهـل الحقـوق المشروعه ، وهذا ما ذكره جلالة الملك في حق الشعب الفلسطيني في دولـة مـستقلة والعيش بسلام ، وكذلك حق المنطقة العربية في التطور والتنميـة بعيـداً عـن تـدفق الجيوش والهيمنة الاستعمارية العسكرية التي تحدث في فلسطين وحرب لبنان وأحتلال أفغانستان والعراق .

إن هذا الفهم العميق لمعاناة الشعوب العربية والاسلامية إنعكس كقوة واضحة في صياغة مفردات الخطاب الملكي الذي وضح فيه جلالة الملك كل القضايا العالقة التي لم تحل لأكثر من نصف قرن ووضع النقاط والحروف ونبه أسـماع العـالم وحواسـهم المترقبة الى ضرورة مساعدة المنطقة العربية للخروج من أزمتها الحادة ، ولأنها كمـا قال الفرصة الأخيرة التي إن ضاعت فسيكون البديل تنامي الأفكار والمواقف والحركات المتطرفة التي ستتخذ من تعنت الآخر ذريعة للتمرد في المنطقة وأكتساب كل الرافضين للمشروع الصهيوا أمريكي الذي لم يأخذ بالاعتبار ردة الفعل الحادة على عـدم حـل قضية فلسطين المفتوحة منذ ستين عاماً ، وعلى أحتلال بلدين مـسلم وعربـي وهمـا

(1) اصداء الخطاب التاريخي لصاحب الجلالة الملك عبد ا الثاني امام الكونكرس الامريكي، اصدار الجامعة الهاشمية /2007 ص (64)

أفغانستان والعراق ، وهذا ما طرحه الخطاب الملكي وهو يطرح أمام العالم من خـلال منصة الكونغرس معاناة الشعب العربي والإسلامي الذي لا يجد ضوء" في نهاية الأفق، والذي يندفع مرغماً أن يتطرف ويرفض كل الأفكار التي يطرحها الآخر بغض النظـر عن مصدر هذه الأفكار أو سلبيتها أو إيجابياتها ، وهكذا حدد الخطاب مرتكزات أنطلق منها لينبه العالم الى خطورة ما يحدث في منطقتنا التي عانت من الـويلات والأعبـاء والهموم طويلاً ، وإنها اللحظة التاريخية التي مثلها جلالة الملك بكل شـجاعه وصـدق أمام سمع وبصر أصحاب الرأي والنفوذ في دول القرار المهيمن علـى العـالم ، وقـد تحدث بلسان العرب والمسلمين وكان مليئاً بالصدق والوضوح وعدم المجاملـة علـى حساب القضايا المصيرية للأمة العربية والإسلامية ، وقد أعجب العالم بما سمع متفاعل مع ذلك الخطاب الذي يقدمه زعيم عربي لأول مرة في تاريخ العالم الحديث ، ليكون له تلك الأصداء في كل أرجاء العالم .

2.4 رسالة عمـان

1.2.4 المضمون والاهداف

في زمن مضطرب قلق اختلطت فيه المفاهيم واخذ سوء الفهـم بعـداً واسـعاً ، وغدت معايير الحكم العالمية على الاسلام الحنيف وعلى قضايا أمتنا المصيرية تنبع من الشك والاتهام وازدواجية المعايير، والفهم غير الصحيح والدقيق فكان لا بد من تصحيح كل المفاهيم الخاطئة ، والدفاع عن الاسلام وعن خصوصيته كـدين سـماوي عظـيم ورسالة حضارية وانسانية أرسلها ا للعالمين كافة لتكون هدى ورحمة ونور .

ولما يتمتع به الاسلام من حسن جوار ووسطية وعلاقة سلمية مع الآخر وما يتميز به الشرع الحنيف من وحدانية خالصة عز وجل ورسالة ربانية لم تغلق الباب وانما حاورت الآخر المختلف في العقيدة وقدمت له المجال الواسع في الرؤية المفتوحة ، وفي روح الحوار المبني على فهم الآخر وعدم الأنغلاق ، لأن دعوة الأسـلام كانـت فـي الاصل هي السلم والتسامح والدعوة بالتي هي أحسن .

فكانت الضرورة المهمة بعد أتهام الاسلام بأنه دين الارهـاب واتهـام العـرب والمسلمين بالتطرف وقتل المخالف في الدين فكان لا بد مـن رسـالة جامعـة شـاملة تخاطب العالم من باب الفهم والحوار والتسامح بكل وعي وفهم لما يحدث علـى وجـه

الكرة الارضية ، قلاقل ومشاكل وحروب ونوايا شريرة وضعتنا فـي خانـة الاتهـام ووصمت الأسلام بأنه دين مغلق يدعم الإرهاب والقتل وخطف الأجانب وأثارة الحروب من هنا أتت رسالة عمان نموذجاً واعياً يخاطب الآخرين بكل صدق وموضوعية وعقل منفتح على كل جوانب الحوار الحضاري بين الديانات والشعوب في زمن أخذت تطرق الأسماع مفاهيم ومصطلحات الصدام الحضاري ونهاية التاريخ وما عبرت عنه نظريـة هنتجتون وجسده كتاب المفكر الامريكي فوكوياما المسمى نهاية التاريخ تأتي لتخاطب العالم وتبني الصورة الواضحة والصادقة لمفاهيم وقواعد الاسلام العظيم الذي انزله ا عز وجل على قلب نبيه الكريم رحمة للعالمين ورسالة عالمية للناس كافـة ، وجـاءت رسالة عمان لتقول في نصها المحكم المتزن الذي يخاطب العقل ويقدم الاسلام بصورتهِ السمحة الوسطية :

"هذا بيان للناس لأخوتنا في ديار الاسلام وفي أرجاء العالم ، تعتز عمان عاصمة المملكة الاردنية الهاشمية بأن يصدر منها في شهر رمضان المبارك الذي أنـزل فيـه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، تصارح فيه الامة في هذه المنعطـف الصعب من مسيرتها بما يحيق بها من أخطار ، مدركين ما تتعرض له من تحـديات ، تهدد هويتها وتفرق كلمتها ، وتعمل على تشويه دينها ، والنيل من مقدساتها ، ذلـك ان رسالة الاسلام السمحة تتعرض اليوم لهجمة شرسة ممن يحاولون أن يصوروها عـدواً لهم بالتشويه والافتراء ومن بعض الذين يدعون الإنتساب للأسلام ويقومون بأفعال غير مسؤولة بإسمه ، هذه الرسالة السمحة التي أوصى بها الباري جات قدرته للنبي الامـين محمد صلوات ا وسلامه عليه وحملها خلفاؤه وآل بيته من بعده ، عنوان أخوة أنسانية ودين يستوعب النشاط الانساني كله ، ويصدع بالحق ويأمر بـالمعروف وينهـى عـن المنكر ويكرم الانسان ويقبل الآخر، وقد تبنت المملكة الاردنية الهاشمية نهجاً يحـرص على إبراز الصورة الحقيقة المشرقة للأسلام ووقف التجني عليه ورد الهجمـات عنـه بحكم المسؤولية الروحية والتاريخية الموروثة التي تحملها قيادتها الهاشـمية بـشرعية موصولة بالمصطفى صلى ا عليه وسلم صاحب الرسالة ، ويتمثل هـذا الـنهج فـي الجهود الحثيثة التي بذلها جلالة المغفور له باذن ا تعالى الملك الحسين بن طلال طيب ا ثراه على مدى خمسة عقود وواصلها من بعده بعزم وتصميم جلالة الملك عبـد ا الثاني بن الحسين منذ أن أستلم الراية خدمة للأسلام وتعزيزاً لتضامن مليـار ومـائتي

مسلم يشكلون خمس المجتمع البشري ، ودرء" لتهميشهم أو عزلهم عن حركة المجتمـع ألانساني وتاكيداً لدورهم في بناء الحضارة الانسانية ، والمشاركة في تقدمها في عصرنا الحاضر .[1]

والإسلام الذي يقوم على مبادئ أساسها : توحيـد ا والايمـان برسـالة نبيـه والارتباط الدائم بالخالق بالصلاة وتزكية النفس وتقويتها بصوم رمضان والتكافل بالزكاة ووحدة الامة بالحج الى بيت ا الحرام لمن أستطاع اليه سـبيلا وبقواعـده الناظمـة للسلوك الأنساني بكل ابعاده صنع عبر التاريخ أمة قوية متماسكة وحـضارة عظيمـة وبشر بمبادئ وقيم سامية تحقق خير الانسانية قوامها وحدة الجنس البشري ، وأن الناس متساوون في الحقوق والواجبات والسلام والعدل وتحقيـق الامـن الـشامل والتكافـل الاجتماعي وحسن الجوار والحفاظ على الاموال والممتلكات والوفاء بالعهود وغيرهـا وهي مبادئ تؤلف بمجموعها قواسم مشتركة بين اتباع الديانات وفئات البشر ذلـك أن أصل الديانات الالهية واحد والمسلم يؤمن بجميع الرسل ولا يفرق بين أحد مـنهم وان أنكار رسالة أي واحد منهم خروج من الإسلام مما يؤسس الى ايجـاد قاعـدة واسـعة للالتقاء مع المؤمنين بالديانات الاخرى على صعد مشتركة في خدمة المجتمع الانساني دون مساس بالتميز العقدي والاستغلال الفكري مستندين في هذا كله الى قوله تعالى :ً **آمن الرسولُ بِما أُنزلَ إِليهِ مِن ربهِ والْمؤْمِنُون كُلٌ آمن بِاللّهِ وملآئِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورسـلِهِ لاَ نُفَرقُ بين أَحدٍ من رسلِهِ وقَالُواْ سمِعنَا وأَطَعنَا غُفْرانَك ربنَا وإِلَيك الْمصِير**ً .[2]

2.2.4 التحديات التي تواجه الإسلام في العصر الحديث :

إن رسالة عمان صارحت الامة بما يحيق بها من أخطار في هذا المنعطف الـصعب من مسيرتها مدركاً ما تتعرض له من تحديات تهدد هويتها وتفرق كلمتها وتعمل علـى تشويه دينها والنيل من مقدساتها وذلك أن رسالة الإسلام السمحة تتعرض اليوم لهجمـة شرسة ممن يحاولون أن يصوروها عدواً لهم بالتشويه والافتراء ، ومن بعـض الـذين يدعون الأنتساب للإسلام ، ومفهوم التحدي في الاصطلاح : هو طلب المباراة والمنازلة

(1) مضامين رسالة عمان، مديرية الافتاء العسكري، القوات المسلحة الاردنية، ص (5)
(2) سورة البقرة آية (285)

والمعارضة ، والتحدي للإسلام موجود وهو في أزديـاد بـسبب ضـعف المـسلمين وتفرقهم وبعدهم عن كتاب ا ، ولذلك نجد أعداء الأسـلام متربـصين بالمـسلمين ، مستغلين كل فرصة للنيل منهم وأهم هذه التحديات.

الغزو الفكري والثقافي والحضاري:

فلقد فهم أعداء الأسلام تاريخ الأمة الاسلاميه من خلال مـا مـرت بهـا فـي العصور الماضيه ، من حروب بين الخير والشر وأن الاسلام ممثل الخيـر منتـصرا دائماً ، لتمسك أهله بالدين ، فعمد أعداء الأسلام الى تشويه صورة الاسـلام وأتخـذوا لذلك عدة وسائل ، وعقدوا مؤتمرات لهذه الغاية وأهم وسائل أعداء الأسلام :

أ- أدعاءهم عالمية الثقافة، لصهر الثقافات الإنسانية في بوتقة ثقافتهم ، وركزوا علـى القيم والخصائص التي تميز الثقافة الاسلامية ، لهدمها في الفـرد المـسلم والأمـة المسلمة قال ا تعالى : **(قَد بدتِ الْبغْضاء مِن أَفْـواهِهم ومـا تُخْفِـي صـدورهم أَكْبر)**.[1]

ب- إفساد التعليم ، وإفساد المرأة ، وإقصاء الشريعة الإسلامية عن الحكم ، وقد بـذل اعداء الاسلام في سبيل تحقيق هذا الأخير الكثير من الجهد والمال.

جـ- الطعن بأحكام الزواج والطلاق والميراث والادعاء بأن فيها ظلماً للمرأة.

د- الدعوة الى الردة ورصد الأموال لتحقيق أهدافهم.

التبشير والاستشراق :

إن التبشير والاستشتراق رديفا الاستعمار ، فهما دعوة الى توهين القيم الاسلاميه والقضاء على اللغة العربية الفصحى ، وتقطيع أواصر القربى بين الـشعوب العربيـة والإسلامية ، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضـرة والازدراء بهـا فـي شـتى مجالات الحياة ، ومن أفتراءاتهم قولهم : أن القرآن كتاب تقوله محمد صلى ا عليـه وسلم ، وأن دين الاسلام دين مادي لاروحية فيه ، وانه يميل الى الاعتداء والاغتيـال ، ويحرض اتباعه على القسوة على غير المسلمين .

---

(1) سورة آل عمران آية (118)

والتبشيـر: الذي كانت بداياته مع نهاية الحروب الصليبية ، فبدأوا حرب تجهيل وتضليل ليس في بلاد المسلمين فقط ، وإنما في تشويه صورة الاسلام في غير أرضه ، فقد نقل المبشرون الى بلادهم صورة مشوهة عن الاسلام وحقيقتـة وقيمـة واخلاقـه وعقيدته فانتصر في نفوسهم أن الاسلام دين عنف ، وأبعاد الدين عن الحياة الـسياسية ومنح المجال لكل فرد ليأخذ من الدين ما يشاء على هواه ، وإبعاد المسلمين عن القرآن وعن سنة الرسول صلى ا عليه وسلم لأن احكام القرآن هي انعكاس للبيئة التي عاشها النبي الكريم في برهة من الزمن بابعادها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية 0 وهكـذا أعترف المبشرون بأن تحويل المسلمين الى النصرانية قد خاب ومن أجل ذلك حولـوا نشاطهم الى زعزعة عقيده المسلمين ، وأهم الأساليب التي سلكها المبـشرون للإفـساد والسيطرة والتمهيد للاستعمار :

اولاً : المدارس المختلطة التي فتحت في أجاء العالم الاسلامي 0

ثانياً : فتح المستشفيات وبعث الأرساليات الطبية 0

ثالثاً : أرسال المسلمين الى الدول الغربية لتعليمهم أساليب محاربة الدين 0

رابعاً : المحاضرات والندوات والكتب والمجلات والصحف والنشرات.[1]

التغيير الإجتماعي :

والمراد به تغيير قيم الأمة و تغيير ثقافتها وأخلاقها وعقيدتها ، وبعبارة واضحة أبعاد المسلمين عن دينهم ، وقد يسمى التغريب أو المدنية أو التطوير 0 وهم يـسيرون حسب خطة مرسومة وأساليب كثيرة منها :

العلمانيـة :

وهي ترجمة كلمة معناها (لا ديني) فالعلمانية تهدف الى فـصل الـدين عـن التدخل في تنظيم شؤون الحياة ، فلا علاقة للشرائع السماوية عندهم في تنظـيم أمـور البيع والشراء والمعاملات ، ولا في الاقتصاد والسياسة ، ولا في مسائل الحرب والسلم والتربية والتعلي.

وإن العلمانية تتفق مع التبشير في الوسائل وإن إختلفت ألاهداف أو اتفقت .

---

(1) مضامين رسالة عمان : مرجع سابق ص (43)

التعليـم :

قال زويمر وهو واقف على جبل الزيتون في القدس إبان الاحتلال الانجليـزي لفلسطين [1] : لقد قبضنا أيها الاخوان في هذه الحقبة من الدهر علـى جميـع بـرامج التعليم في الممالك الاسلامية وإنكم أعددتم جيلاً في ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله وأخرجتم المسلم من الاسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشئ الأسـلامي طبعاً لما اراد له الاستعمار لايهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه فـي دنياه الا الشهوات فاذا تعلم فللشهوات واذا جمع المال فللشهوات وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء ، فيفهم من ذلك انه لما كانت البلاد الاسلامية فـي سابق عهدها اسلامية التعليم كبر على الاستعمار الغازي ان يبقى للمسلمين دينهم بعد إن أبى أن يترك لهم أرضهم ومن السبل التي اتبعوها في سبيل تجهيل المسلمين [2] :

1. حصر التعليم الديني وحصاره مادياً وتشجيع التعليم اللا ديني ودعمه .
2. الإبتعاث الى الخارج ، مما يزيد طالب التعليم العام جهالة في دينه .
3. إنتشار المدارس الاجنبية في البلاد الاسلامية وقد كان أقل ضرر لها هو أزدراء اللغة العربية ، وتمجيد اللغة الاجنبية وازدراء الدين .
4. تمييع المناهج الاسلامية باسم التطوير .
5. نشر الاختلاط بين الجنسين في مراحـل التعلـيم الابتـدائي والثـانوي والجامعي.
6. الإعلام: وهو الأسلوب المثالي من أسـاليب الغـزو العلمـاني للعـالم الاسلامي فالإعلام أهم واشمل من التعليم الذي يعتبر أقدم وأخطر فالتعليم قد يخاطب الآلاف بمناهجه لكن الإعلام يخاطـب الملايـين ببرامجـه وتتفاوت درجات الفساد في وسائل الاعلام .
7. تحرير المـراة : لقد رفع شعار تحرير المرأة بقـصد إجتـذاب المـرأة المسلمة واستخدامها حرباً على دينها وأول من أوصى به أحد مـؤتمرات

---

(1) صموئيل زويمر: مبشر انجليزي كان مسوؤلاً عن التعليم في مصر مع دنلوب خلال وجود (كرومر) المندوب السامي البريطاني حاكم مصر العام قبل قيام ثورة يونيو 1952 .

(2) مضامين رسالة عمان، مرجع سابق، ص (44)

التبشير وكان الهدف يومئذ تنصير المرأة المسلمة ، ثم تبعهم المستشرقون وتبعهم من تلقوا العلم والمعرفة على أيديهم ومن وسائل تغريـب المـرأة المسلمة :

أ. وسائل الاعلام بمختلف أنواعها من صحافة واذاعه وتلفزيون وأفلام ومجلات نسائية متخصصه بالازياء والموضة والفن .

ب. الجانب التعليمي ومحاولة إفساد التعليم بفتح تخصصات لا تناسب المرأة .

ج. التأليف في موضوع المرأة وإجراء الابحاث والدراسات التـي توصـي بحلول قضايا المرأة .

د. الدعوة الى إتباع الموضة والأزياء وإغراق بلاد المسلمين بالألبسة الفاضحة.

هـ. شن هجوم عنيف على الحجـاب وتمجيـد الفـاجرات والتـرويج للفـن واستدراج المسلمات للتمثيل والغناء وتعلـيم الـصغار الـرقص والموسـيقى والغناء.

التعامل مع الحضارة الغربية :

واجه العالم الاسلامي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي مشكلة غاية فـي الدقة والتعقيد والخطورة ، وهي مشكلة الحضارة الغربية الفتية الدافقة بالحياة والنـشاط والطموح وقوة الإنتشار والإستيلاء وهي أقوى الحضارات البشرية التي عرفها التاريخ وقد واجه العالم الاسلامي هذه المشكلة وجهاً لوجه لأنه هو زعـيم الرسـالة الدينيـة والخلقية وصاحب القوة الكبرى التي يحسب لها الحساب فكان تحدي هـذه الحـضارة المادية للعالم الاسلامي أعظم من تحديها لاية أمة ولاي حضارة ولأي مجتمـع وهـذه الحضارة مزيج غريب والحكم عليها غير مختلف فهذه الحضارة مجموعة عقائد ومناهج فكرية وفلسفات ونظم سياسية واقتصادية وعلوم طبيعية وعمرانية وأجتماعية وتجـارب خاصة مرت بها العلوم الاوروبية فكانت مظهراً لتقدم العلم البشري وعلومه الطبيعيـة وعلم الآلات والعلوم الرياضية ، وهناك ثلاثة مواقف للعالم الاسلامي :

1. السلبية : رفض هذه الحضارة وما جاءت به رفضاً باتاً ويقف منها موقف المعارض الثائر او المعتزل المحايد .

2. الاستسلام والتقليد والخضوع الكامل : وهو أن يقبل العالم الاسلامي أوجـزء منـه الحضارة المادية ذات الطبيعة الخاصة بجذافيرها وبعقائدها الاساسـية ومناهجهـا الفكرية وفلسفاتها المادية ونظمها الاقتصادية والسياسية

3. الإ نعزال وعدم الاقترب من هؤلاء أو أولئك وأهم التحديات الداخلية :

أ. فتنة الجدال والمراء : إن فتنة الجدال والمراء أعقبت جهلاً واختلاطاً ووهمـاً كبيراً لدى العامة فنشأت قرون لا يهمها أن تميز بين الحق والباطل يعيـشون في موجة من الجهل المفرط والجدال العقيم والتعصب المقيت حتـى وصـل ببعض من يدعون العلم ومن تبعهم الى تكفير بعضهم بعضاً حتى تجرأ بعضهم الى تكفير من سبق من العلماء .

ب. فساد الاوضاع : إن فساد الاوضاع في المجتمع الاسلامي في اكثرمن ناحية والتخلف في الحياة والقوة والفقر المدقع في بعض الطبقات الذي لا يجد معـه صاحبه ما يقيم الصلب ويكسو العورة ويسد الرمق والثراء الفاحش والاكتنـاز الكبير للأموال والعبث بها الى حد السفه والجنون والترف والفجور والاستهتار في طبيعة الاثرياء والاغنياء والجهل يضفي بظلاله على الشعب ، والـشجاعة الدينية مفقودة والدعايات والدعوات تتسرب الى المجتمع وتجد مرتعاً خـصباً في النفوس .

ج. أصحاب الشهوات : أصحاب الشهوات والمنكرات وقفوا في وجه دعوات الانبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين ومازالوا يقفون اليوم في وجه الحق والفضيلة .

د. المعاصي والذنوب : كما قيل ضرر الذنوب في القلب كضرر الـسموم فـي الابدان وبالنظرة في عاقبة المعصية نقول : هل عاقـب ا الامـم الماضـية وضيق على الامم الحاضرة الابسبب الذنوب فاخرج آدم وحواء من الجنـة ، وإخراج ابليس من رحمة ا وإغراق قوم نوح عليه السلام وتعذيب العـصاة من أتباع الانبياء كان سبب ألمعاصي ولا سبيل الى مقاومة ذلـك الا بـالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

هـ. وجود من يحمل فكرة الغلو والتطرف والارهاب وهذه الافكـار مرفوضـة رفضا تاماً لها ولمن يتبناها ، فقد ردها الشرع الحنيـف ورفـضتها الفطـرة السليمة وانكرها العقل الواعي لما فيها من العدوان الذين يمارسـه افـراد أو

جماعات او دول بغيا على الانسان في دينه وعقله وعرضه ويشمل صـنوف التخويف والاذى والتهديد والقتل بغير حق وما يتصل بصور الحرابة وإخافـة السبيل وقطع الطريق ومن صنوفه الحاق الضرر بالبيئة أوبأحـد المرافـق أو الاملاك العامة والخاصة [1]

3.2.4 مفهوم الخطاب الاسلامي

نعني بالخطاب الاسلامي طريقة التعبير التي توضح حقائق الاسلام وشرائعه في شتى مجالات الحياة العامة والخاصة والخطاب الاسلامي بمختلف أشكاله وصوره يمثل رسالة سامية ويحكم الحياة العامة الى نموذج أسلامي نقي ، مـستمدا" مـن نـصوص الكتاب والسنة وحياة سلف الامة ومقتبسا" من الصور الزاهية للنجاحات الاسلامية فـي كل زمان ومكان وله دور جوهري وعظيم في بقاء الاسلام حيا" في النفوس وفي تنمية النزعة نحو سمو القيم والاخلاق لدى المسلمين في أصقاع الارض كُلّها .

الدعـوة الى ا .

واجب كل مسلم ومسلمة في كل مكان ، وفي زماننا هذا أوجب لما تتعرض لـه الأمة الاسلامية من هجمات شرسه من أعداء ا بقصد سلب جوهر العقيدة الاسـلامية من نفوس المسلمين . والدعوة لا تكون الا من خلال دعاة صـادقين مخلـصين فـي دعوتهم قادرين على أيصالها الى كل من يبحث عنها ، والدعاة الى ا عز وجل هـم سفينة النجاة التي لا بد للمسلمين من ركوبها وهم مصابيح الدجى وائمة الهـدى وهـم كذلك ركيزة الاسلام وقوام الامة والمسلمون دعاة الى ا كالسفينة فـي مهـب الـريح تتجاذبهم التيارات من كل جانب وتعصب بهم الضلالات من كل الجهات ، لذلك كـان الدعاة الى ا مصابيح الدجى وائمة الهدى وحجة ا في أرضه بهم تمحق الـضلالات وتنقشع الغشاوات وهم ركيزة الايمان وغيظ الشيطان وعماد الدين وهم الامناء على دين ا يدعون الناس الى ا بلسان صادق ثابت وخلق كريم ، فأعمالهم تؤكد أقوالهم لـذا فهم أسوة ونبراس يصلحون ما فسد ويقومون ما أعوج لا يخافون النـاس ولا يخـشون

---

(1) مضامين رسالة عمان مرجع سابق : ص (46، 47)

أحد الا ا ولا يقولون ألاحقا ، وحول أدب الخطاب الحضاري في القـرآن الكـريم ، وماله من اهمية بالغة في صياغة شخصية المجتمع العربي الاسلامي يعلق عبد الرحمن إبداح على هذا الجانب كالتالي :" للخطاب القرآني مزاياه وخصائصه الفريـدة ، فهـو كلام ا تعالى الذي تجري الفاظه على نسق بديع ، وجمال اللفظ ودقة العبـارة وهـي ترضي الخاصة والعامة على حد سواء وعبارة القرآن تجمع بين القـصد فـي اللفـظ والوفاء في المعنى مع عمق التأثير في السامع وأثارة عواطفه وانفعالاته ، يزين ذلـك براعة في الاستهلال وجودة في العرض وروعة الخاتمة ، ونجد في الكتـاب العزيـز مراعاة لمقتضيات الاحوال التي هي عين البلاغة فمن كتاب ا نـتعلم أدب الخطـاب بكافة صورة واشكاله" [1]

ونتيجة للظروف التي تمر بها أمتنا العربية والاسلامية فاننا بحاجة ماسـة الـى خطاب أسلامي متوازن دقيق وبعيد عن التهويل والمبالغة ومـلازم لجـادةِ الأعتـدال والوسطية ومن هنا فاننا وبكل جلاء نلحظ على اكثر القائمين على الخطابات الدينية أنهم ضيقوا في حديثهم مساحة المباحات وتوسعوا في ذكر المحضورات وأكثروا من طلـب الادلة على المباحات وبالغوا في التحذير من المحرمات فأنساهم ذلك سعة رحمة ا عز وحل وعظيم عفوه ورحمته بعباده وكل هذا مخالف لسنة الرسول صلى ا وسلم [2] .

مقومات الخطاب الاسلامي :

تجنب ذكر الشبهات أمام العوام من الناس لان هذا ما يضع الاسلام في موقـف دفاعي هو في غنى عنه ، ومما يزيد الامر سوءاً أن ياتي الرد المفند لتلك الشبه ضعيفاً مما يؤدي إلى تعلقها بالأذهان أقوى مما كان يتصور من أطلقها فماذا يستفيد النـاس اذا أثيرت أمامهم شبهة إنتشار الإسلام بالسيف وغيره مما يثيره الخطباء في أيامنـا هـذه وكذلك مراعاة الحالة النفسية للمخاطبين وهذا يوجب على من يتـصدون للخطـاب ان يضعوا مخاطبيهم في حالة نفسية مريحة ومن المعلوم في هذا الزمن أن عامة المسلمين مثقلون بالهموم والمشاغل فهم بحاجة الى درجة كبيرة من تـرويح أعـصابهم وعلـى مخاطبيهم أن يهيئوا الأجواء التي تكفل أستمرار التواصل بينهم ، ولأهمية رسالة عمان

---

[1] إبداح، عبد الرحمن، أدب الخطاب في القرآن الكريم ، ص 53 .

[2] مضامين رسالة عمان ، مصدر سابق، ص (54)

في نقل الصورة الصحيحة عن الاسلام المتفاعل مع الحياة والواقعي والقريب من قلوب الناس كان لابد من أهداف معلنة للخطاب الاسلامي لقطع الطريق على الأفكار الهدامة وعلى دعاة التطرف والغلو، فالخطاب الاسلامي ليس موضوعاً جامداً وانما يتجدد على مر الزمان وبما يناسب كل زمن مع المحافظة على ثوابته وعند الحديث عن الخطـاب الإسلامي يجب أن نفرق بين النصوص والإسلوب ، أما النـصوص ثابتـه لا يجـوز تغيرها أو التعرض لها وأما الإسلوب فلا بد ان يوجه توجيهاً سليماً ويكون عاملاً مـن عوامل جمع الامة على الخير ونبذ الفرقة .

ولقد تميز هذا الزمن بكثرة الدعاة الى هذا الدين وظهرت الخلافات التي جعلـت من الدعاة فرقاً وشيعاً مما أدى الى مخالفة أقوالهم لأفعالهم وتشتت أفكارهم حتى كـاد يمزق الأمة وما ذلك إلا بسبب تعدد الخطاب وقلة الصواب ، ومن هنا لا بد من توحيد الاهداف للدعاة والتي من خلالها نستطيع ان نوصل دعوتنا الى العـالم كلـه ويقـول الدكتور المفكر أحمد صدقي الدجاني في وقفة امام عنوان التطرف في الاسلام ، حـول مفهوم التطرف : التطرف مصطلحاً : هو ضد مصطلح الوسطية الذي هو من الوسـط الواقع بين الطرفين كما يقول الاصبهاني في مفردات غريب القرآن وهو يحمـل فـي طياته معنى وفي القرآن الكريم قال تعالى :**(كَذَلِكَ جعلْنَاكُم أُمةً وسطاً)** [1] اي عدلاً ، واذا كان مصطلح التطرف يدعو الى التشدد وتجاوز الحد فإن مصطلح الوسطية يدعو الى العدل والسماحة ولفظ السماحة في لسان العرب يطلق على سهولة التعامل في مـا أعتاد الناس في المشادة . [2]

وينصرف الذهن أول ما ينصرف الى أن المقصود هو دين الاسلام حين يتحدث الآخر عن التطرف في الاسلام ونلاحظ أن قوى الهيمنة والطغيان من هذا الآخر تجهد في محاولة اتهام من يقاومون هيمنتها وطغيانها من المسلمين بأنهم متطرفون ، وأن هذا التطرف ناجم عن دينهم الإسلامي الذي يحثهم على الجهاد وقـد ركـزت هـذه القـوة الطاغوتية حملتها الإعلامية على الدين الاسلامي في مواجهتهـا للمقـاومين لطغيانهـا وحاولت ولا تزال تحاول وصم المقاومة بانها إرهاب بمعنـى الإرعـاب والترويـع

---

[1] سورة البقرة : ايه (143)

[2] الدجاني، احمد صدقي، مقال التطرف في الاسلام، مجلة منتدى الفكر العربي العدد (207) كانون الاول 2002 ص (89)

واستهداف المدنيين والابرياء ، والقت ظلالاً سوداء على كلمة الجهاد في أذهـان مـن يسلط عليهم إعلامهم وينصرف الذهن أيضا الى أن المقصود بالاسلام حين يقرن الاخر التطرف به هو الحضارة العربية الاسلامية ودائرتها الحضارية وهي الحـضارة التـي أنطلقت من رؤية كونية مؤمنه با سبحانه وتعالى خالق كل شـيء وأعتمـد اللـسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم لساناً للتعبير عن العلم وشارك فـي بنائهـا معظـم الاقوام الذين تضمهم ديار الإسلام على أختلاف مللهم ، ودائـرة الحـضارة العربيـة الإسلامية هي واحدة من دوائر الحضارات في عالمنا ومتوقع أن تتاثر بظاهرة التطرف التي تبرز في عالمنا ، ولقد شهدت دائرتنا الحضارية صحوة تمثلت في حركـه إحيـاء ديني تماماً كما شهدت ظاهرة تطرف الى جانبها وكانت الظاهرتان محل دراسة في عدد من المحافل الفكرية ومن هذه الأسباب ما هو كامن في طبيعة الاجتماع الانساني ومنها ما هو طارئ بفعل مؤثر قد يكون خارجياً وقد يكون داخلياً وفيه في الحالتين مـا هـو اقتصادي واجتماعي وما هو وثقافي وما هو عقيدي . [1]

محاور ومرتكزات رسالة عمان :

التحديد من خطر التحديات التي تهدد هوية الامة الإسلامية وتفرق كلمتها ذلك أن الإسلام الحنيف يتعرض في هذة الفترة من الزمن لهجمة شرسة من قبل أعداء الإسلام وذلك من خلال :

1. تشويه صورة الاسلام السمحة وتحريف الحقائق وقلبها والافتـراء عليـه بإلـصاق الإتهامات الباطلة به ومن ذلك الصاق فرية الإرهاب والإجرام بالإسـلام الحنيـف حيث صور هؤلاء الأعداء الإسلام بصورة الإرهاب وانه دين يدعو الـى العنـف والإعتداء على المسالمين وقتل الابرياء من الأطفـال والـشيوخ والنـساء وتقييـد الحريات وتكميم الافواه وتعطيل العقول .
2. التقليل من شأن الاسلام وقيمتهُ وأنه لا أثر له في أصلاح البشرية وبناء الحـضارة الإنسانية بل هو بزعمهم دين يصادم العقل والعلم وأنه يؤول بالبشرية الى التخلـف والرجعية وأنه لا يواكب الحضارة والتقدم الذي تعيشة كثير من الـشعوب اليـوم ،

[1] الدجاني، مرجع سابق ص (90)

ولذا فهو بزعمهم دين أتى لفترة من الزمن لها ظروفها وخصائصها فلم يعد صالحاً اليوم للنهوض بالإنسانية وتقدمها.

3. كذلك الإعتداء الصارخ على مقدسات الأمة الإسلامية ومقدراتها وتشويه تاريخهـا الماجد وحضارتها الرائدة والنيل من رموز الإسلام الحنيف من العلمـاء الربـانيين والمثقفين الواعين والحكام العادلين ، ومن أخطر واشنع هذه التحديات ذلك الإعتداء الصارخ والاستهزاء الواضح بقائد هذه الامة وعظيمها ونبيها محمد بـن عبـد ا الهاشمي الامين صلّى ا عليه وسلم ، هذه التحديات الخطيـرة وغيرهـا الكثيـر مصدرها ومنبعها من خارج الامة الإسلامية ، من أناس تتصادم أهوائهم ومصالحهم مع تعاليم الإسلام السمحة التي تدعو الى كل خير وفضيلة ، هذه التعاليم المباركـة التي تأمر بالعدل والسلام والتعايش مع الاخرين على اساس من الإحترام المتبـادل والرحمة وقبول الآخر ، ومن هنا جاءت رسالة عمان محذرة أبناء الامة الأسلامية من خطر التحديات التي تهدد هوية الامة وتفسد مستقبلها ومبينة حجم هذة التحديات في هذا المنعطف الصعب من مسيرة الامة الاسلامية ومؤكدة على أن هذه التحديات ليست صادرة عن أعداء الامة فحسب بل هي كذلك من بعض المنتسبين الى الأمـة ممن لم يفهم الاسلام على حقيقته السمحة ولم يستوعب رحمـة الاسـلام ورحابـة تعاليمه فضلوا وفسدوا وأفسدوا فكانوا بذلك نقمة علـى الإسـلام وأهلـه وعلـى الانسانية جمعاء ، وعليه فأن رسالة عمان أرادت ان تبين للناس جميعا بأن الإسلام بريء من الاجرام والإرهاب والعنف وأنه دين كامل وشامل ومتوازن ومعتـدل لا أفراط فيه ولا تفريط يدعو الى الخير والسلام والعدل وقبول الآخر وينهى عن الظلم والاعتداء والتجبر في الارض ، والإسلام الحنيف رسالة إنسانية للأنـسانية كلهـا وليست حكرا" على جنس ما أو طائفة ما بل هي رسالة لإطـلاع البـشرية كلهـا والنهوض بها الى مراقي الفلاح والخير والسلام واخراجها من ظلمـات الجاهليـة والجهل الى نور العلم والمعرفة (1) ، ولقد حرصت المملكة الاردنية الهاشمية منـذ زمن بعيد على أبراز الصورة الحقيقية للاسلام الحنيف وذلك ببيان سماحة الاسـلام وخصائصه ومميزاته وإظهار عدله واعتداله والتأكيد على رحمته وأهليته لإصلاح

---

(1) البطوش، عمر عبد الحميد، كتاب اغاثة اللهفان بشرح رسالة عمان، مطبعة الروزنا –عمان الطبعه الاولى 2007 ص(21)

البشرية والنهوض بها كما حرصت المملكة على وقف التجني علـى الاسـلام ورد الهجمات والافتراءات عنه وذلك من خلال الوسائل التالية :

1. الرد على هذة الافتراءات والأتهامات بالحج والبراهين العقلية والتاريخية والشرعية والكشف عن زيفها وبطلانها .
2. مخاطبة الآخر بلغته والتحاور معه وكشف شبهاته حول السلام على أسـاس مـن الاحترام المتبادل والحوار الهادئ المثمر .
3. ضبط النفس وعدم الوقوع في شرك الاستفزاز وردود الفعل والعواطف العاصفة
4. الصبر على ذلك وطول المدى وسعة الأفق وعدم اليأس .
5. فهم عقلية الآخر ودراسة ثقافته ومعرفة حاجياته ومحاولة الاستفادة من ذلـك فـي طرح الاسلام والكشف عن حقيقته المشرفة .
6. الإلتزام بخط الأعتدال والوسطية وعدم الأفراط أو التفريط أو الذوبان .
7. حذرت رسالة عمان من التحديات ودعت الامة الى اليقظه وعـدم الوقـوع فـي شراك الفتن والتشويه والتلبيس ومن هذه المفاسد والتحديات والتشويش :

أ. الصاق تهمة الارهاب والإجرام بالإسلام الحنيف .

ب. تصوير المسلمين المعتدلين بالمجرمين والقتلـة.

ج. تشوية صورة الاسلام السمحة .

د. صد الناس عن الإسلام وتخويفهم منه .

هـ. محاربة الاسلام بذريعة الحرب على الارهاب مما يجعلها في نظر كثير مـن الشعوب المستغفلة حربا" مبررة.

و. حرمان البشرية من مبادئ الإسلام السمحة المعتدلة والتي تؤول الـى اصـلاح البشرية والنهوض بها .

ز. زعزعة أمن المجتمعات الانسانية مما يؤول بالبشرية الى هاوية الفتن والهرج.

ح. توليد (الإرهاب) وتقويته نتيجة الظلم والاضطهاد.

ط. توسيع دائرة المتعاطفين مع القتله والمجرمين والارهابيين .

ي. القضاء على فرص السلام والأمن والإستقرار على وجه هذه المعمورة.

وتطالب رسالة عمان الامة الاسلامية بالأخذ بأسباب القوة والمنعة وتؤكد علـى أهمية أن تكون الامة الاسلامية أمة قوية ومتماسكة تحظى بالمنعة واحتـرام الآخـرين

وتكون مهيبة لها قدرها وأثرها الإيجابي المثمر في المجتمع الدولي ، وعلـى أن قـوة الأمة الاسلامية المنشودة ليست موجهة ضد أحد من الناس وليس الهدف العدوان علـى أحد أو الاكراه على الدخول في الأسلام الحنيف [1]

3.4 حركات الإسلام السياسي الأصولي المعاصرة

في الحديث عن حركات الإسلام المعاصرة يتشعب الكلام كثيراً ويطول الشرح من حيث النشأة والتأسيس والواقع والأسباب ولكننا سنتطرق إلى أهم المنظمات والحركات ، التي تنطلق من أساس أسلامي ديني ، وتدافع عن مشروع الإسلام السياسي الأصولي العقائدي الذي اعتبرت أنه غاب طويلاً عن لعب دوره بـسبب الظـروف والمتغيـرات المحلية والعالمية :

1.3.4 القاعـدة :

كان ظهور القاعدة يسبق بكثير ضرب برجي التجارة العالميـة فـي 11 أيلـول 1999، هذا الحادث الذي غير مفاهيم الصراع في العالم ، وقسم العالم إلى قسمين حسب نظرية بوش المشهورة : من ليس معنا فهو ضدنا ، وقد بدأ تبلور منظمة القاعدة العالمية بعد ثلاثة أحداث كانت هي الأبرز والأكثر تأثيراً والضاغط الأكبر لبروزها والإعـلان عن مشروعها وبرنامجها وهذه الأحداث هي :

1- قيام الثورة الخمينية في إيران وسقوط حكم الشاه.
2- أحتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان في نفس العام.
3- أغتيال الرئيس السادات في العام 1979.

وهناك مؤثر رابع ساهم ولو من بعيد في تهيئة منظمة القاعدة للظهور على مسرح الأحداث العالمي هو الحرب بين العراق وإيران في العام 1980 ، هذه الحـرب التـي أذكت الصراع التاريخي بين العرب والفرس ، وأسماها العراقيون قادسية صدام الثانيـة تذكيراً بالقادسية الأولى التي حررت العراق من الاستعمار الفارسي ، وكانـت بـدايات تشكل مسمى القاعدة وهو : معسكر تدريب المجاهدين في قندهار والذي كـان يـشرف

---

(1) البطوش، مرجع سابق، ص(153)

عليه أسامة بن لادن، الذي كان قبلها التقى في مدينة صويلح بالأردن بالدكتور عبـدا عزام وأقام أسبوعاً في بيته ، وتم في هذا الاجتماع الاتفاق على أنشاء مكتـب بيـشاور الذي كان من خلاله تصل الأسلحة والذخائر إلى المجاهدين في أفغانستان ، وكان محطة أستقبال للمجاهدين العرب الأفغان الذين كانوا يأتون من الدول العربية للمـشاركة فـي الحرب الطاحنة في أفغانستان ضد الجيش الروسي المحتل ، بعـدها انتهـت الحـرب وانتصر الأفغان وأنهزم الجيش الروسي ، ولكن القاعدة لم تخرج من أفغانستان ، هـل أشرق إلى الدور الأمريكي في حرب الأفغان ضد الروس ، وفي تلك الأثنـاء كانـت الحرب قد اندلعت بين أمراء الحرب الأفغاني على المغانم وتجـارة الأفيـون والنفـوذ والسلطة ، وهذا ما دفع القاعدة بالتنسيق مع الملا محمد عمر إلى تشكيل منظمة طالبان الأفغانية ودعمها بالسلاح والمال والدعم الكامل لملء الفراغ بعد الحرب الأفغانية وهـذا ما حصل بالفعل حيث تم تشكيل أمارة أفغانستان الإسلامية قبل احتلال أفغانستان وبعد إحداث 11 أيلول 1999.[1]

وكان المشروع الأهم للقاعدة هو محاربة الأمريكان في كل مكان بعـد أن أقـرت أمريكا على لسان رئيسها قانون مكافحة الإرهاب وأعلن بكل وضوح عن دول محـور الشر وهي ثلاثة دول إيران ، سوريا ، وكوريا الشمالية أتبعها بـاحتلال أفغانـستان ، والعراق هذا الاحتلال الذي كان نعمة من السماء وفرصة عظيمـة لتنظـيم القاعـدة لإحداث وعي كبير في بنية العقل العربي والإسلامي لأنها فـي برنامجهـا الـسياسي والقتالي تضع أمريكا وإسرائيل في سلم أولوياتها ، ثم في العراق أخذ الـصراع بُعـدا" آخر آذ تكفلت المقاومة العراقية بقتال المحتلين الأمريكان ، بينما عملت القاعـدة علـى محاربة الشيعة في المنطقة الغربية لمحافظة الأنبار وبغداد ، والموصل ، وتكريت وتل أعفر في الشمال ، لأنها ترى أنها تمثل الإسلام السني الذي يقـف سـداً منيعـاً ضـد المشروع الشيعي الصفوي الذي تدعمه إيران بكل إمكانياتها ، وأسمت نفسها بالـسلفية الجهادية تميزاً لها عن السلفية الوهابية في السعودية ، وحين قامت وعلى لسان شـيخها أسامة بن لادن بفتواه المشهورة التي بثتها قناة الجزيزة ، بتكفير الأنظمة العربيـة فـي السعودية والأردن ومصر واليمن ، ردت عليها المؤسسة السعودية بفتوى شديدة اللهجة، واعتبرت أن بن لادن تكفيري وأن منظمته هم مجموعة من الخوارج الـذين خرجـوا

---

[1] مستقبل الجماعات الاسلامية بعد احداث 11 سبتمبر، التقرير الاستراتيجي لعام 2001

على ولاة الأمور في البلدان العربية ، واحتدم شأن الاتهامات بين الفريقين والكل منهما أي : السلفية الجهادية القاعدة والسلفية الوهابية علماء السعودية اعتمد في تبديع الأخـر وخروجه من الملة على القرآن الكريم والأحاديث النبوية واجتهادات فقهـاء المـذاهب وخصوصاً المذهب الحنبلي ، القاعدة من جانبها كانت تبحث عـن أرض تقـيم عليهـا دولتها ، وتطبق فيها أفكارها ، فأعلنت عن قيام أمارة العراق الإسلامية وقوفاً في طريق المد الصفوي الشيعي الذي تدعمه قوات الاحتلال وإيران الأثنـا عـشرية [1] وتعتبـر القاعدة أنها مكلفة شرعاً بحرب الروم والفرس ومن ساندهما ووقف معهما في أحـتلال بلادين كبيرين أحدهما عربي العراق والأخر أسلامي أفغانستان وأن الجهاد فرض عـين على كل مسلم ومسلمة لتحرير الأرض العربية الإسلامية ، ثم مقاومة المشروع الفارسي الشيعي في تشييع الوطن العربي الذي أغلبيته من أهل السنة والجماعة ولا يحـق مـن منظورها أن تتغلب الأقلية الشيعية (200) مليون شيعي على الأغلبيـة (مليـار) سـني مسلم، بالطبع من أخطائها الشنيعه قتل الأبرياء كما حدث في فندق الماريوت في عمان ، وتفجير السيارات المفخخة في الأسواق والأحياء في بغداد ، وقتل شيوخ القبائل الـسنية في محافظة الأنبار والرمادي والفلوجة حيث أتهمتهم بالاتصال والتنسيق مـع حكومـة الاحتلال الأمريكي ، المتوارية عن الأنظار في المنطقة الخضراء في بغداد.

ولذا تقدم نفسها على أنها من يمثل أهل السنة في الوطن العربي ، وأنها تحتكم إلى النصوص الشرعية في دفع العدوان والاحتلال الذي أعطاها الشرعية الكبيرة ومكنها من استقطاب الشباب والمجاهدين بعد أن تم أحتلال بلادين عربي وإسلامي تحت سمع وبصر العالم ، وأنها اغتنمت الفرصة الكبيرة التي قدمت لها على طبق من ذهب حين احتلـت العراق ، فكان لابد من تفعيل المقاومة ومحاصرة المشروع الأمريكي وهزيمته ومنـع تسلله إلى دول عربية أخرى، ولأن الاحتلال الأمريكي كان دموياً وعنيفاً جـداً ، فقـد كانت ردة الفعل أيضاً عنيفة جداً وبكل المتوفر من السلاح والمتفجرات والمفخخـات ،

---

[1] فرج، عمرعلي الشيعه في الشعوب الاسلاميه، دار الرسالة ص(70) ان الدستور الايراني يرتكز على ولاية الفقيه وهو عندهم ثابت وهو الامام الغائب محمد بن العسكري (الامام المهدي في التصور الشيعي) وان هذا الامام الغائب دخل وهو فتى صغير في سرداب سامراء وهم من ذلك الوقت من عام 1300 ينتظرون خروجه ونسبه عندهم يمتد من الامام الحسين بن علي رضى ا عنه.

والحدث الأبرز في مشروعها العقائدي والأصولي هو إعلان أمارة العراق الإسلاميةً التي ستصبح دولة بعد خروج وهزيمة الجيش الأمريكي ، مثلما تشكلت إمارة أفغانستان الإسلامية بعد هزيمة وخروج الجيش الروسي الأحمر.

واعتقد أن الحكم على مشروعها سابق لأونه ، لأن ظروف الحرب لم تتغير والاحتلال ما زال موجوداً ولم يتراجع ، وهذا ما يعطي القاعدة الشرعية لأنها تقاتل عدوين خطيرين على الأمة العربية والاسلامية خاصة أهل السنة ، وهما الاحتلال الأمريكي ، والمليشيات الشيعية أو فرق الموت المدعومة من الحكومة العراقية ، وما رأيناه مؤخراً من تدمير المئذنتين في سامراء لمرقدي الأماميين العسكريين المقدسين عند الشيعة ، وتدمير مقام الصحابي الجليل طلحة بن عبيد ا والصحابي الجليل أنس بن مالك رضي ا عنهما في مدينة البصرة على يد المليشات الشيعية المدعومة من إيران لينذر بحرب أهلية دينية .

2.3.4 حزب ا :

حين أجتاحت إسرائيل لبنان في العام 1982 واحتل آرييل شارون بيروت بجيشه العسكري القوي ، وأشتعلت الحرب التي استمرت سبعين يوماً بينها وبين منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة ياسر عرفات ، حتى خروجه مع مقاتليه إلى تونس ، آنذاك أنسحبت إسرائيل من بيروت واحتلت الجنوب اللبناني ذي الأغلبية الشيعية ، ولم يكن حزب ا موجوداً خلال تلك الفترة وإنما الذي كان يمثل شيعة لبنان منظمة أمل بزعامة موسى الصدر ثم نبيه بري رئيس مجلس النواب الحالي ، بعدها انشقت مجموعة عن حركة أمل وأسست حزب ا وهم الشيخ صبحي الطفيلي ، وعبدالكريم عبيد ، وحسن نصر ا ، وبدأت تعمل بكل طاقتها وجهدها في تحرير الجنوب اللبناني المحتل وعدم السماح بتكرار أجتياح لبنان الذي أحدث هزة عنيفة في الوجدان والوعي للطائفة الشيعية الخاسر الأكبر في هذه الحرب ، حيث أستباح الجيش الإسرائيلي الجنوب وخلق منطقة معزولة بين الجنوب وإسرائيل وفي الأراضي اللبنانية وخلق جيشاً موالياً له ووضع على رأسه ضابطاً لبنانياً أسمه أنطوان لحد ثم بعد وفاته استلم جيش لبنان الجنوبي الرائد سعد حداد وهذا كان بحد ذاته تحدياً لأهل الجنوب ونقصاً من رجولتهم وكرامتهم.

إذن ساعدت إسرائيل بعدوانيتها وعنجهيتها على أذكاء روح المقاومة وخلق حالة من الرفض وعدم القبول بالأمر الواقع عند الجنوبيين اللبنانيين ، الذي يقدسون شهادة الحسين بن علي رضي ا عنه في كربلاء ويعتبرون أن الشهادة هي رمز العزة والشرف والحياة الحرة الكريمة ، ومن هذا المنطلق بدأت رحلة تحرير الجنوب التي استمرت لعشرين عاماً ، ذاقت فيها إسرائيل وجيشها الويلات والخسائر الفادحة على يد رجال المقاومة الذين أمدهم حزب ا بالروح المعنوية والسلاح والقاذفات وشكل منهم جيشاً لا يقهر اوقع خسائر فادحه بالجيش الإسرائيلي في الحرب الأخيرة التي وقعت على لبنان ، ثم دخلت إيران على الخط وزودت حزب ا بالسلاح والصواريخ حتى خلقت منه جيشاً قوياً ، مع الروح الإيمانية والجهادية والمعنوية العالية التي زرعتها أفكار الحزب في أرواح وعقول وقلوب الشباب المجاهد ، ولأن النتائج مربوطة بالأسباب ، فإن تعديات إسرائيل وقصفها لقرى الجنوب اللبناني شبه اليومي واختطاف الشباب ورجال الدين ، مكن حزب ا من احتلال الوجدان الشعبي الجنوب لبناني الرافض لأحتلال إسرائيل ، والسيطرة على أفكار الشباب وتربيتهم تربية إيمانية مذهبية تعتبر ان المقاومة حق للشعوب للتحرر من العبودية والاحتلال ، وأن الجنوب سيعود إلى أهله طال الزمان أم قصر ، وهذا ما تم تحقيقه أخيراً بهزيمة إسرائيل وهروبها في الليل من جنوب لبنان المحتل ، إذن نقول أنه ساهمت عدة عوامل في خلق حزب ا أهمها :

1- ضعف جبهة الجنوب اللبناني عسكرياً ومادياً 0
2- صدمة أحتلال الجنوب وبيروت العاصمة 0
3- القصف اليومي بالمدفعية والطائرات لقرى الجنوب 0
4- التنظيم العقائدي الدقيق والذكي لقادة الحزب 0
5- الروح الدينية الهادية الاستشهادية التي جعلت من الجنوب قضية مقدسة لا نكوص عن الانتهاء منها .
6- لا يمثل هذا الحزب الإ شريحة واحدة من المجتمع اللبناني وهم الشيعة الذين تضرروا وذاقوا الويلات من الإحتلال الإسرائيلي لترابهم الوطني [1] .

---

[1] قانصو، وجيه، الحركات الاسلامية في واجهة الصراع مع إسرائيل، السفير، العدد (9203) بيروت، 2002/5/22 ص (17)

الاستراتيجية العسكرية والأعمال التي قام بها حزب ا :

(1) شَن مقاتلوا الحزب منذ عقد الثمانينيات سلسلة مـن عمليـات المقاومـة ضـد أسرائيل، وايضاً ضد من يصنفهم بصفتهم حلفاء اسرائيل وداعميها . ولعـل أولـى العمليات الكبرى التي تنسب الى حزب ا عملية تفجير مبنى السفارة الأمريكية في بيروت التي سقط فيها 63 قتيلاً بينهم 17 أمريكياً يوم 18 أبريل (نيسان) 1983 ثم نسبت اليه عمليتا تفجير مقر قوات المارينز الامريكية والقوات الفرنـسية التـي جاءت الى لبنان ضمن القوات المتعددة الجنسية وسقط فيها 241 عسكرياً أمريكيـاً و 58 عسكرياً فرنسياً يوم 23 أكتوبر (تشرين الاول) من العام ذاته وبعد ذلـك تفجير المقر البديل للسفارة الامريكية في شرق بيروت يوم 20 سـبتمبر (ايلـول) 1984 الذي تسبب بمقتل عشرين لبنانياً وعسكريين امريكين اثنين ثم خطف طائرة ركاب مدنية تابعة لشركة تي دبليو ايه الامريكية يوم 16 يونيو (حزيران) 1985 بينما كانت في رحلة من اثينا الى روما مع الاشارة الى أن الحزب أنكر الـضلوع بهذه العمليات رغم أعتباره أياها مبررة كذلك تنسب الجهات الغربية الـى الحـزب معتبرة انه كان يتستر تحت مسميات مختلفة مـسؤولية اعمـال خطـف الاجانـب وتصفية بعضهم بين عامي 1982 و 1992 .[1]

(2) يوم 8 مارس (آذار) من عام 1985 ومع تنامي قوة المقاومة وقع تفجير مدمر بسيارة مفخخة في ضاحية بئر العبد الضاحية الجنوبية لبيروت أستهدف منزل السيد محمد حسن فضل ا الذي يعد المرشد الروحي للحزب ولكن فضل ا لم يـصب باذى في التفجير الذي قضى فيه اكثر من 80 من المدنيين الأبرياء.

(3) وبحلول 6 يونيو (حزيران) 1985 أعلنت أسرائيل أنها سحبت قواتها من لبنان لكنها ستحتفظ بوجودها العسكري في شريط حدودي لدعم ميليـشيا جـيش لبنـان الجنوبي الذي أنشأته في المنطقة الحدودية .

[1] المعلومات اخذت عن ارشيف المركز الاعلامي، المجموعه اللبنانية للاعلام، قناة المنار، بيروت الجنوبية. www.almnar.com

(4) يوم 6 اكتوبر (تشرين الاول) 1986 ، أختفى الطيـار الاسـرائيلي رون أراد فوق الاراضي اللبنانية بعد إسقاط طائرته الفانتوم ومنذ ذلك الحين اتهمت اسـرائيل حزب ا بإخفائه او تهريبه الى ايران .

(5) يوم 28 يوليو (تموز) 1989 ووسط أشتداد عمليات المقاومة وبأمل الحـصول على معلومات عن آراد اختطفت قوات كوماندز أسرائيلية الشيخ عبد الكريم عبيـد احد قادة حزب ا من منزله ببلدة حبشيت القريبة من مدينة النبطية وبعـد توقيـع اتفاق الوفاق الوطني اللبناني في الطائف لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية عـام 1990 واصل حزب ا عملياته ضد قوات الاحتلال الاسرائيلي 1990 لتحرير الجنـوب والبقاع الغربي لكنه كان فعلياً قد اخذ ينفرد بساحة المقاومة بعدما نزعت الاحـزاب اليسارية والقومية سلاح ميليشياتها تنفيذاً لنصوص الاتفاق وسدد مقـاتلوا الحـزب ضربات موجعة لقوات الاحتلال ومليشيات جيش لبنان الجنـوبي وردت اسـرائيل باغتيال امين عام الحزب يومذاك السيد عباس الموسوي وافـراد عائلتـه يـوم 16 فبراير (شباط) 1992 عندما قصفت هليكوبتر عسكرية موكب سيارات كان يقله مع عائلته بجنوب لبنان ومع هذا صعد الحزب عملياته بينما أطلق سراح آخر الرهائن الغربيين المختطفين في لبنان يوم 17 يونيو (حزيران) من العام نفسه .

(6) يوم 21 مايو (ايار) 1994 اختطفت قوة كوماندز أسرائيلية الحـاج مـصطفى الديراني من مسؤولي حزب ا من منزله ببلدة قصر نبا في البقاع وكانت اسرائيل اعتبرت الديراني احد كبار المشتبه فيهم في إخفاء أو تهريب الطيار آرد ثم شـنت اسرائيل عملية المسؤولية يوم 25 يوليو (تموز) 1993 مستهدفة مواقع لحـزب ا والجهة الشعبية – القيادة العامة المدعومة من سورية لكن عمليات المقاومة إزدادت جرأة وفاعلية وأدت أحدى هذه العمليات لارتكاب القوات الاسرائيلية قبيل الانتخابات العامة في اسرائيل في ابريل (نيسان) عام 1996 مجـزرة راح ضـحيتها تحـت القصف اكثر من 150 مدنياً كانوا قد التجأوا الى مقر للقوات الدوليـة ببلـدة قانـا جنوب لبنان .

(7) يوم 26 أبريل 1996 توسطت الامم المتحدة في هدنة تفاهم وافـق بموجبـه حزب ا على الكف عن مهاجمة الاهداف المدنية في شمال أسرائيل والأعتـراف بحق اسرائيل في الدفاع عن نفسها مقابل أعترافات أسرائيل من جانبها بحق حـزب

ا في مقاومة احتلالها جنوب لبنان ، ثم في الاول من ابريل 1998 قبلت الحكومة الاسرائيلية قرار مجلس الامن الرقم 425 لعام 1978 الداعي الى أحتـرام سـيادة لبنان واستقلاله وحرمة اراضيه شريطة ان يتكفل لبنان بضمان أمن شمال اسرائيل، ويوم 3 يونيو (حزيران) 1999 اكملت ميليشيا جيش لبنان الجنوبي انسحابها مـن بلدة جزين المحتلة منذ عام 1985 في اقصى شمال الشريط الحدودي الذي اعلنتـه اسرائيل من جانب واحد .

(8) في يناير (كانون الثاني) من عام 2000 صفى مقاتلوا الحزب احد قادة ميليـشيا الجنوبي عقل هاشم في بيته داخل الشريط المحتل ، ويـوم 5 مـارس اذار 2000 صوتت الحكومة الاسرائيلية لصالح سحب قواتها من جنوب لبنان بحلـول يوليـو (تموز) من العام نفسه ، ثم يوم 18 ابريل (نيسان) 2000 افرجت أسرائيل عن 13 لبنانياً كانت تعتقلهم من دون محاكمة لأكثر من عشر سنوات لكنها مـددت اعتقـال الشيخ عبد الكريم عبيد والحاج مصطفى الديراني ، ولكن بحلول مايو (ايـار) مـن عام 2000 حقق حزب ا نصراً معنوياً كبيراً عندما اضـطرت اسـرائيل تحـت ضغط عمليات المقاومة الى التعجيل بسحب قواتها من جنوب لبنان والبقاع الغربي، غير أن القوات الاسرائيلية احتفظت لها بمواقع في ما يعرف بمزارع شـبعا قـرب بلدة شبعا المتاخمة للحدود السورية على سفوح جبل الشيخ ومنذ ذلك الحين تركزت عمليات المقاومة على مزارع شبعا التي يصر حزب ا ومعه معظم اللبنانيين على أنها لبنانية ولو أن أسرائيل احتلتها عام 1967 عندما كانت متروكة لسيطرة الجيش السوري بغرض منع التهريب .

(9) وفي أكتوبر (تشرين اول) عام 2000 تمكنت قوة تابعة لحزب ا مـن أسـر ثلاثة عسكريين أسرائيلين في منطقة مزارع شبعا وطالبت لقاء اطلاقهم الافراج عن 14 اسيراً لبنانياً في السجون الأسرائيلية منذ 1978، وفي 25 يناير (كانون الثاني) 2004 نجحت الوساطة الالمانية لأطلاق بعض الاسرى وجرى تبادل المفرج عنهم وعددهم 30 أسيراً لبنانياً وعربياً بينهم عبيد والديراني إلـى جانـب 420 أسـيراً فلسطينياً بجانب بقايا 60 شهيداً لبنانياً مقابل رجل أعمال اسرائيلي وضابط احتياطي برتبة كولونيل كان اختطف عام 2001 وبقايا 3 عسكريين إسرائيليين .[1]

---

[1] ارشيف المركز الاعلامي لقناة المنار، مرجع سابق

العقيدة القتالية وحرب لبنان الاخيرة .

اعتمد الحزب في تكتيكة العسكري على عدة جوانب إيجابية في العقيدة العسكرية حققت له إنجازاً غير مسبوق مع دولة تمتلك كل الأمكانيات الهائلة من الدعم اللوجستي والعسكري العالمي خصوصاً الدعم الأمريكي وكذلك تمتلك سلاحاً بريـاً متطـوراً أو سلاح جو ليس له منافس في المنطقة ومع كل هذا التفوق المادي ورغم الخراب الكبير الذي عم لبنان استطاع حزب ا بخبرته الطويلة واسـترايتجية البارعـة وتخطيطـه الصحيح العميق والفهم والأدراك أن يكبد إسرائيل خسائر فادحة في الدبابات والجرافات وجنود المشاه وأن يقصف مدن اسرائيل بأكثر من اربعة الاف صـاروخ وهـذا أمـر يحدث لأول مرة في الصراع العربي الاسرائيلي الأمر الـذي هـز الجبهـة الداخليـة الاسرائيلية التي تعودت على حسم المعركة خلال ساعات ، من خلال قوة جيشها الذي لا يقهر والذي استطاع رجال حزب ا ايقاع أفدح هزيمة منكرة فـي كـل تاريخـه العسكري وقدم مقدرة أذهلت العالم وأطالت أمد الحرب ، ونموذجاً أختلف عن الحروب العربية السابقة في عامي 1948 و1967 وقد خسرت أسرائيل اكثر من ثلاثمائة دبابـة ميركافا وهي الاكثر تطوراً في العالم وسمت المقاومة منطقة عيتا الشعب الحدودية باسم مقبرة الدبابات الاسرائيلية وقد اعتمد حزب ا في استراتيجياته على عدة أمور :

أولاً: الأعداد الجيد والطويل منذ أنسحاب إسرائيل من الجنوب.

ثانياً: إدخال سلاح الصواريخ كمنظومة استراتيجية تصل إلى العمق الإسرائيلي.

ثالثاً: أعتماد النفس الطويل ، وحرب العصابات والسرايا قليلة العدد.

رابعاً: الخطاب الإعلامي ذو المصداقية العالية ، وهذا ما قامت به قنـاة المنـار بكـل اقتدار واحتراف وفنية عالي.

خامساً: الصمود الأسطوري وضرب القطع البحرية الإسرائيلية بـصواريخ متطـورة ومنها ضرب المدمرة الاسرائيلية ساعر قبالة ميناء بيروت وفي الميـاه الإقليمـة اللبنانية.

سادساً: الحرب النفسية الهائلة التي خلخلت الجبهة الداخلية الإسرائيلية وهربت أكثر من مليون مستوطن من الشمال إلى تل أبيب . [1]

---

[1] المعلومات من المركز الاعلامي في محطة الجزيرة الفضائية، 13 نيسان 2006
www.aljazeera.net

أذن استطاع حزب ا ببعده العقائدي الذي يركز على الشهادة والبطولة والصمود وأدبيات قصة أستشهاد الحسين بن علي رضي ا عنه أن يدخل الجانب الـديني فـي المعركة وأن يكون خصماً عنيداً ومرهوباً عند الطرف الآخر ، وهـذه نتيجـة حتميـة للتربية الدينية عند الشيعة العرب في الجنوب اللبناني الذين يقدمون أولادهم للأستـشهاد ويقيمون للشهيد عرساً بدلاً من العزاء ، هذا هو العامل الديني الذي كان غائبـا" عـن معاركنا السابقة مع اسرائيل باستثناء ملحمة الكرامة الخالدة في العام 1968 حيث سطر الجيش العربي الأردني تاريخاً خالداً ومضيئاً في سمع الحقب والقرون بعـد أن الحـق هزيمة فادحة بالجيش الذي لا يقهر وكان العامل الديني والتضحية والشهادة مـن قبـل كتائب الجيش العربي والصمود الأسطوري هي العوامل التي صنعت النصر العظيم في معركة الكرامة الخالدة [1] ، وحرب 1973 وملحمة العبـور التـي سـطرها الجـيش المصري بأجتياح خط بارليف ورفع العلم المصري على الضفة الثانية من قناة السنويس وكان الجنود المصريون صائمون في ذلك اليوم.

وهذا ما قام به حزب ا من خلال التثقيف والدروس والمحاضـرات والنـدوات والتدريب العسكري المكثف والتطبيق العملي الفعلي الميداني كما حدث في قرى جنوب لبنان بحيث كان المقاتلون يعرفون طبيعة الأرض جيداً وعملية أخفاء السلاح وراجمات الصواريخ وعنصر المفاجأة من خلال خطف جنديين وتقديم ساعة الهجوم والصفر مما أربك مخططات إسرائيل وأفقدها أثمن شيء وهو عنصر المباغتة.

إذن نستطيع أن نقول : أن حزب ا هو حزب عربي لبناني جنوبي حرر أرضـه وأعد للمعركة القادمة إعداداً جيداً وأفراده يعتنقون المذهب الشيعي ، وأعتقـد أن هـذا النموذج كعقيدة دينية لا يلقى قبولاً عند أهل السنة العرب وأن برنامجه الوطني والديني له ظروف خاصة وقد دعمته إيران دعماً غير محدود بالمال والسلاح والدعم اللوجستي وأن كانت خطط سير القتال هي من مفكري واستراتيجي حزب ا .

---

[1] ابو نوار، معن، معركة الكرامة منشورات مديرية التوجيه المعنوي، القوات المسلحة الاردنية 1973 ص (17)

3. 3.4 حركـة حمـاس :

لعبت حماس وباقي التنظيمات الإسلامية دوراً بارزاً في الانتفاضه الأولى ، وأقرت منظمة التحرير الفلسطينية بذلك ، وسلكت حماس منذ البداية نهجاً سياسياً يقـوم علـى الأنخراط في القياده الوطنيه الموحدة للانتفاضة ، بل عملت الى جانبهـا وبالاسـتقلال عنها ، وقد عارضت حماس الدعوة الى أقامة دولة ديمقراطية علمانيـه التـي رفعتهـا منظمة التحرير الفلسطينية ، ودعت لإقامة دولة الاسلام فوق فلسطين كلها ، واتبعـت حماس في الانتفاضة الثانية كنهج أساسي أسلوب العمل التفجيـري الاسـتشهادي ضـد أهداف داخل اسرائيل ، وكان هدفها من تلك العمليات ضعضعة الأمن الداخلي للمجتمع الاسرائيلي من أجل إبعاده عن تأييد سياسات الاحتلال وإسقاط أتفاق أوسلو وتبعاته بمـا فيها السلطة الفلسطينية ، وقد نفذت الحركة تسع عشرة عملية أستشهادية منـذ أوسـلو وحتى بداية الانتفاضة ، ثم تسارعت العمليات وسجلت معدلات عاليـه خـلال عـامي 2001 ، 2002 ، وأثارت هذه العمليات لغطا كبيراً في الشارع الفلسطيني بين من يرى أنها ولا سيما أذا استهدفت المدنيين – ضاره وغير ذات فائده وتعود بالتبعـات الـسيئه على مسار القضية الفلسطينية ، وبين من يرى أنها الوسيله الوحيده لردع الخصم وانزال أقصى الخسائر بجنوده ومواطنيه ، كما تسببت هذه العمليات بأحتدام الخلافات السياسية بين حماس والسلطة الفلسطينية وصلت الى حد المواجهات وهددت الوحدة الوطنية ، وقد تم تجاوز الخلاف فيما بعد أن صعد العدو من اعتداءاته وأجتياحاتـه لمنـاطق الحكـم الذاتي.

إن مستقبل حماس يحدده أستمرار دورها في مقاومة الاحـتلال ومـدى التفـاف الشارع الفلسطيني حولها وتأييده لسياستها ونهجها ، كما يتحدد في ضوء إدراك الحركه لواقع الشعب تحت الإحتلال وضرورة أنسجام عملها العـسكري وتطـوره مـع هـذا الواقـع[1] .

(1) ابو فخر، صقر، الحركة الاسلامية في فلسطين من القعود الى القيام، السفير العدد ، 1089، بيروت، 2002/11/29، ص (9)

أنتقال حماس من العمل العسكري الى العمل السياسي :

جرت الانتخابات التشريعية الفلسسطينية لعام 2006 لأختيار ممثليهم في المجلـس التشريعي والذي يضم 132 مقعداً من بين أكثر من سبعمائه مرشح ، وجـاءت النتـائج صاخبة مدوية ومفاجئة خلفت حالة من الذهول والصدمة حيث حصلت حمـاس علـى غالبية مقاعد المجلس التشريعي بحصولها على 76 مقعد مقابل 43 مقعداً لحركة فـتح وأن هذا الانقلاب السياسي في السلطة الفلسطينية يؤثر عليها وكما سيكون له تداعياتـه في كافة الاتجاهات.

البيئة المحلية والإقليمية :

1. غرقت السلطة الفلسطينية الممثلة بحركة فتح في فساد السلطة والصراع علـى المناصب القيادية في ظل الإحتلال والشعب يكافح للخلاص من الإحتلال والفقر.
2. لقد أدى الترهل الإداري والسياسي والمالي للسلطة الفلسطينية الى فقدان الثقة بهـا من قبل الشعب الفلسطيني وخاصة بعد فشل مشروع الدولة الفلسطينية ، وحصار المدن الفلسطينية أكثر من مرة إضافة إلى اغتيالات مستمرة للمقاومين الفلسطينين.
3 إن وجود حركة حماس على الساحة الفلسطينية بفاعلية كان له الأثر الكبيـر فـي نفوس الشعب الفلسطيني سواء في مقاومة الاحتلال أو مساعدة الشعب الفلسطيني وخاصة الفئات الفقيرة .
4 إن حركة حماس تنظيم أسلامي غير معزول عن الشعب الفلسطيني كما حدث في بعض دول الاقليم ، وأن نجاح حماس في الإنتخابات له مـدلول سياسـي علـى مستوى المنطقة العربية بأسرها بسبب شعور المجتمعات العربية بالسيطرة الغربية على مقدرات الأمة العربية.
5 وإن التحليل للبيئة المحلية والأقليمية لفوز حماس نجد أن نجاحها لا يشكل مفاجئة ولكن المفاجئة هو النسبة المرتفعة لعدد المقاعد التي حصلت عليها حماس.

البيئة الدوليـ ـة والموقف الغربي :

1. عدم التعامل مع الحكومة الفلسطينية التي تشكلها حماس اذا لم تعترف بإسرائيل.
2. تميز بالأنفعالية والرد السريع قبل أن تتاح لحماس حتى فرصة الرد على التساؤلات التي أطلقتها الدول الغربية حول مسالة الإعتراف باسرائيل.
3. التعاطي الأوروبي مع نتائج الانتخابات بدأ اكثر ليونة من نظيره الأمريكي ، بالرغم من إعلانها عدم تقديم المنح للفلسطينيين في حال فوز حماس.
4. كان للموقف الغربي أثر مباشر أو غير مباشر في صعود حركة حماس إلى السلطة الفلسطينية من خلال الدعم الاستراتيجي لدولة اسرائيل وفي مختلف المجالات على حساب الحق الفلسطيني.

الموقف العربي والاسلامي

1. الإنقسام ما بين الوضوح لدى البعض والغموض لدى البعض الآخر ، ففي حين أن هناك دولاً عربيه رحبت بالانتخابات ونتائجها مثل سوريا واليمن وأيـ ران ، وهناك دولاً أخرى كانت في حيرة من أمرها بين تهنئـ ة الـ شعب الفلـ سطيني والرئيس محمود عباس وبين التعامل مع حركة ذات توجهات أسلامية رافـ ضة لعملية التسوية السلمية في المنطقة.
2. ردود الفعل العربية كانت داعمة للشعب الفلسطيني وخاصة إبداء النصح لحماس حول الإعتراف بإسرائيل.

البيئة الإسرائيلية

1. اعتبروا نجاح حماس وانهيار حركة فتح هزة أرضية أو حدثاً استراتيجياً لهم.
2. العودة الى خط الصفر أي إلى الأيام ما قبل أوسلو.
3. تعتبر المواجهة المقبلة مع حركة حماس وفتح ومع السلطة الفلسطينية جميعها.
4. خوف إسرائيل من فتح الحوار ما بين حماس والأوروبيين والأمريكيين.
5. ومن خلال تحليل البيئة الإسرائيلية نلاحظ ما يلي :

(أ) باشرت بإيقاف حصيلة الجمارك والضرائب عن السلطة الفلسطينية ثـ م أعادت صرفها بحجة أن حماس لم تستلم السلطة بعد 0

(ب) ستحاول اسرائيل أيضاً العمل على إفشال حماس في جميع المجـالات السياسية والاقتصادية والأمنية وستستعمل نفس الطريقة التي اسـتعملتها مع حركة فتح مدعومة بمواقف امريكية وأوروبية 0[1]

4.3.4 حركة الجهاد الإسلامي :

1- اعتبرت حركة الجهاد منذ تأسيسها في العام 1980 أول تنظـيم اسـلامي يتبنـى طريق الجهاد مع طريق الهدى بينما تبنى الإخوان المسلمون قبلهم طريق الهـدى دون طريق الجهاد وهي تأخذ على جماعة الإخوان المسلمين موقفها المتعايش مـع حكومات ذات علاقات مع الغرب مثل السعودية ومصر والأردن.

2- وكانت حركة الجهاد أول من بادر الى عمل عسكري ضد أسرائيل في الـداخل ، الى جانب جناح أسلامي صغير داخل حركة فتح كان وراءه منير شـفيق رئـيس مركز التخطيط في منظمة التحرير الفلسطينية واتخذ هذا التحالف بين فتح والجهاد شكلاً عملياً من خلال هجوم مشترك على تجمع عسكري قرب حائط المبكـى أدى الى جرح 70 جندياً في أكتوبر 1986 كما شاركت بفعالية في الإنتفاضة الأولى من خلال وجودها الفاعل في الجامعات والكليات.

3- عانت حركة الجهاد كثيراً من جراء غياب مؤسسها فتحي الشقاقي في العام 199 ، كما عانت من الحملة الشاملة التي شنتها قوات الاحتلال ضد كوادرهـا ، ولكنهـا استطاعت تجاوز محنتها بعد وقت قصير وأستعادت توازنها ، وعليه فقد شـاركت في الانتفاضة الثانية وبرز دورها في مخيم جنين وفي العمليات الاستشهادية التـي نفذتها.

4- إن مستقبل حركة الجهاد الإسلامي يرتبط على العموم بمستقبل الحركة الإسـلامية في فلسطين ، كما يرتبط بظروف الحركة نفسها ودورها في الصراع الفلسطيني – الاسرائيلي وإمكانية أستقطابها للشارع الفلسطيني والمؤشرات على نمـو الحركـة الإسلامية في السنوات الأخيرة ظاهرة لا لبس فيها وينسحب هذا الأمر على الجهاد وحماس.

---

[1] فهمي، احمد، حماس بين زمنين، مجلة البيان ط1 1427 هـ - 2006، ص (9)

5- رغم ما تتعرض له الحركة وكوادرها من عمليات أغتيـال علـى يـد أسـرائيل ، وعمليات تضييق وأعتقال من قبل السلطة ، الا أن الحركـة رفـضت محـاولات استدراجها للآقتتال مع السلطة ، وغيرت من آليات عملها ولجـأت الـى الـسرية المطلقة في تحركها .

6- تمتلك الحركة رؤية متقدمة في مجال الربط بين الاسلام وفلسطين من ناحية ، وبين ضرورة أن تحتل فلسطين سلم الأولويات لدى كافة الحركات الاسلامية بـدلا مـن الاقتتال الداخلي مع الأنظمة من ناحية ثانية ، وهي بذلك تستطيع ان تكون قـاطرة تنظم وتعيد ترتيب الأولويات لدى الحركتين العربية والاسلامية في تناغم سياسـي يسعى بالاساس ناحية فلسطين ، وهذا بالطبع مؤشر جديد على دور بارز ستلعبه في المستقبل على الساحة الفلسطينية.[1]

5.3.4 كتائب شهداء الأقصى (فتح)

1- أثبتت كتائب شهداء الأقصى التي ظهرت خلال الانتفاضة الثانية قدرة كبيرة علـى توجيه ضربات موجعة الى الجيش الاسرائيلي ومستوطنيه ، وتمكنت من خلال ذلك من جذب تعاطف الشارع معها الى حد كبير ، وبعد أغتيال رائد الكرمي أحد أبرز كوادرها في طولكرم ، لجأت كتائب الأقصى الى العمليـات الاستـشهادية داخـل أسرائيل وجعلها هذا التحول تقف على أرضية ثقافية أسلامية تتعارض مع الخـط السياسي العام لحركة فتح المنسجم مع توجهات السلطة.

2- نجحت كتائب الأقصى في إيجاد قيادي جماهيري على المستوى الـوظيفي ممـثلاً بمروان البرغوثي ، الذي جمع بين النفوذ السياسي ذي القاعدة الشعبية المتأتي عـن النضال والمقاومة ، وبين الشرعيه السياسية المتأتية مـن الانتخابـات التـشريعية وجعلته ينال نسبة من التأييد الجماهيري وصلت في مايو 2002 بعد اعتقالـه الـى 19% وهي نسبة تلي مباشرة نسبة تأييد الرئيس عرفات الذي نال 34% .

---

(1) احمد، رفعت سيد، مستقبل المقاومة ومسؤولية التيارين القومي والاسلامي، القدس، العدد 16، مركز الاعلام العربي، القاهرة، ابريل 2000 ص (25)

3- إن العمل العسكري لكتائب الأقصى لم يرق الى مـستوى تبنـى المقاومـة كخـط أستراتيجي تهيأ له عناصر أخرى لاستمراره ، سواء من حيث تحضير البنية التحتية للمقاومة أو تحضير وتهيئة الشعب للإنخراط في هذا الشكل من المقاومة بحيث لـم تنشأ لجان للتعبئة الشعبية العامة الا في حالات محددة ، وهذا بالطبع يؤشر لمستقبل هذه المجموعات للمرحلة اللاحقـة.

4- إن مستقبل كتائب الأقصى لا يمكن النظر اليه بعيداً عن مستقبل حركة فتح ، فهـي خلال ممارستها لأعمال المقاومة ضد المحتل ، لم تبلور خطابـا سياسـياً جديـداً تطرحه أمام الجمهور الفلسطيني تتميز به عـن خطـاب حركـه فـتح . كمـا أن ارتباطاتها التنظيمية والمالية بحركة فتح يجعلها غير قادرة على التحليـق طـويلا خارج مجالها السياسي.[1]

4.4 مستقبل الحركات الاسلامية العربية

تميزت السنوات العشرون المنصرمة ببروز حركات وتنظيمات أسلامية ترى في الأسلام منطلقاً لعمل سياسي يهدف لتغيير وقلب الاوضاع في البلدان الاسلامية لجهة خوض المعركة مع الصهيونية ، أو لتحقيق التحرير من التبعية للغرب أو الوصول الى السلطة وتطبيق الشريعة ، وقد تفضل بعض هذه الحركات العنف في الممارسة كما يفضل بعضها الاخر التمثيل البرلماني والعمل المؤسساتي ،وفي كلتا الحالتين يصدر العمل السياسي عن تصور للأسلام فيه دمج وتوحيد لمستويي السياسة والدين أي تطبيق الشريعة من موقع الدولة ، وهذه الجماعات نمت وبشكل أساسي في مناخ التجارب اليسارية والقومية في العديد من الاقطار العربية ، وازدهرت في بيئة تتميز بأنعدام الحوار وقحط في الثقافة السياسية ، وتشترك الحركات الاسلامية معاً في أعتبار الاسلام أو تفسيراته الأطار المرجعي لها سواء فيما يخص وجودها أو اهدافها ،وقد تختلف تلك الحركات في فهمها لتفاصيل علاقة مشروعها الفكري والسياسي والاجتماعي بقواعد الاسلام وأصوله ، إلاّ أنها تظل تعتقد في صحة أنتساب مشروعها للإسلام وتظل تطلق

---

[1] عسيلة، صبحي، توجهات الرأي العام الفلسطيني ازاء عملية السلام، كراسات استراتيجيه العدد 116، الاهرام، القاهره 2002 ص (8)

عليه صفة إسلامي وبالرغم من وجود وأهمية الأساس الفكري لدى كل التنظمات السياسية والاجتماعية الأخرى فهو ذو مكان خاص بالنسبة للجماعات الأسلامية ، حيث يمتد تأثيره الى مختلف جوانب هذه الجماعات بدء" من أسمائها ومروراً بمصطلحاتها وأشكالها التنظيمية وانتهاء باستراتيجيتها وأساليبها الحركيه،وهو الأمر الذي يميزها عن غيرها من الجماعات والتنظمات السياسية في علاقتها بأسسها الفكرية ، على الرغم من التشابه الظاهري الذي يبدو بينهما .[1]

1.4.4 خريطة الحركات الاسلامية الدينية:

الجماعات الدينيـة:

وهي تلك التي تقوم على قراءة معينة للأسلام والنصوص القرآنية ، تنظر من خلالها للأفراد والمجتمعات والدول من منظور صحة العقيدة فقط ،في حين يوجه اهتماما يذكر الى ما هو دون ذلك من مستويات ومصادر فقهيه ، والقضية الرئيسة لتلك الجماعات هي إقامة التوحيد والعبودية الحقه كما تراهما ، وفي هذا السياق تمثل النصوص القرآنية والنبوية وبعض اثار السلف بالنسبة لتلك الجماعات ،المعين شبه الوحيد لجلب الأفكار والخبرات التنظيمية والحركية ،وهي تقوم بتفسير تلك النصوص بطريقة حرفية ظاهرية ،وتدفع المنهجية تلك الجماعات بصفة عامة الى التورط في أحكام متسرعة بتكفير الدول وجاهلية المجتمعات والأفراد وبذلك فان الهدف الرئيسي لتلك الجماعات هو إعادة أسلمة المجتمعات والدول ، وكذلك الافراد بالنسبة للبعض منها حيث انهم جميعا حسب رؤيتها خارجون عن الأسلام بصورة مختلفة وتنقسم تلك الجماعات الاسلامية الدينية الى قسمين رئيسيين: الاول يرى اننا نعيش في مرحلة أقرب لمرحلة الدعوة في مكة قبل الهجرة ،بينما يعتقد القسم الثاني أن ما أحاط بمرحلة الاسلام في المدينة وما تلاها هو الأقرب للعصر الذي نعيش فيه ألان ،ويؤدي ذلك الانقسام في فهم المرحلة المعاصرة الى توزع الجماعات الاسلامية الى :[2]

---

(1) كوثراني، وجيه، مستقبل المشروع السياسي في الاسلام، المركز العربي للمعلومات، بيروت، 2002 ص(22)

(2) كوثراني، مرجع سابق ص (202) و حبيب، كمال السعيد، الحركة الاسلامية من المواجهة الى المراجعة، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2002، ص(32 – 33).

الجماعات السلمية :

(السلفية الوهابية ،التبليغ والدعوة ،الحركة الصوفية) تتفق تلك الجماعات على أن المجتمع المعاصر أقرب لحالة المجتمع الجاهلي في مكة بعد البعثة النبوية وقبل الهجرة منها الى المدينة ،وهو ما يعني بالنسبة لها ان المجتمعات والدول والافراد في مختلف بلدان العالم الاسلامي أنما هم أما كفار أو في أحسن تقدير يعيشون في جاهلية تامة ، كذلك فبنفس القياس ترى هذة الجماعات أن الوقت لم يحن بعد للعمل بالسياسة أو بناء دولة أسلامية او ممارسة القتال حيث أن كل ذلك لم يؤمر به المسلمون قليلو العديد والحيلة في مكة نتيجة لهذا تذهب هذه الجماعات الى عدم ممارسة أي افعال عنيفة أو قتالية ضد المجتمعات والدول والافراد الكافرين او الجاهليين حسب رؤيتها لهم .

الجماعات المتطرفة :

(1) **جماعات التكفير والهجرة** مثل (حركة الجهاد المصرية بزعامة ايمن الظواهري) وترى ان المجتمعات المعاصرة تشبه مجتمع مكة قبل الهجرة ، لم يعد فيها امل ان تهتدي للاسلام وبالتالي لابد لهم من هجرها بصورة او باخرى ومن لم ينظم اليهم فهو كافر .

(2) **جماعات أعادة الدعوة** : وترى ان المجتمعات المعاصرة تشبه مجتمع مكة بعـد البعثة النبوية ،حيث أن دعوة الناس الموجودين فيها تعد المهمة الوحيدة التي يجب عليهم القيام بها كما فعل المسلمون الاوائل ويمثل التبليغ والدعوةً الهدف الرئيسي لتلك الجماعات على مستوى العالم .

الجماعات الجهادية العنيفة :

تتفق الجماعات العنيفة على أن المرحلة التي يعيشها العالم اليوم يمكن مقارنتها بمرحلة هجرة الاسلام الى المدينة ،وهي تلك التي اندمجت فيها العقيدة والدين بالدولة ،ووفقا لذلك القياس فأن المجتمعات الحالية بالنسبة لتلك الجماعات قد عادت الى حالة الجاهلية والافراد جزء منها ونتيجة لهذه القاعدة فانه يقتضي أعادة اسلمةً المجتمع والدولة وتاسيسها من جديد ، ويعد العنف الديني او الجهاد كما اسمته تلك الجماعات ،

الوسيلة الوحيدة لديها من اجل تحقيق تلك الاهداف وتتوزع هذه الجماعات الى ثلاثة اتجاهات:

(1) الجماعات محلية الطابع:

وتنطلق هذه الجماعات من فكرة أن العدو القريب أولى بالقتال من العدو البعيد وهو بالنسبة لها حكومات الدول التي تنتمي اليها ،والتي تسعى الى اقتلاعها وتأسيس دول اسلامية بدلا منها باعتبارها حكومات كافرة معادية للاسلام ،وقد كانت الجماعات الإسلامية المسلحة في الجزائر مثال بارز لتلك الفئة من الجماعات الجهادية محلية الطابع .

(2) **الجماعات دولية المجال** :

وتتبنى مفهوم الجهاد الخارجي الذي يرمي الى الدفاع عن دار الاسلام من أي هجوم عليها من عدو خارجي غير مسلم ، وبالتالي فهي تختلف عن الجماعات الجهادية محلية الطابع في أعتبارها أن العدو البعيد أولى بالقتال من العدو القريب بالرغم من اتفاقها معها في النظر الى العدو القريب ويعد اسامة بن لادن والجماعات المرتبطة به أبرز من يمثل ذلك الاتجاه فقد ذهب بن لادن الى أفغانستان ليخوض تجربته الاولى في العمل الاسلامي عام 1979،وخاض مع مجموعاته حربا ضروسا ادت الى خروج الجيش السوفياتي من افغانستان وبعد حرب الخليج الثانية والتي اسفرت عن احتلال القوات الاميركية لافغانستان [(1)] .

الجماعات السياسية /الاجتماعية ذات البرنامج الاسلامي :

تنطلق تلك النوعية من الجماعات من قراءة مختلفة للاسلام عن تلك التي تتبناها الجماعات الدينية حيث تنظر الى كل الافراد والمجتمعات والدول الاسلامية على حقيقتهم كمسلمين غير ناقصي العقيدة ، وبالتالي فان هدفها الرئيسي هو أعادة تنظيم تلك المجتمعات والدول على أسس أسلامية لاتوجد حسب رؤيتها سوى في الشريعة الاسلامية وليس غيرها من نظم قانونية او برامج سياسية واجتماعية غربية ،وتنقسم هذه الجماعات ذات البرنامج الاسلامي الى نوعين كمايلي:

[(1)] هواري، زهير، طالبان وبن لادن، خوارج الالفية الثالثة، السفير، العدد 9089، بيروت 2001/12/29، ص (5)

الجماعات السلمية الساعية للحكم :

وتسعى هذه الجماعات بصورة مباشرة الى السلطة السياسية من اجل تطبيق برنامجها السياسي والاجتماعي ذي الطابع الاسلامي الذي تعتقد ان غايته هي تحقيق التقدم والنمو لبلدانها ومجتمعاتها ، ومن أجل الوصول لذلك الهدف تسلك كافة السبل والوسائل السياسية السلمية المباشرة وغير المباشرة المتاحة امامها وتعد جماعة الاخوان المسلمين في البلدان العربية وجماعة النهضة في تونس والجبهة الاسلامية للانقاذ في الجزائر ، أبرز تلك الجماعات السلمية الساعية للحكم .[1]

جماعات التحرير الوطني المسلحة :

(أ) وهي في الأصل جزء من الجماعات السياسية /الاجتماعية ذات البرنامج الاسلامي ،دفعت بها الظروف المحيطة بها في مجتمعاتها التي تخضع لأحتلال أجنبي الى تبني برنامج للتحرير الوطني يقع الكفاح المسلح في القلب منه ،وقد بدأ ظهور تلك الجماعات من بين صفوف جماعة الاخوان المسلمين أبان حرب فلسطين عام 1948،ثم المقاومة الوطنية المصرية ضد قوات الاحتلال البريطاني في مدن قناة السويس بدءاً من عام 1951.

(ب) في الوقت الحالي فان كلاً من حماس وحركة الجهاد الاسلامي الفلسطينيتين وحزب ا اللبناني تعد الأكثر بروزا وتمثيلا لتلك النوعية من الجماعات ،وعلى خلاف الجماعات الدينية الجهادية العنيفة المحلية فان جماعات التحرير الوطني لاتشتبك في اي صراعات داخلية مسلحة مع خصومها السياسيين والفكريين ، وتقصر استخدام العنف المسلح ضد القوى التي تحتل بلادها وتسيطر على مقدراتها [2] .

---

(1) احمد، مرجع سابق، ص (41 – 42) .

(2) قانصو، الحركة الاسلامية في واجهة الصراع مع اسرائيل، السفير، 2002/5/22 ص (19).

2.4.4 مستقبل الحركات الاسلامية العربية وتداعيات 11 سبتمبر:

أن هجمات 11سبتمبر وما تلاها من أحتلال افغانستان والعراق ، وأعلان الولايات المتحدة الأمريكية بدء الحرب الشاملة طويلة الامد ضد ما تسمية الارهاب ،لن تمر كحدث عابر فيما يخص تطور الجماعات الاسلامية ومستقبلها على مستوى العالم وبشكل أخص في الوطن العربي على الرغم من ان التحولات الرئيسية بدات في الظهور والتبلور خلال الاعوام القليلة السابقة وقبل هجمات 11 سبتمبر بفترة ، وعليه سيتم تناول التحولات التي أصابت او ستصيب الحركة الاسلامية العربية بشكل عام ، ويبدو أن التحول الاكبر والاول الذي بدأ في التبلور منذ منتصف التسعينات بداخل الجماعات الاسلامية والمرشح تزايد عمقه وتسارع معدلاته وهو تحول طبيعة معظم الحركات الجهادية محلية الطابع الى حركات سياسية ذات طابع أسلامي وبخاصة تلك التي تسعى سلما الى الحكم ، فقد بدا تحول معظم تلك الجماعات وبخاصة في مصر و الجزائر وتونس والسودان منذ عام 1997 وتواصل حتى اليوم ،وقد شمل ذلك التحول بعض القطاعات من الجماعات المغالية السلمية التي راحت تبتعد تدرجيا عن رؤاها التكفيرية القديمة وتقترب حثيثا من الجماعات السياسية ذات البرنامج الاسلامي التي تسعى سلميا الى الحكم ، وهذا التحول المحوري والاعمق مرشح خلال الفترة القادمة للاستمرار والتواصل حيث أن ما يجري اليوم في العالم من تطورات بعد 11 سبتمبر وما يتعرض له العالم العربي من أستهداف في وجوده وثرواته ، وما يتعرض له ايضا الشعب الفلسطيني من عمليات قتل وأبادة على يد الصهاينة المجرمين سيدفع هذه الجماعات الى اشاحة نظرها عما يجري داخل دورها اي ما يجري خارجها من تطورات صدف أن حظي الموقف منها بدرجة كبيرة وواسعة من التوافق العربي والاسلامي الشعبي والرسمي .[1]

التحول من قضايا الداخل الى قضايا الخارج:

(1) استكمالاً لما سبق فان التحول من الاهتمام بقضايا الداخل الى التركيز على قضايا الخارج يعد الخاصية المرشحة لتكون الأبرز بين الخصائص المستقبلية

---

(1) حبيب، مرجع سابق، ص (44- 45) .

للحركات الاسلامية ، فبالنسبة للجماعات الجهادية دولية المجال مثل تنظيم القاعدة فمن المنطقي توقع تكثيف اهتمامها بتلك القضايا الخارجية وسعيها الى مزيد من المواجهات مع القوى الدولية وفي مقدمتها بالطبع الولايات المتحدة الامريكية .

(2) اما بالنسبة للجماعات الجهادية محلية الطابع فمن المتوقع أن يزداد اهتمامها بقضايا الخارج مع استمرار ترددها في تحويل تصوراتها الى مظاهر حركية وعملية ، اما السبب فيعود الى تخوف تلك الجماعات من خوض غمار مواجهات مع الاعداء الخارجيين للأمة وبخاصة أسرائيل والولايات المتحدة بداخل الدول التي تنتمي اليها خوفا من أصطدامها بسلطات تلك الدول التي غالبا ما تعارض هكذا توجهات .

(3) الا أن شكل المواجهة التي شهدتها بأحتلال أفغانستان والعراق يشير الى أن الاكثر ترجيحا هو أن تشهد الفترة القادمة مزيدا من توجه الجماعات الجهادية بمختلف توجهاتها نحو الاهتمام بقضايا الخارج ومعاركه المتوقع أستمرارها وتصاعدها بحيث يشمل ذلك التوجه بصورة عملية الصدام مع الولايات المتحدة الامريكية والدولة العبرية بصفة رئيسية في مناطق مختلفة من العالم ،مع عدم أغفال احتمال تعرضها للمصالح الامريكية في بلدانها والانخراط اكثر في عملية الصراع مع اسرائيل.

مزيد من الحصار ومزيد من العنف :

(1) توضح أزمة 11 سبتمبر أن الولايات المتحدة الامريكية قد وضعت على قمة أولوياتها الاستراتيجية الامنية خلال السنوات المقبلة محاربة ما تسمية الارهاب ، وهو الظاهرة التي تقوم بتعريفها بطريقة مختلفة لتشمل فقط كل الظواهر التي تتصادم مع المصالح الامريكية أو مع مصالح رعيتها أسرائيل . ويركز التعريف الامريكي ضمن ذلك على بعض الجماعات الجهادية ويضع معها في نفس المقام جماعات التحرير الوطني الاسلامية المسلحة ،كذلك يتسع التعريف الامريكي للأرهاب ضمن الأطار الاسلامي والعربي بتجاوز الجماعات الاسلامية ويشمل

عشرات المنظمات والجماعات الأهلية الإسلامية ذات الطابع الانساني في أنحاء العالم باعتبارها داعمة للأرهاب ماليا واقتصادياً [1] .

(2) كما ان هذا التعريف يزداد أتساعا ليشمل المدارس الدينية الإسلامية في شتى بلدان العالم الاسلامي ، وفي المقدمة باكستان والسعودية ،والمناهج التي تدرس فيها بأعتبارها الارض الخصبة التي نبت فيها الارهاب وأفكاره حسب الفهم الامريكي ، وقد نتج عن ذلك التعريف الفضفاض غير الواقعي أن الحملة الامريكية الغربية عموما قد شملت كل الجماعات الإسلامية في العالم ومعها المنظمات والجمعيات الإنسانية وكذلك المدارس الدينية ومناهجها الدراسية وهو الامر المرشح للتصاعد بشدة خلال السنوات القادمة .

(3) من المرجح ان تؤدي استراتيجية الحصار الامريكية لكل ما هو أسلامي في العالم الى ردود افعال يتسم بعضها بالعنف من جانب بعض الجماعات الإسلامية ،فالحركات الجهادية دولية المجال لن تقوم في ظل حالة الحرب التي تعيشها مع الولايات المتحدة سوى بالسعي الى مواجهتها بمزيد من العنف الذي تستطيع القيام به ،اما حركات التحرير الوطني الاسلامية مثل الجماعات الفلسطينية واللبنانية فلن يكون أمامها خلال المستقبل القريب والمتوسط سوى المضي في مقاومتها المسلحة للأحتلال الاسرائيلي وقمعه المتواصل لها والذي من المتوقع تزايد معدلاته بسب الدعم الامريكي المباشر له بحجة الحرب المشتركة ضد الارهاب .

3.4.4 مستقبل الجماعات دولية المجال :وهم ينقسمون الى فئتين :

المقيمون في افغانستان :

أ. وهم الإسلاميون في تنظيم القاعدة وقياداتها الذين ذهبوا الى ذلك البلد منـذ بدايـة الثمانينات للجهاد مع أهله ضد الغزو السوفياتي ولم يستطيعوا العودة بعـد ذلـك بسبب تصنيف سلطات الامن في بلادهم لهم باعتبارهم عناصر خطرة ومطلـوب

---

(1) احمد، مرجع سابق، ص (160)

القبض عليها ، وحسب عديد التقديرات فان عدد العرب بداخل تلك الفئة يكاد يصل الى 30% -40%منها [1]

ب. الأرجح أن مستقبل تلك الفئة من الإسلاميين يظل رهنا بتطورات الحـرب فـي أفغانستان وما سينجم عنها من نتائج عسكريه وصيغ وتوازنات سياسيه ،وهو مـا يفتح الباب أمام عديد من الاحتمالات ، اولها أن تواصل الولايات المتحدة وحلفاءها الحملة ضدهم ، كذلك فمن الوارد أيضا أن يفلح عدد مـنهم فـي الهـروب مـن أفغانستان والانتشار في الدول الأسيوية المجاورة لافغانستان حيث من المتوقـع أن يسعوا من جديد للنشاط فيها بعد فترات سكون قصيرة.

ج. أما عن أحتمال عودة بعض منهم إلى بلادانهم الاصلية ، فيعد بعيدا للغاية سـواء بسبب الحصار الامني من جانب سلطاتها او لتاكدهم من المصير الذي ينتظـرهم فيها في حالة عودتهم اليها .

د. ويظل الأحتمال الأقوى لتلك الفئه هو أن يستمر أغلاب من ينتمـون اليهـا فـي الأراضي الافغانية لأسباب عديدة فهذا البلد يتمتع بالنسبه لهم بعدة مميزات ، اولها وجود قاعدة من المساندة البشرية تتمثل في القوى القبلية والدينية الافغانيـة التـي تقدر أيجابيا ادوارهم في الحرب ضد السوفيات ، وتمثل الطبيعة الجبليـة الـوعرة لأفغانستان ووجود خبرة طويلة لهؤلاء الاسلاميين بها الميزة الثانية التي قد تـدفع بهم الى البقاء فيها ، ويأتي عدم وجود حكومة مركزية قوية في افغانستان وتوزع السيطرة على مناطقها واقاليمها بين مختلف القوى العرقية والسياسية لكي يمثـل الميزة الثالثة للبقاء في هذا البلد .

هـ. وفي حالة تحقيق ذلك الاحتمال فمن المرجح أن ينشط الاداء القتالي لهؤلاء ضد القوات الامريكيه والغربية في عديد من المناطق الافغانية ، وبخاصة تلـك التـي يتمتعون فيها بدعم من بعض الأعراق والفصائل الافغانيـة ذات الخـصومة مـع الولايات المتحدة وحلفائها الافغان المحليين .

---

(1) مستقبل الجماعات الاسلامية بعد 11 سبتمبر، التقرير الاستراتيجي العربي عام 2001، مرجع سابق، ص (152) .

المقيمون في دولهم أو في دول أخرى خارج افغانستان

(1) تتشكل هذة الفئة من الإسلاميين الموجودين حاليا في دولهم الاصلية أو في بلدان اخرى بعد أن عادوا من افغانستان مع نهاية الجهاد ضد السوفيات ولا شـك ان عدد وتوزيع ذلك القطاع من العائدين من افغانستان يمكن ان يجعله القطاع الاكثر اهمية في مرحلة ما بعد الحروب في افغانستان وينتمـي هـؤلاء قبـل ذهـابهم لأفغانستان الى مختلف الجماعات الإسلامية الجهادية ،أما عن مستقبل تلك الفئـة فهو يرتبط بما يجري في الاراضي الافغانية مـن جهـة وبتطـورات الحـرب الامريكية من احتلال العراق ضد ما يسمى الارهاب من جهة ثانية .

(2) ومع تبلور صورة الحرب الدينية العالمية بين الولايات المتحدة والغـرب وبـين الاسلام والمسلمين في ذهن الكثير من الاسلاميين وبخاصة الاسـلاميين الافغـان فمن الوارد أن ينشط هؤلاء كمجموعات منفصلة مـن أجـل ضـرب المـصالح الامريكية وربما الاسرائيلية والبريطانية في عديد من مناطق العالم .

(3) كذلك من المرجح من ناحية ثانية أن يشهد ذلك القطاع من العائدين من أفغانستان تغيرات جوهرية في رؤيتـه الدينيـة لأولويـات الـصراع مـع القـوى التـى يتصورها معادية للاسلام بحيث يتم التحول تماما مـن نظريـة الجهـاد ضـد حكومات بلادهم التي يحكمون بكفرها الى نظرية الجهاد الخارجي ضد ما يرون انه العدو الاهم والاكبر للأسلام ، اي الولايات المتحدة .[1]

(4) واذا كان العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر عام 1956 هو الرحم الذي ولدت منة فكرة وحركة القومية العربية فإن مـا تلـى هجمـات سبتمبر من حرب أمريكية غربية ممتدة بدأت في أفغانستان وشملت العراق ضـد ما يسمى بالارهاب الدولي دون الاتفاق على تعريفه مع بقية دول العالم ، يبدو انه الرحم الذي تخرج منه للمرة الاولى في العصر الحديث فكرة الأمـة الاسـلامية الواحدة والتي يجمع بين اطرافها الجغرافية المتباعدة الاحساس بوجود خطر واحد خارجي يتهدد الجميع بدون استثناء ويبدو واضحا ان نفس الرحم قد بدأ في اعادة

---

[1] احمد ، مرجع سابق ص (181)

اخراج الفكرة والحركة القومية العربية قوية أيضا ومتلاحمة مع الفكرة الإسلامية بعد أن بدت الثانية كبديل للاولى عند بدء انتعاشها في منتصف السبعينات .

(5) ويبدو في ظل ذلك ان هجمات 11 سبتمر وما بعدها وقد أفرزت وسوف تـدفع في المستقبل القريب الى نوعين مرتبطين من التقارب يمكن ان يحدثا على المديين القصير والمتوسط ، التقارب الاول مرشح للحدوث على المدى القـصير يتعلـق بالفكرتين القومية والعربية والاسلامية السياسية ، حيث توضح مجريات الاحداث الدائرة منذ هجمات 11سبتمبر أن اتجاها حثيثا يأخذ بناصية الجماعات الاسـلاميه في العالم العربي نحو التقارب مع الجماعات القومية العربية ، خاصه فيما يتعلـق بتصوراتهما حول العلاقة الصراعية مع الغرب وتركز اهتمامهما علـى قـضايا مشتركة تعد القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني أجمالاً هي مركزها ومحورها.[1]

(6) أما الاحتمال الثاني للتقارب فمرشح للظهور والتبلور علـى المـدى المتوسـط وينصرف الى العلاقة بين الفكـرتين الاسـلامية الـسياسية والقوميـة العربيـة والجماعات المعبرة عنهما من ناحية وبين معظم نظم الحكم في العالم العربي من ناحية اخرى ،ويستند ذلك التوقع الى عاملين يتعلق الاول بالمدى الزمني المحتمل لما تسميه الولايات المتحدة الامريكية الحرب ضد الأرهاب حيث المرجح هـو ان تطول الحرب وتطال نتائجها مجتمعات ودول ومنظمات عربية واسلامية الأمـر الذي قد يفقد واشنطن كثيراً من النظم العربية التي قد تجد نفسها تتجـه تـدريجيا تحت ضغوط شعوبها الرافضة لتلك الحرب الأمريكية نحو التقـارب والانفتـاح على الاتجاهات الاسلامية والقومية المعبرة عنهما [2] .

(7) اما العامل الثاني فيتعلق بعدم أمكانية التوصل الى حل عادل وشـامل ونهـائي للقضية الفلسطينية خلال المدى المتوسط الامر الذي سيجعل منهـا ابـرز واهـم محاور التقارب بين النظم العربية والحركات والجماعات المعبرة عـن الفكـرتين

---

(1) كوثراني، مرجع سابق، ص (4)

(2) خدام، عبد الحليم، الوعي القومي يتراجع والتباس في علاقة العروبة بالاسلام، الحياة، العدد 14543، لندن، 2003/1/16، ص (15)

الاسلامية السياسية والقومية العربية ضمن أطار أوسع من الضغوط الشعبية مـن اجل الوصل لذلك الحل .

(8) ولا شك أن تأمل تلك الجماعات الاخيرة خلال العقد الماضي فـي العديـد مـن البلدان العربية ، يوضح أنها استطاعت إعادة توزيع فكرتها الجوهريـة المتعلقـة بدور الاسلام في التنظيم الاجتماعي والسياسي على عديد من الجماعات فقط ولعل مثال الجزائر وغيرها من بلدان عربية وإسلامية – يؤكد هذا المعنى حيث مثلـت الجبهة الاسلامية للأنقاذ قبل سنوات الممثل شبه الوحيـد للجماعـات الـسياسية والاجتماعية ذات البرامج الإسلامية ، بينما يشهد هذا البلد اليوم عددا كبيراً مـن الاحزاب والجماعات التي تنتمي لنفس الفكرة الجوهرية التي قامت الانقاذ عليهـا على الرغم من الاختلافات الطبيعية غير الجوهرية التي توجد بينها [1]

(9) وتزداد تلك الشكوك عمقا لدى النظر الى التحول الثاني الكبير للحركة الإسلامية، أي التحول من التركيز على الداخل الى الاهتمام المتزايد بقضايا الخـارج فـذلك التحول يبدو مرشحاً خلال الفترة القادمة للاستمرار والتواصل بعدما شهده العـالم من تطورات بعد هجمات 11 سبتمبر وما هو متوقع لها في المـستقبل ، وتبـدو أحداث ما يجري في الاراضي الفلسطينية والعراق وما يمكن أن يحدث غداً فـي دول عربية وإسلامية أخرى ، بمثابة قوة دافعة لوضع الحركة الإسلامية في مقدمة الصدامات المتوقعة مع الولايات المتحدة الامريكية وأسرائيل.

(10)ولا شك أن المناخ الذي تجري فيه تلك الأحداث والذي يتسم بشيوع تـصورات عديدة تعبر عنه مقولات مثل صراع الحضارات والحروب الصليبية والحـروب الدينيةً وصراع الثقافات وغيرها من التصورات والمقولات المغرضة التي مـن شأنها زيادة تلك القوة الدافعة للجماعات الإسلامية .

---

(1) وسام سعادة ما بعد الاسلامية، السفير، العدد 9089، بيروت 2001/11/29 ص (4) .

الخاتمة

الحمد والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى ا عليـه المبعـوث كافـة للعالمين وبعد:

فقد تطرقت هذه الرسالة إلى أسباب نشأة دولة المدينة الإسـلامية الأولـى فـي التاريخ العربي ، والظروف التي أحاطت بالدعوة الإسلامية منذ انبثاق فجرهـا وبـدء نزول القرآن المؤسس لدعوة جديدة اختلفت اختلافاً كبيراً عما ألفه العرب وتعارف عليه المجتمع العربي الجاهلي الذي قاوم بكل وسائله وطاقته وقوته العسكرية هذه الدعوة التي جاءت أصلا لتأسيس نهج جديد اختلفت معالم تعامله مع الآخر تعاملاً جذرياً من حيـث الأدوات والأسلوب وطرق التعامل .

وقد ركزت هذه الدراسة الجادة على تبيين الأسلوب الحضاري في الحوار وتبليغ الدعوة الإسلامية وإنها جاءت بالوحدانية وبالمنهج السلمي في أدوات الخطاب القرآنـي والحديث النبوي ، وأن العلاقة مع الآخرين إنما ركيزتها الأولى هي السلم ، وقد بينا أن المجتمع الإسلامي الأول في مكة المكرمة بدأ مسالماً ولم يؤذن له بالحرب إلا بعـد أن اشتد أذى كفار قريش وبعد هجرة الرسول صلى ا عليه وسلم إلى المدينـة المنـورة وبداية تشكل الدولة الإسلامية التي غيرت السائد وتمردت على كل الأفكـار والعقائـد الوثنية الجاهلية وخاطبت الآخرين بالأسلوب الواضح وبالتي هي أحسن .

وقد ألقت الرسالة الضوء الساطع وتناولت وثيقة المدينة بالشرح العميق ، كـأهم وثيقة حضارية سلمية بين شتى الجماعات والطوائف في المجتمع المسلم الوليد في بلـد الهجرة والدولة والوثيقة التي كما بينا من خلال الدراسة أنها أهم ميثاق مع أهل الكتاب (اليهود في المدينة والنصارى في نجران) .

وان هذه الوثيقة الرائعة إنما هي منشور سلمي جاء ليحسم الخلاف مـع الآخـر الخائف والحذر والمستريب ، وإنها كانت ضرورة حتمتها الظروف الناشـئة الجديـدة لتأمين الآخرين على عقائدهم وأموالهم ودمائهم وأولادهم وتجارتهم وأسواقهم وأن هـذه الوثيقة الحضارية لم يلتفت إليها أو يلقي عليها المزيد من الشرح والإفـصاح والإبانـة وهذا ما قامت به الدراسة بالحديث الشامل الواسع عن مضامين وأهداف وثيقة المدينة .

كما شرحنا آراء الفقهاء وثبتناها في متن الرسالة حول مفاهيم دار الحرب ودار العهد ودار السلم ، لنثبت أن الإسلام الذي يتهم بالإرهاب والعنف والتطرف إنما كانت رسالة بشرت بالسلام ونادت به وحرصت عليه كل الحرص ، وان الحرب التي تلت السلم إنما كانت لضرورة اقتضتها الظروف في حينها وان الإذن بالقتال كان بأمر ا الذي بعث الرسول صلى ا عليه وسلم وانزل عليه القرآن الكريم وأمره إن يجهر بالدعوة في مجتمع قريش الوثني ، وإذن له بالهجرة من دار الشرك والكفر إلى دار الإسلام الجديدة ، ثم جاءت بعد ذلك المرحلة الثانية المهمة في تأسيس الدعوة الإسلامية السلمية وهي بناء المسجد الأول في الإسلام بمنطقة قباء وبناء بيت النبي صلى ا عليه وسلم وحجرتين لزوجتيه ، والمؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين .

ثم تحدثت الرسالة عن صلح الحديبية هذا الحدث العظيم الذي كان مهماً لانتشار الإسلام في الجزيرة العربية وصولاً إلى أهم حدث وقع بعد الحديبية وهو فتح مكة حيث دخلت القبائل والأسر العربية في دين ا أفواجاً وانتهت الحقبة الجاهلية التي امتدت لخمسمائة عام .

ثم تناولنا بالحديث والشرح عن قواعد التعامل في الإسلام والأساليب الدبلوماسية مع أهم إمبراطوريتين في العالم القديم روما وفارس ومملكة الحبشة ، وذكرنا رسائل الرسول السلمية إلى ملوك تلك الدول ودعوتهم إلى السلام بنفس اللازمة (أسلم تسلم) لان أصل العلاقة مع الآخر غير العربي والمسلم كانت هي السلم ، وما كانت الحرب إلا دفاعاً عن النفس وعن الخطر الذي يتهدد المجتمع المسلم الجديد في المدينة المنورة من القبائل العربية الوثنية ومن دولتي الفرس والروم الذين كانوا في بلاد الشام ويجاورون الجزيرة العربية ، وقد كانت أهداف الرسالة واضحة في ذكر المعلومات من مصادرها الأمينة للتأكيد على الجانب السلمي الذي رافق نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة ودحض الآراء التي تقول أن الإسلام انتشر بالسيف وانه دين العنف والدماء والقتل ، وهذه فريه وشبهه بينا في الدراسة مدى تفاهتها وإنها ليست واقعية وإنما طرحها ودندن حولها أعداء الدولة الإسلامية .

ثم تطرقت بالحديث إلى الخطاب التاريخي لجلالة الملك عبد ا الثاني في الكونغرس وما ركز عليه في معالجة أسباب التطرف في المنطقة والتي تكمن بعدم حل قضية الشرق الأوسط بإيجاد دولتين منفصلتين مستقلتين لهما كامل الحقوق وان هذا هو

السبب الذي يغذي أسباب التطرف في المنطقة وتحدث عن الإسلام بأنه دين الوسـطية والتعامل مع الآخر المخالف بالحسنى ، ثم تطرقنا إلى رسالة عمان والى أهمية الرسالة المحمدية التي جاءت للبشرية كافة لتخرج العباد من الأوهام والظلم والقتل والتطـرف والعنصرية والهمجية إلى رحابة وتسامح وعدل وإنصاف ورقي في التعامل ووسـطية في المواقف واحترام الآخر وديانته وعدم إكراه الآخرين (لا إكراه في الدين) وشـبه الدعوة إلى قتلهم لمخالفتهم المعتقد ، ودعت إلى الوسائل السلمية في الحوار والدعوة .

وهكذا فان هذه الرسالة تأتي في وقت كثرت فيه التهم الموجهة للإسلام وانه دين الإرهاب والدماء وهذا ما ناقشناه ملياً لمن كان له قلب أو القى السمع وهو لـه شـهيد ، وان هذا البحث أماط اللثام عن الجانب الحضاري والسلمي بالمعلومـة الموثقـة مـن المصادر ، ومن المنطق والحق الذي تفرضه منطقية الأشياء في التعامل بين المجتمعات والحضارات الإنسانية .

وإننا نهدف إلى خدمة أمتنا وديننا السمح وشريعتنا الحنيفة بالحجـة والمنطـق والبرهان العقلي ، وان التهم التي تكال ضدنا ، إنما هو موقف مسبق من دعاة صـدام الحضارات وإشعال الحروب بين الشرق والغرب ، واحتلال الدول العربية والإسـلامية ونشر ثقافة الكراهية والعنف التي قاومها الإسلام منذ إن نزلت كلمـة الفكـر والثقافـة والوعي والإدراك ً اقرأ ً على قلب الرسول الكريم صلى ا عليه وسلم وهو في غـار حراء يتفكر ويتأمل في مصير البشرية المعذبة وما وصلت إليـه مـن جـراء الظلـم والعبودية والشرك والنظام الطبقي المقيت البغيض ، وان الحرية كانت في منهج الدعوة التي جاءت لتنصف المعذبين والمسحوقين وتعيد إليهم كرامتهم الإنسانية .

وتحررهم من هم العبودية وعبادة الناس إلى عبادة رب الناس ، وقـد ذكـرت الرسالة بالوثيقة والدليل العقلي والحسي مدى التأثير الواسع للأفكار الجديدة ، ولألفـاظ الدعوة وكلمات القرآن على أفكار وعقول ومشاعر المجتمع العربي الذي كـان غارقـاً حتى أذنيه في الظلم والعدوان والعصبية القبلية وعنجهية المجتمع المحكـوم بالأفكـار والأعراف والتقاليد التي جاء الإسلام ليهذبها وجاء النبي الكريم صلى ا عليه وسلم لا ليلغيها كلياً ولكن جاء ليتمم مكارم الأخلاق .

وكان هدف الدراسة الواضح والمعلن هو تصحيح الصورة السلبية عن الإسـلام ومجتمع الدعوة الأول من خلال هذه المنطلقات السلمية والحضارية التي استطاعت إن تغير طبيعة مجتمع لم يكن ليتغير لولا إرادة الله سبحانه وتعالى في تغيير الحياة البشرية لان شكوى المعذبين والفقراء والمحرومين المرهقين من العبودية والقيـد والـضرائب الفادحة والتفاوت الطبقي بين الفقراء والأغنياء والسادة والعبيـد فكانـت إرادة التغييـر حتمية تاريخية ، أرادتها العناية الإلهية لمصلحة البشر سـكان الأرض فكانـت بعثـة الرسول صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وللناس كافة ، لان الشقاء الإنساني غطـى كل بقاع الأرض الغارقة في الوثنية وفي القطيعة المعرفية والوجدانية ما بينها وما بين خالق السماوات والأرض .

وحتى في جانب الحرب والدماء والقتال والجهاد فقد أوضحت الدراسة الجانـب الأخلاقي في الجهاد ، وكيف إن أوامر النبي صلى الله عليه وسـلم وقادتـه وخلفائـه رضوان الله عليهم كانت واضحة وصريحة لقادة الجيش الإسلامي بان لا تقتلوا شـيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ولا تقطعوا شجرة ولا يتعرضوا بالأذى والقتل لرهبـان انقطعـوا لعبادة الله في الصوامع .

هذه الأخلاق الرفيعة والشمائل المحمودة حتى في قتال الخصوم ، بان المسلمين لم يكونوا هم الذين يبدأون القتال وإنما دائماً كانوا في موقف الدفاع عن الـنفس وعـن العقيدة ، هذا الميثاق العظيم لشرف الحرب الذي حافظ عليه المسلمون في كل حروبهم ومعاركهم وهم يعيدون للأرض العربية وجهها العربي الذي كانت تخفيه روما لظلمهـا وتجبرها وضرائبها وأخلاقها العسكرية السيئة وقتلها لمن اسلم من الزعماء الذين كانوا يدينون بالولاء والسمع والطاعة لها .

هذه الصورة المشرقة السمحة للإسلام التي يساء إليها الأن ويساء لنبي الإسـلام العظيم بالرسوم المسيئة لشخص النبي الكريم صلى الله عليه وسلم دون إن يكلف الآخر نفسه قراءة سيرة هذا النبي الكريم عليه السلام أو مجرد الاطلاع على تاريخ الإسـلام والدوافع والأسباب التي كانت وراء الجهاد والقتال والحرب .

وقد كان الواجب الديني والضميري والأخلاقي يفرض علينا مـن خـلال هـذه الدراسة المعمقة إن نميط اللثام عن صورة المجتمع العربي قبل الدعوة ، وخلال مرحلة

إنشاء الدولة الإسلامية وبعد إن أصبحت دولة المدينة المنورة هـي مركـز الإشـعاع الحضاري في كل أرجاء الجزيرة العربية .

ولعلنا في هذه العجالة لن نفي الدراسة حقها فلا بد للمهتم بالتاريخ الإسلامي إلى العودة إليها وقراءة ما تضمنته من أفكار ومعلومات اجتهدنا فيهـا إن تكـون صـادقة وواقعية .

وبعد ، فان فوق كل ذي علم عليم ، وحسبي ا عليه توكلت وهو رب العـرش العظيم ، وقد أردنا إن نشعل شمعة للمعرفة والفكر لا إن نلعن الظلام .

المراجـع

أ. المراجع العربيـ ـة

أبداح، عبدالرحمن (2006م) **أدب الخطاب في القرآن الكريم**، دار الرساله، عمان.

ابن اسحق، (د.ت) **شرح السير والمغازي الكبير** ج4 .

ابن الأثير، (د.ت) **النهايه في غريب الحديث والأثر**، الجزء الاول.

ابن الجوزية، (ت 751هـ) **زاد المعاد**، في اربعة اجزاء ، المطبعة المصرية

ابن خلدون، عبد الرحمن،(1391هـ) **مقدمه ابن خلدون**، طبعة بيروت.

ابن رشد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي(د.ت) **كتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد.**

ابن سعد، (د.ت) **الطبقات الكبرى**

ابن عابدين(د.ت) **كتاب الحاشية**، الجزء (4)

ابن قدامه(د.ت) **المغني**، ج1

ابن قدامه، (د.ت) **احكام اهل الذمة**.

ابن كثير(د.ت) **كتاب تفسير القرآن العظيم**، الجزء الرابع.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن جمال الدين بن منظور الانصاري (ت711هـ)(1300) **لسان العرب** ، القاهرة.

ابن هشام، عبدالملك بن أيوب الحميري، (د.ت) السيرة النبوية، المجلد الاول.

ابو اتله خديجه احمد (1993م) **المواطنه غير الاسلامية داخل الدولة الاسلامية** (مكتبة الملك فيصل الاسلامية)، السعودية.

ابو البركات احمد بن محمد بن احمد الدردير(د.ت) **الشرح الصغير على أقرب المسالك**، ط2 ج2 – دار المعارف، القاهرة، مصر .

ابو داود، سليمان بن الاشعث بن اسحاق الازدي السجستاني (ت 275هـ)(1371هـ) **سنن ابي داود** ، علق علية الشيخ احمد سعد علي ، ط1، مصطفي الحلبي.

أبو زهرة ، محمد(د.ت) **العلاقات الدولية في الاسلام**، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان

ابو زيد عمرو بن شبه (ت 262 هـ) (1996) **تاريخ المدينة المنورة**، علق عليه وخرج احاديثه، علي محمد دندل وياسين سعد الدين بيان ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

أبو طالب، عبد الهادي(2002م) عالمية الاسلام ونداءه للسلام ودعوتة للتعايش والاعتراف بالآخر، **مجلة الاسلام اليوم** (دوريه تصدرها المنظمة الاسلامية للتربية والثقافه العدد(9) 1423 هـ .

أبو فخر ، صقر(2001) **الحركه الاسلاميه في فلسطين من العقود الى القيام**، جريدة السفير اللبنانيه – بيروت العدد 1089.

ابو نوار ، معن(1973م) **معركة الكرامة**، منشورات المطابع العسكرية، مديرية التوجيه المعنوي في القوات المسلحة الاردنية، عمان.

أبو هيف، علي،(1977) **القانون الدولي العام**، دار نشأة المعارف، ط 10، الإسكندرية، مصر

ابو يوسف، تلميذ الامام ابي حنيفه،(د.ت) **كتاب الخراج**، المكتبة السلفية، طبعه ثالثة، القاهرة .

ابو يوسف، يعقوب ابن ابراهيم (ت 183هـ) **الخراج**، المطبعة السلفية ، ط3

ابي يعلي، محمد بن حسن الفراء (د.ت) **الاحكام السلطانية.**

احمد رفعت سيد(2000) **مستقبل المقاومه ومسؤولية التيارين القومي والاسلامي**، تقرير مركز الاعلام العربي، القاهره.

الارمنازي نجيب، (د.ت) **الشرع الدولي في الاسلام**، ط1

ارنولد : سيرت .و. ارنولد الدعوة الى السلام ، ترجمة حسن ابراهيم حسن ، 1957م.

اصدار الجامعة الهاشمية، 2007، **اصداء الخطاب التاريخي لصاحب الجلالة الملك عبد ا الثاني امام الكونغرس الامريكي**، عمان

الاندلسي، محمد عبد ربه، (د.ت) **العقد الفريد**، ج2

البخاري، ابو عبد ا محمد بن اسماعيل البخاري (ت 256هـ)(د.ت) **صحيح البخاري**، 9أجزاء، مطبعة دار الشعب

البخاري، محمد بن اسماعيل،(د.ت) **الجامع الصحيح**، طبعه بيروت، لبنان

البطوش، عمر عبد الحميد(2007) **كتاب إغاثة اللفهان بشرح رسالة عمان**، مطبعة الروزنا، عمان – الطبعة الأولى.

بن سلام، ابو عبيد القاسم، (1981) **كتاب الاموال**، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت.

البهوتي(1403هـ) **كشف القناع عن متن الاقناع**، عالم الكتب، بيروت، ج3

البوطي، محمد سعيد رمضان(د.ت) **فقة السيرة**، طبع دار الفكر الحديث ، لبنان .

البوطي، محمد سعيد رمضان، (1990م) **كتاب فقه السيرة** (دراسات منهجيه علمية لسيرة المصطفى عليه السلام وما تنطوي عليه من عظات ومبادي وأحكام)، دار المعارف، مصر، الطبعة الثامنة

البيهقي(1985) **دلائل النبوة**، توثيق وتخريج عبد المعطي قلعجي بيروت، دار الكتب العلمية حاشية رقم (1)

البيهقي، ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي،(1356هـ) **السنن الكبرى**، 9 اجزاء. دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد، الهند.

توفيق ، سعد حقي(2000 **) مبادي العلاقات الدولية**، ط1، دار وائل للنشر عمان.

حتى، فيليب، (1985) **لبنان في التاريخ**، بيروت ط1.

الحسن، محمد علي، (1982) **العلاقات الدولية في القرآن والسنة** ط2، منشورات مكتبة النهضة الإسلامية، عمان، الأردن.

الحسيني ، محمد بن عبد ا (د.ت) **الزوائد في فقه الامام احمد بن حنبل**، ط2 مطبعة دار لبنان ج2

الحسيني الحاج امين(1969م) **مذكرات الحسيني**، مجلة فلسطين، بيروت، عدد ايلول.

الحسيني، قاسم الجلالي، (2006) حدود العنف ومشروعية في الاسلام، **مجلة النور** (للوسطه والحوار) العدد 177 تشرين الثاني، لندن .

الحوفي، احمد(د.ت) **تحت راية الاسلام** ، اصدار المجلس الاسلامي الاعلى للشؤون الاسلامية، دار مطابع الشعب .

الخضري، محمد(د.ت) **تاريخ الامم الاسلامية**، ج2 ، القاهرة، مصر.

الخضري، محمد، (د.ت) **نور اليقين في سيرة سيد المرسلين**، حققه وعلق عليه : الشيخ نايف العباسي، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، بيروت

الدجاني، احمد صدقي، (2002) مقال التطرف في الاسلام، **مجلة منتدى الفكر العربي،** العدد 207 كانون اول، ص 89-90، عمان .

الدره محمود(1965) **تاريخ غزوات العرب،** بيروت، لبنان.

الدريني، محمد فتحي(1982) **خصائص التشريع في السياسة والحكم** ط1 بيروت، مؤسسة الرساله.

دوراس (1937) **محاضرات عن القانون الدولي الخاص في الاسلام،** مجموعة محاضرات في أكاديمية لاهاي، نقل شكري قرداحي ج2.

الرازي، محمد بن ابي بكر،(د.ت**) مختار الصحاح،** طبعة بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

الرويفي، **محمد، محاضرات في تاريخ العلاقات الدولية،** الرباط، مكتبة المعارف.

الزاوي، الطاهر أحمد،(د.ت) **أساس البلاغة** دار الفكر، ط3 ج2

الزحيلي، وهبه مصطفى(1981م) **العلاقات الدولية في الاسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث،** مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان .

الزحيلي، وهبه مصطفى، **موقف الاسلام من اتباع الرسالات الالهية الاخرى ومن الانبياء والرسل والكتب الالهية**.

زغلول، النجار(د.ت) **آيات الاعجاز العلمي في القرآن الكريم،** الجزء الأول، دار الهدايه.

الزمخشري، **الفائق في غريب الحديث الأثر** ج2

زيدان عبد الكريم، **احكام الذميين والمستامنين في دار الاسلام**

سالم عبد العزيز(1980) **تاريخ الدولة العربية. الاسلام، رؤية جديدة في فلسفة تاريخ الاسلام،** القاهرة، دار الكتب، بيروت، دار الكتاب.

السرخسي، محمد بن ابي سهل السرخسي (ت 490هـ)، **شرح السير الكبير** ، تحقيق صلاح الدين المنجد.

السيد، رضوان، (1986م) **الامة والجماعة والسلطة،** دراسة في الفكر العربي المعاصر، ط2 بيروت، دار اقرأ 1406 هـ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي الشافعي (ت 911هـ)(1368) **الاتقان في علوم القرآن**، جزءان بهامشه اعجاز القرآن لابي بكر الباقلاني، مطبعة حجازي بالقاهرة.

الشافعي، محمد بن ادريس الشافعي (ت 204هـ) (د.ت) **مسند الامام الشافعي،** مطبوع بهامش كتاب الام.

شتا ، احمد عبد الونيس(2000**) دراسة بعنوان الاصول العامة للعلاقات الدولية في الاسلام وقت السلم**، دراسة في تحليل اهم ادوات العلاقات الخارجية للدولة الاسلامية، كتاب (اعمال ندوة المناقشه مشروع العلاقات الدولية في الاسلام ، العلاقات الدولية بين الاصول الاسلامية وبين خبرة التاريخ الاسلامي - مركز البحوث والدراسات الاساسية، المجلد الاول ط 1.

الشعيبي، احمد قائد،(1426هـ) **وثيقة المدينة (المضمون والدلالة) كتاب الامة**، طبع وزارة الاوقاف والشوون الاسلامية، قطر العدد 110.

الشلبي، احمد(1979) **التاريخ الاسلامي** ، ط1.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، (ت 1255هـ)(1344هـ)، **نيل الاوطار شرح منتهى الاخبار**، 8 اجزاء ، ادارة الطباعة الاميرية.

الشيباني، محمد بن الحسن الشيباني (ت 189هـ)(د.ت) **السير الكبير.**

الطالبي محمد، (1395هـ) دستور المدينة، **مجلة الهداية** (مجله ثقافيه اسلامية) تصدر بتونس عن ادارة الشعائر الدينية بالوزارة الاولى العدد (39).

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(د.ت) **تاريخ الطبري الكبير**، الجزء الثالث.

عاقل ، نبيه(د.ت) **تاريخ العرب القديم وعصر الرسول**.

عبد السلام ابراهيم(د.ت**) المدينة المنورة في تاريخ الدعوة منذ نشاتها حتى وفاة النبي صلى اللة عليه وسلم**، رسالة الدكتوراه غير منشورة، جامعة الازهر، كلية اصول الدعوة والدين، المنصوره، مصر

عبد العزيز، أمير، (د.ت) **افتراءات على الاسلام والمسلمين**، الطبعة الاولى

عبد اللطيف، محمد،(1985) **الوسطية في الاسلام** ط1 دار العلم.

عبدالعزيز الثعالبي(1985م) **الروح في القرآن**، نقله عن الفرنسية، حماده الساحلي، وراجعه ووضع حواشيه محمد المختار السلامي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الغرب الاسلامي.

عسيلة صبحي(2002م) **توجهات الرأي العام الفلسطيني أزاء عملية السلام**، كراسات استراتيجية العدد 16 – جريدة الإهرام، القاهرة.

عيسى، محمود خيري، غالي، بطرس،(د.ت) **المدخل الى علم السياسة**، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية

الغزالي، محمد بن محمد ابي حامد (1317هـ) **الوجيز في فقه مذهب الامام الشافعي**، طبع مطبعة الاداب والمؤيد – مصر، دار الكتب العربية .

فريج، عمر علي(2005م) **الشيعة في التصور الاسلامي**، دار الرسالة، عمان.

فلهاوزن(1960م) **تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية** ، ترجمة عبد الهادي ابو ريده ، ط2.

الفهداوي ، خالد سليمان(1998م) **الفقه السياسي للوثائق النبوية** (المعاهدات – الاحلاف الدبلوماسية الاسلامية) ط1 دار عمار1419 هـ .

فهمي أحمد(2006م) حماس ما بين زمنين، **مجلة البيان الامارتية**، ابو ظبي – ط 1 1427هـ .

الفيروزابادي، محمد بن يعقوب الفيروزي ابادي (ت 817هـ) **القاموس المحيط**،، 4 اجزاء طبع مصطفى الحلبي .

قاسم، عون الشريف، (1980) **نشاة الدولة الاسلامية في عهد الرسول صلى ا عليه وسلم**، دراسة في وثائق العهد النبوي، دار الكتب الاسلامية، بيروت.

قانصو، وجيه، **الحركات الاسلامية في واجهة الصراع مع اسرائيل**، جريدة السفير اللبنانية / بيروت العدد 3092.

القرافي(د.ت) **كتاب الفروق**، الجزء الثالث

القلقشندي(د.ت) **صبح الاعشى في صناعة الانشا**، الجزء الثالث ط1 – بيروت، لبنان.

القوابعه ، سليمان(2006) **فضاءات عربية (ضانا وقت السحر)** عمان.

الكاساني(د.ت) **بدائع الصنائع** .ج1

كمال احمد عادل(1981م) **كتاب المدائن ونهاية الدولة الساسانية**. دار النفائس، الطبعة الثانية.

كوثراني وجيه(2002م) **مستقبل المشروع السياسي في الإسلام،** المركز العربي للمعلومات، بيروت.

الكومي، أحمد(د.ت) **تفسير سورة الفتح**، ص25

لوبون : جوستاف لوبون ، حضارة العرب ، مصطفى البابي الحلبي ، ط2

الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(د.ت) **كتاب الاحكام السلطانية** .ج1، مصطفى الحلبي.

مبارك، احمد عبد الحميد،(1993) **الاسلام والعلاقات الدولية**، دراسة ومقارنة، الجامعة المفتوحة.

المجالي، حيدر عبد ا ، (2007) **الخطاب دعوة للسلام في زمن الحرب**، المكتبة الوطنية، عمان.

محمصاني، صبحي،(1982) **القانون والعلاقات الدولية في الاسلام**، دار العلم للملايين، ط 2، كانون الثاني، بيروت

مديرية الافتاء العسكري، **مضامين رسالة عمان**، القوات المسلحة الاردنية، عمان

مستقبل الجماعات الاسلامية بعد 11 سبتمبر(2001) **التقرير الاستراتيجي**.

مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (ت 261هـ)(د.ت)، **صحيح مسلم** ، طبعة اسطنبول .

معطي، علي معطي، (1998) **التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة المنورة في عهد الرسول صلى ا عليه وسلم والاستراتيجية السياسية والعسكرية للرسول صلى ا عليه وسلم**، الطبعة الاولى، بيروت، لبنان

المقريزي ، تقي الدين احمد،(د.ت) **إمتاع الاسماع بما للرسول من الانباء والاموال والحفدة والمتاع**، الجزء الاول تحقيق محمد شاكر.

مقلد، اسماعيل صبري،(1982) **نظريات السياسة الدولية،** دراسة تحليلية مقارنة ط 1 جامعة الكويت.

المنذري، الحافظ الإمام زكي الدين عبدالعظيم، (1399) **مختصر سنن أبي داوود** تحقيق محمد حامد الفقهي، ط2 المطبعة العربية، باكستان.

المنذري، الحافظ الإمام زكي الدين عبدالعظيم،(د.ت) **مختصر صحيح مسلم،** تحقيق محمد ناصر الدين الألياني، طباعة المكتبة الاسلامية، عمان، ودار ابن عفان، الخبر، السعودية ط1 (41)

ميريل مرسيل (1986م) **سوسيولوجيا العلاقات الدولية**، ترجمه حسن نافع ط1 دار المستقبل العربي القاهرة

النسيابوري أبو عبدا ، (د.ت) **المستدرك على الصحيحين**، بيروت، دار المعرفه ج3.

النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، (د.ت) **صحيح مسلم**، طباعه دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ، جزء 3، 261 هـ

الهيثمي، (د.ت) **مجمع الزائد كتاب الإيمان**، باب، من الايمان الحب والبغض

هيكل، محمد حسين، **كتاب حياة محمد**.

الواقدي(د.ت) **فتوح الشام**، الجزء الاول، طبعة بروت، لبنان.

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر اليعقوبي المتوفي سنة 292 هـ، (د.ت) **تاريخ اليعقوبي**، ج2.

Gabriel,F.R.(1968 **) Mohammad and conquests of Islam world** university bibrary, London

Watt, M .(1950) **Muhamadat** meclna-oxford.

الملحق (أ)

وثيقة المدينة المنورة

الملحق ً أ ً وثيقة المدينة المنورة

قال ابن هشام : قال ابن إسحاق :وكتب رسول ا محمد صلى ا عليه وسلم كتاباً ([1] (بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم على دينهم وأموالهم ،وشرط لهم واشترط عليهم ً: بسم ا الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى ا عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: إنهم أمة واحدة من دون الناس المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى،كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين،وبنو الحارث على ربعتهم)[2] (يتعاقلون معاقلهمالأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين،وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين،وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وبنو النُبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً) [3](بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل)[4].(وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه.

وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة)[5](ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وإن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم. ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ولا ينصر كافراً على مؤمن. وإن ذمة ا واحدة يجير عليهم أدناهم وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم. وإن سلم المؤمنين واحدة،لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل ا إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب

بعضها بعضاً. وإن المؤمنين يـبيء) [6](بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل ا .

([1]) اختلف أهل المغازي والسير في تسميتها (الوثيقة،الدستور،الصحيفة ، الكتاب)، وناقش د.جاسم محمد راشد العيساوي في بحثه (الوثيقة النبوية)ص27 فما بعد بإسهاب فانظره هناك.

([2]) حالهم وشأنهم الذي كانوا عليه،النهاية ،ابن الأثير 189/2 .

([3]) هو من أثقله الدين والغرم ،النهاية 424/3.

[4]) في الأصل هنا ً:قال ابن هشام –ًالمفرح المثقل بالدين والكثير العيال، قال الشاعر

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

([5]) أي عطية:أي طلب عطية على سبيل الظلم ،النهاية 117/2.

([6]) أي: يلتزم .النهاية 159/1.

وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه.

وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن.

وإنه من اعتبط) [7](مؤمناً قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول.

وإن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن با واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة ا وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى ا عز وجل وإلى محمد صلى ا عليه وسلم وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين.

لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ)[8] (إلا نفسه وأهل بيته.

وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف،وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ،وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بن عوف ،وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف،وإن ليهود بني ثعلبة

مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته.

وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم.

وإن لبني الشُطَيبة مثل ما ليهود بني عوف.

وإن البر دون الإثم وإن موالي ثعلبة كأنفسهم.

وإن بطانة يهود كأنفسهم.

وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى ا عليه وسلم .

وإنه لا ينحجز على نار جرح.

وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته، إلا من ظُلم.

وإن ا على أبر هذا.

وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

وإن النصر للمظلوم.

وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم.

وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها.

وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى ا عز وجل وإلى محمد رسول ا صلى ا عليه وسلم .

([7])أي: قتله بغير جناية ،ولا جريرة .النهاية.3/172

([8])أي: يهلك .النهاية 149/5 .

وإن ا على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره.

وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

وإن بينهم النصر على من دهم يثرب.

وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم في جانبهم الذي قبلهم.

وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة. -قال ابن هشام ويقال مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة.-

وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه.

وإن ا على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم،وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم.

وإن ا جار لمن بر واتقى ومحمد رسول ا صلى ا عليه وسلم) [9]

([9])السيرة النبوية ،ابن هشام.35-3/31

الملحق (ب)

رسائل رسول ا   عليه الصلاة والسلام للملوك والامراء

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم

الملحق (ب) رسائل رسول ا عليه الصلاة والسلام للملوك والامراء

أسماء الرسل ومن أرسلوا إليهم

بعث رسول ا صلى ا عليه وسلم رسلا من أصحابه وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم ؛ وبعث عبد ا بن حذافة السهمي إلى كسرى ، ملك فارس ؛ وبعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ؛ وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياد ابني الجلندى الأزديين ملكي عمان ؛ وبعث سليط بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثمامة بن أثال وهوذة بن علي الحنفيين ملكي اليمامة ؛ وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين ؛ وبعث شجاع بن وهب الأسدي إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك تخوم الشام وقال ابن هشام : بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغساني وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كلال الحميري، ملك اليمن.

أ. رسالة الرسول إلى كسرى ملك الفرس .

(بسم ا الرحمن الرحيم، من محمد رسول ا إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن با ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا ا وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أدعوك بدعاية ا ، فأني رسول ا إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم، فأن أبيت فعليك اثم المجوس) ورد كسرى على الرسالة بموقف دل على حقده وكراهيته للإسلام، وذلك بأن مزق الرسالة المحمدية بغضب وغطرسة واستكباراً. بل تمادى استكباره بأن أرسل إلى ملك اليمن الحليف له، يطلب فيها منه، أن يأسر محمداً ويرسله إليه، إلى كسرى

ب. نص رسالة رسول ا عليه الصلاة والسلام إلى هرقل

"بسم ا الرحمن الرحيم. من محمد عبدا ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم. سلام على من اتبع الهدى. أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام: أسلم تسلم، وأسلم يؤتك ا أجرك مرتين. فإن توليت فعليك إثم الأريسيين. **و"يا أَهلَ الْكِتَابِ تَعالَوا إِلى كَلِمةٍ سواءٍ بينَنَا وبينَكُم أَلا نَعبد إِلا الله ولا نُشْرِك بِهِ شَيئًا ولا يتخِذَ بعضنَا بعضا أَربابا من دون**

اللهِ فَإِن تَولوا فَقُولُوا اشْهدوا بِأَنا مسلِمون" [1] وقد تم العثور على النسخة الأصلية لهذه الرسالة، وبجانبها صورة منها كلمة "الأريسين" الواردة في هذه الرسالة. ذلك أن المفسرين اضطربوا في شرح معنى هذه الكلمة (التي قرؤوها بفتح الهمزة وكسر الراء والسين وتشديد الياء الأولى: الاريسِيِين) وقد فسرها معظمهم بـ"الأكارين" أي "الفلاحين". وعلى هذا الأساس جعلوا معنى قول النبي "فإن توليت فعليك إثم الأريسيين" كما يلي: "وإن لم تدخل في الإسلام فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام"! وبعضهم قال: "الأريسيون العشارون يعني أهل المكس". وآخرون رووا العبارة هكذا "عليك إثم الفلاحين"

ج. نص رسالة رسول ا عليه الصلاة والسلام إلى النجاشي ملك الحبشة:

(بسم ا الرحمن الرحيم، من محمد رسول ا إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلم أنت، فأني أحمد ا الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح ا وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت به، فخلقه من روحه، ونفخه كما خلق آدم بيده، وأني أدعوك إلى ا وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فأني رسول ا وأني أدعوك وجنودك إلى ا عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي، والسلام على من اتبع الهدى)

الرسالة الجوابية من النجاشي للرسول محمد عليه السلام:

(بسم ا الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول ا من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي ا من ا ، ورحمة ا وبركات ا الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام، أما بعد، فقد أتاني كتابك يا رسول ا فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض أن عيسى لا يزيد على ما ذكرت تغروفاً،وإنه كما قلت، ولقد عرفنا ما بعثت به إلينا، ولقد قربنا ابن عمك وأصحابه وأشهد أنك رسول ا صادقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه رب العالمين، وبعثت إليك بابني ارمى بن الأصحم، فأني لا أملك إلا نفسي وان شئت أن آتيك يا رسول ا فعلت، فأني أشهد أن ما تقوله حق، والسلام عليك يا رسول ا).

د. نص رسالة محمد عبد ا ورسوله الى المقوقس عظيم القبط

---

[1] (آل عمران 64).

إلى المقوقس واسمه جريح بن مينا أرسله مع حاطب بن أبي بلتعة اللخمي عندما انصرف من الحديبية وفيه:

بسم ا الرحمن الرحيم : (**من محمد عبد ا ورسوله الى المقوقس عظيم القبط: سلام على من إتبع الهدى . أما بعد فإنى أدعوك بدعايه الإسلام أسلم تسلم يؤتك ا أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم كل القبط ياهل الكتاب تعالوا الى كلمه سواء بيننا وبينكم أن لانعبد إلا ا ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون ا فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون**) وختم الكتاب وجاء به حاطب حتى دخل على المقوقس بالاسكندريه فلما قرأه قال ما منعه أن كان نبيا أن يدعو على من خالفه أن يسلط عليهم فقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول ا ؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم؟ قال: أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم، واكرم حاطباً وأهدى إلى النبي جاريتين مارية أم إبراهيم وسيرين وبغلة بيضاء وهي دلدل ولم يكن في العرب يومئذ غيرها، وكتب إلى النبي .

وهذه جواب المقوقس المرتاب فيه أيضا

(**بسم ا الرحمن الرحيم . لمحمد بن عبدا من المقوقس عظيم القبط . أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعوا إليه وقد علمت أم نبيا قد بقى وكنت أظن أنه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت له بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم وبكسوه وأهديت لك ببغله لتركبها والسلام .**

والمعروف أن المقوقس أرسل ماريا القبطيه جاريه ولد منها إبراهيم مات بعد سنه وبضعه أشهر كما ارسل بغله وطبيبا فرد الطبيب الى المقوقس قائلا : لا حاجه بنا الى الطب لإننا قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع . 1

---

[1] صحيح مسلم - الجهاد والسير - كتاب النبى صلى ا عليه وسلم إلى الملوك والأمراء

الملحق (ج)

خطاب جلالة الملك عبد ا الثاني في الكونغرس الأمريكي

الملحق (ج) خطاب جلالة الملك عبد ا الثاني في الكونغرس الأمريكي



بسم ا الرحمن الرحيم

السيدة رئيسة مجلس النواب، السيد نائب الرئيس، السادة الأفاضل أعضاء مجلس الشيوخ وأعضاء الكونجرس،أصدقائي،

أشكركم على هذا الترحيب الحار..ويشرفني أن أقف..كما وقف والدي من قبل أمام هذا الصرح التاريخي لأعرب لكم عن الشكر باسم جميع الأردنيين.

ان الأردن والولايات المتحدة الأمريكية يرتبطان بعلاقة صداقة طويله ..لذلك، فإنه لمن دواعي الاعتزاز أن أكون هنا خلال العام الذي يُرحب فيه الكونجرس بأول رئيسة له، وبأول عضو أمريكي مسلم..إن هذا الأمر يبعث برسالة قوية في أرجاء العالم عن أمريكا التي أعرفها معرفة جيدة..أمريكا المكان الذي تحترم فيه فردية الإنسان، المكان الذي يُجزى فيه العمل الجاد المثابر..والمكان الذي يُكرم فيه الإنجاز. فأمريكا التي أعرفها جيداً تؤمن بأن الفرص والعدالة حق للجميع .ولقد تعلمت أيضاً، في المدة التي قضيتها على مقاعد الدراسة في ولاية ماساتشوستس،شيئاً عن فضائل نيوإنجلند..حيث لم يكن هناك قانون ضد كثرة الكلام..ولكن القاعدة السائدة هي..ألا تتكلم إلا إذا كان كلامك أفضل من الصمت

واليوم، علي أن أتكلم، فلا أستطيع التزام الصمت.

علي أن أتكلم عن قضية ملحة لشعبكم ولشعبي..فعلي أن أتكلم عن السلام في الشرق الأوسط؛وعلي أن أتكلم عن سلام يحلّ محلّ الفُرقة والحرب والنزاع الذي جلب الكوارث للمنطقة وللعالم. لقد كانت هذه هي القضية نفسها التي جاء من أجلها والدي الملك الحسين هنا في عام 1994..وقد تحدث، ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين إلى جانبه،عن رؤية جديدة للشرق الأوسط .

لقد تلقّى عملهما الشجاع من أجل السلام دعماً من قادة الحزبين لديكم، وكان هناك فيض من الأمل ببزوغ شمس حقبة جديدة،أمل بأن يلتقي الناس معاً،وأمل بأن تتحقق تسوية نهائية شاملة لجميع القضايا .

واليوم وبعد مرور ثلاثة عشر عاماً، لم يكتمل هذا العمل بعد . وسنظل جميعا مُعرضين للخطر حتى ننجز هذا العمل..فنحن جميعاً معرضون لخطر أن نغدو ضحايا لمزيد من العنف الناجم عن أيديولوجيات الإرهاب والكراهية..ولذلك فواجبنا الأعظم والأكثر إلحاحاً هو أن نحول دون تعرض منطقتنا وبلادكم والعالم لهذه المخاطر..والخيار في ذلك لنا ..فإما عالم منفتح مِلْؤه الأمل والتقدم والعدالة للجميع..أو عالم مُنغلق شعوبه منُقسمة، قِوامه الخوف والأحلام التي لم تتحقق..ولا شيء يؤثر في هذا الخيار أكثر من مستقبل السلام في الشرق الأوسط.

لقد جئت اليوم في لحظة نادرة، بل وتاريخية تلوحُ فيها فرصة وجود إرادة دولية جديدة لوضع حد لهذه الكارثه.

وأنا أعتقد أنه يجب على أمريكا، بما لديها من قيم خالدة، وبمسؤولياتها الأخلاقية، وبقوتها التي لم يسبق لها مثيل، أن تلعب الدور المركزي في هذا الشأن. قد يقول البعض إن السلام صعب..ويمكننا التعايش مع الوضع الراهن ..ولكن عمليات القتل العنيفة، أيها الأصدقاء، هي جزء من هذا الوضع الراهن..والفلسطينيون والإسرائيليون ليسوا الضحايا الوحيدين..فقد رأينا العنف وهو يدمر في لبنان في الصيف الماضي..والناس في أرجاء العالم كانوا وما يزالون ضحايا للإرهابيين والمتطرفين،الذين يستغلّون الظلم الذي يُسببه هذا النزاع لإضفاء الشرعية على أعمال العنف وتشجيعها .

وقد عانى الأمريكيون والأردنيون والآخرون من الهجمات الإرهابية ونجا البعض منها . وفي هذه القاعة،هناك ممثلون لأسر أمريكية، وأسر أردنية فقدوا أعزاء لهم..ودفع الآلاف من الناس أغلى الأثمان..عندما فقدوا حياتهم..وهناك آلاف غيرهم مستمرون في دفع هذا الثمن الرهيب، لأن أعزاءهم لن يعودوا أبداً..ولذلك، فالسؤال هنا هو..هل سنترك حياة الآلاف تُستَلب دون جدوى؟ وهل غدا من المقبول أن نفقد ذلك الحق الأقدس من حقوق الإنسان؟ وهو الحقّ في الحياة .

والوضع الراهن يعمل كذلك على جر المنطقة والعالم نحو خطر أعظم

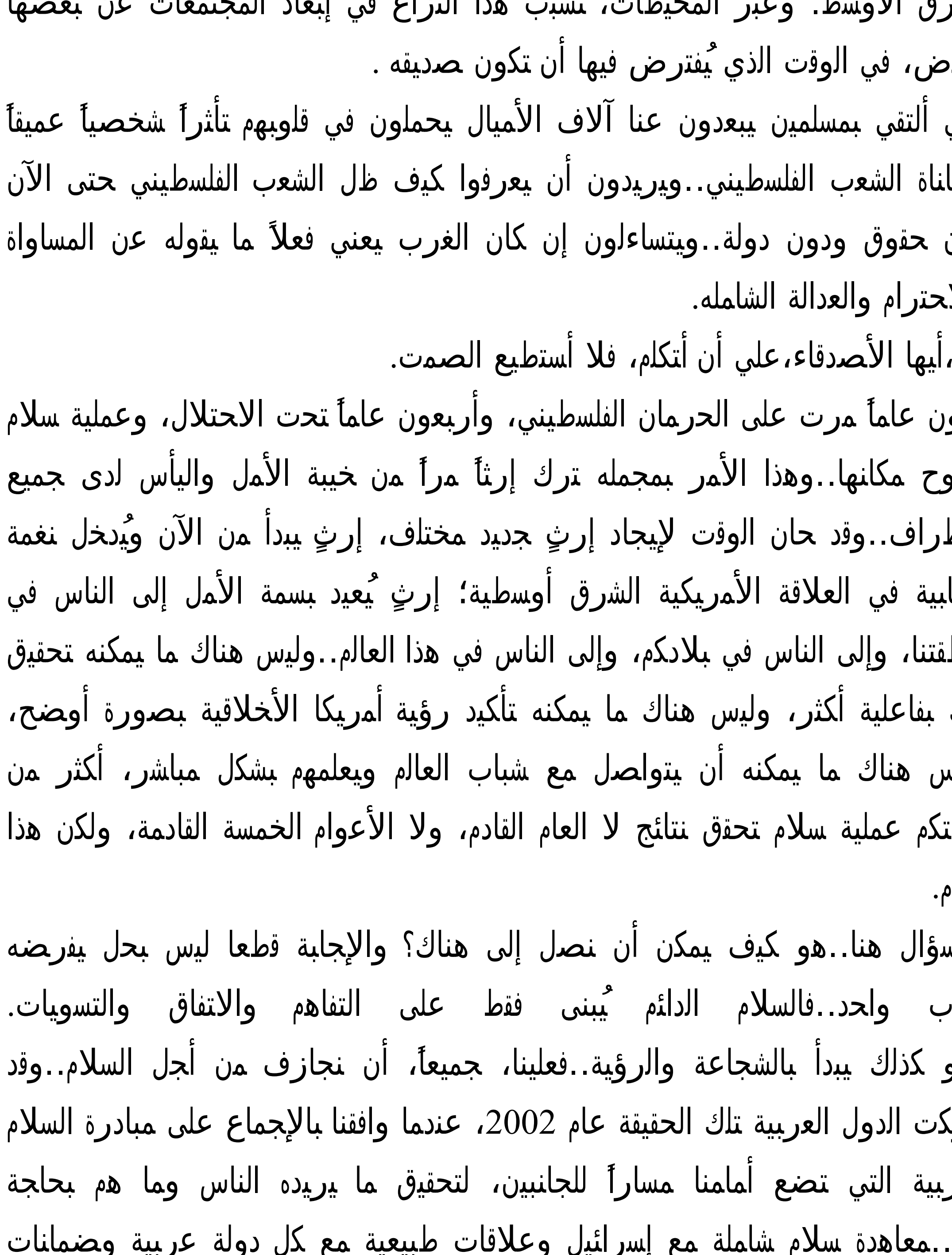
..فمع تناقص ثقة الناس في عملية السلام، فإن حلقة الأزمات تدور بسرعة أكبر..حاملة معها احتمالات أكثر للدمار..فالنهج العسكري المتغير والأسلحة المستخدمة فيه، يحمل في ثناياه أخطاراً جديدة..مثلما هو الأمر في تزايد أعداد اللاعبين الخارجيين الذين يتدخلون لتنفيذ أجنداتهم الإستراتيجية مما يدفع إلى الواجهة مخاطر جديدة تتمثل في إحداث الأزمات وانتشارها

. فهذه جماعات تسعى إلى إحداث مزيد من الفُرقة..دين في مواجهة دين آخر، وبلد ضد بلد، ومجتمع ضد مجتمع..ولهذا، فأي تدهور آخر في الوضع سيشكّل خطراً على مستقبل الاعتدال والتعايش في المنطقة وما وراءها. والسؤال مرة أخرى..هل فقدنا جميعاً إرادة العيش معاً بسلام والاحتفاء بنقاط القوة ونقاط الاختلاف بيننا؟. قد يقول البعض..أن هناك تحديات مُلحة أخرى..ولكن كيف يمكن أن يكون هناك أي شيء أكثر إلحاحاً من تصحيح أوضاع العالم..بحيث تحظى جميع الشعوب، لا بعضها، بالفرصة لتعيش بسلام؟ ليس هذا مجرد واجب أخلاقي علينا، بل هو أمر أساسي لمستقبل العالم، لأن الأزمات العنيفة التي يطول مداها هي عدو الازدهار والتقدم فيه.

لا نستطيع إنكار ان زماننا يواجه قضايا حاسمة..وأنا أعلم أن هناك قلقاً عاماً كبيراً هنا بشأن النزاع في العراق، وكذلك هو الحال في منطقتنا.. وعلى المجتمع الدولي بمُجمله أن يتخذ قرارات أساسية رئيسية حول مسار التقدم إلى الأمام، وكيفية ضمان أمن العراق ووحدته ومستقبله..ولكن يجب ألا تغيب عنا رؤية حقيقة أساسية مفادها..أن مصدر الانقسام الإقليمي ومصدر الحقد والإحباط أبعد من ذلك، فأصل المشكلة هو إنكار العدالة والسلام في فلسطين .

إن هناك من يقول :ليس هذا شأننا..ولكن هذا الكونجرس يعلم أَنْه ليس هناك متفرجون في القرن الحادي والعشرين، وليس هناك فضوليون يكتفون بالنظر، وليس هناك من لا يتأثر بالانقسامات والكراهية السائدة في عالمنا.

إن البعض سيقول..إن هذه ليست القضية المحورية في الشرق الأوسط. وأنا هنا بينكم اليوم باعتباري صديقاً لكم لأقول..إنها فعلا القضية المحورية..وهذه القضية لا تقف عند حد إحداث نتائج بالغة القسوة لمنطقتنا، بل تتعدى ذلك إلى إحداث نتائج بالغة القسوة لعالمنا.



إن أمن جميع البلدان واستقرار اقتصادنا العالمي يتأثران بصورة مباشرة بالنزاع في الشرق الأوسط. وعبر المحيطات، تسبب هذا النزاع في إبعاد المجتمعات عن بعضها البعض، في الوقت الذي يُفترض فيها أن تكون صديقه .

إنني ألتقي بمسلمين يبعدون عنا آلاف الأميال يحملون في قلوبهم تأثراً شخصياً عميقاً بمعاناة الشعب الفلسطيني..ويريدون أن يعرفوا كيف ظل الشعب الفلسطيني حتى الآن دون حقوق ودون دولة..ويتساءلون إن كان الغرب يعني فعلاً ما يقوله عن المساواة والاحترام والعدالة الشامله.

نعم،أيها الأصدقاء،علي أن أتكلم، فلا أستطيع الصمت.

ستون عاماً مرت على الحرمان الفلسطيني، وأربعون عاماً تحت الاحتلال، وعملية سلام تراوح مكانها..وهذا الأمر بمجمله ترك إرثاً مراً من خيبة الأمل واليأس لدى جميع الأطراف..وقد حان الوقت لإيجاد إرثٍ جديد مختلف، إرثٍ يبدأ من الآن ويُدخل نغمة إيجابية في العلاقة الأمريكية الشرق أوسطية؛ إرثٍ يُعيد بسمة الأمل إلى الناس في منطقتنا، وإلى الناس في بلادكم، وإلى الناس في هذا العالم..وليس هناك ما يمكنه تحقيق ذلك بفاعلية أكثر، وليس هناك ما يمكنه تأكيد رؤية أمريكا الأخلاقية بصورة أوضح، وليس هناك ما يمكنه أن يتواصل مع شباب العالم ويعلمهم بشكل مباشر، أكثر من قيادتكم عملية سلام تحقق نتائج لا العام القادم، ولا الأعوام الخمسة القادمة، ولكن هذا العام.

والسؤال هنا..هو كيف يمكن أن نصل إلى هناك؟ والإجابة قطعا ليس بحل يفرضه جانب واحد..فالسلام الدائم يُبنى فقط على التفاهم والاتفاق والتسويات. وهو كذلك يبدأ بالشجاعة والرؤية..فعلينا، جميعاً، أن نجازف من أجل السلام..وقد أدركت الدول العربية تلك الحقيقة عام 2002، عندما وافقنا بالإجماع على مبادرة السلام العربية التي تضع أمامنا مساراً للجانبين، لتحقيق ما يريده الناس وما هم بحاجة إليه..معاهدة سلام شاملة مع إسرائيل وعلاقات طبيعية مع كل دولة عربية وضمانات أمنية شاملة لكل دول المنطقة بما فيها إسرائيل، والأهم من ذلك، إنهاء الصراع، وهو حلم تاق إليه كل إسرائيلي منذ إنشاء إسرائيل، ومقابل كل ذلك يجب التوصل إلى تسوية لحل قضية اللاجئين، والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة منذ عام.. 1967 وقيام دولة فلسطين المستقلة القابلة للحياة وذات السياده

إن الالتزام الذي قطعناه على أنفسنا في مبادرة السلام العربية حقيقي..ودولنا منخرطة في جهود متصلة لإحلال سلام منصف وعادل وشامل. فخادم الحرمين الشريفين جلالة الملك عبدا بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية هو الذي بادر إلى طرح الاقتراح الذي حظي بالموافقة عام 2002، وهو يواصل اليوم حشد الدعم العالمي لهذه المبادرة..كما أن زخم هذه المبادرة يأخذ مداه في البلدان الإسلامية وخارج العالم العربي. فقبل عشرة أيام، اجتمع وزراء خارجية الدول الإسلامية الرئيسية في إسلام آباد ليؤكدوا للفلسطينيين والإسرائيليين أنهم ليسوا وحدهم في الساحة

..وأنهم يدعمون جهود صنع السلام وبنائه.

إن الهدف يجب أن يكون تحقيق السلام الذي تخرج منه جميع الأطراف رابحة وتقوم أسسه على الأمن وإتاحة الفرص أمام الجميع.

يجب أن يكون سلاماً يتمتع فيه الشباب الفلسطيني بالحرية ليركز على مستقبل قِوامه التقدم والازدهار .

ويجب أن يكون سلاماً يجعل إسرائيل جزءاً من دول الجوار..جوار يمتد من شواطيء المحيط الأطلسي عبر امتداد جنوبي البحر الأبيض المتوسط،إلى ساحل المحيط الهندي.

ويجب أن يكون سلاماً يمكّن المنطقة بمجملها من أن تتطلع إلى الأمام بتشوق وأمل، لتضع مواردها من أجل النمو المثمر، وعقد الشراكات عبر الحدود لتحقيق المزيد من التنمية، وإيجاد الفرص، والبحث عن حلولٍ للتحديات المشتركه. إن هذا الهدف هو رؤيا قابلة للتحقيق أيها الأصدقاء..فالتاريخ يُظهر أن الذين عاشوا أعداء لفترة طويلة يمكن أن يتمكنوا من صياغة علاقات جديدة فيما بينهم تقوم على السلام والتعاون..والبنية الأساسية لتسوية نهائية شاملة موجودة فعلاً..ففي طابا، كما هو الحال في اتفاقات جنيف، رسمت الأطراف المعنية أُطُر الحل وأبعاده.

ولكننا بحاجة إلى جميع الأيدي للتعاون في توجيه دفة السفينة..ولذلك، فلا بد من انخراط المجتمع الدولي، والولايات المتحدة الأمريكية بخاصة، في تحريك العملية إلى الأمام لتحقيق نتائج فعلية حقيقية.وفوق ذلك كله، علينا أن نجعل هذه العملية تلبي أهدافنا..وعلينا أن نتفق على حل للنزاع.

السيدة الرئيسة،السيد نائب الرئيس،الأعضاء الأفاضل،



إن مسؤوليتكم اليوم عظيمة..فمقدرتكم على مساعدة الفلسطينيين والإسرائيليين لإيجاد السلام لا مثيل لها..وهذا لأن الناس في المنطقة ما زالوا ينظرون للولايات المتحدة الأمريكية بأنها مفتاح السلام..وهي البلد الوحيد الأكثر قدرة على التقريب بين الجانبين، وتحميلهما المسؤولية وجعل التسوية العادلة حقيقة قائمه .

في كل مرة انخرط فيها الأمريكيون في العملية بنشاط حدث هناك تقدم نحو السلام..في كامب ديفيد، ومدريد، وواي ريفر؛ وكل إنجاز جديد تحقق تقريبا عندما صممت أمريكا على مساعدة الأطراف لتحقيق النجاح.

وبالنيابة عن جميع أولئك الذي يسعون لتحقيق السلام ويبذلون أقصى الجهد في هذا السبيل في ذلك الجزء من العالم، فإنني أطلب إليكم الآن أن تمارسوا هذه القيادة مرة ثانية..ونطلب إليكم أن تنضموا إلينا في جهد تاريخي قوامه الشجاعة والرؤية..ونطلب إليكم أن تسمعوا نداءنا، وأن تكرموا روحي الملك الحسين، وإسحق رابين..وأن تساعدوا على تحقيق تطلعات الفلسطينيين والإسرائيليين للعيش بسلام في أيامنا هذه.

ودعوني أؤكد هنا..أن الأردن ملتزم بالقيام بدور إيجابي في العملية السلمية..وهذا الالتزام جزء من التزامنا الأكبر بالتعايش والتقدم العالميين..فبلدنا بلد إسلامي يعتز بسجلّه في التنوع والاعتدال والاحترام المتبادل.

واسمحوا لي أن أقول..إننا نشكر الكونجرس والإدارة على دعم تقدم الأردن وتنميته..وأنا أثمن بعمق الشراكة القائمة بين شعبينا، والإسهامات التي قدمها العديد من الأمريكيين لمستقبل بلادنا.

أصدقائي،

"احترام لا تشوبه شائبة لحقوق جميع البلدان وكرامتها، كبيرة كانت أم صغيرةً، هكذا وصف الرئيس فرانكلين ديلانو روزفلت أسس السياسة الخارجية الأمريكية..حيث تعهد روزفلت بتقديم الدعم الأمريكي للحريات الأربع..الحرية من الخوف، والحرية من الحاجة، وحرية التعبير، وحرية الدين في كل مكان في العالم.

ولأن الخطاب الذي تحدث فيه روزفلت عن الحريات الأربع ألقاه هنا، أمام الكونجرس..وهذا مناسب للغاية..فهنا، في بيت الشعب، جعلت أصوات أمريكا وقيمها الأملَ حقيقةً واقعة للعديد من الناس .

واليوم، يبحث الناس في الشرق الأوسط عن هذه الحريات الأربع..واليوم يبحث الناس في الشرق الأوسط عن أمل جديد..أملٍ في مستقبل من الازدهار والسلام .
لقد رأينا الخطر والدمار الذي سببه العنف والكراهية والظلم..ولكننا رأينا أيضاً ما يمكن للناس أن يحققوه عندما يمنحون القوة لذلك،عندما يهدمون الجدران، وعندما يلتزمون بالمستقبل..ونحن نعلم أن الشرق الأوسط يمكن أن يكون بداية عالمية تعمل على إيجاد إمكانات جديدة لمنطقتنا والعالم بأجمعه.
إننا نتطلع إليكم للقيام بدور تاريخي..فقد واجه 11 رئيسا أمريكيا و30 مجلساً من مجالس الكونجرس الأمريكي هذه الأزمة المتواصلة دون انقطاع..لنَقُلْ معاً، ليس من أجل أجيال المستقبل، بل من أجل الجيل الذي يعيش بيننا اليوم، أننا لا نريد المزيد!لنقل معا..لنجد حلاً لهذا! لنقل معاً ..نعم، سنحقق هذا!ومن هذا المنطلق، يجب ألا يجد أي أب فلسطيني نفسه عاجزاً عن إطعام أسرته وبناء مستقبل لأبنائه وبناته..ويجب ألا تخاف أي أم إسرائيلية عندما يصعد طفلها إلى الحافلة..ويجب أن لا يترعرع جيل آخر وهو يعتقد أن العنف والنزاع هما طبيعة الحياة. وكما قال روزفلت أيضاً..فإن عدالة السلوك الأخلاقي يجب أن تفوز في نهاية الأمر، وسوف تفوز..ولكنه كان يعرف أن الأمر منوط بالدول التي تتحمل المسؤولية كي تقف مدافعة عن العدالة عندما يهددها الظلم.
وهذا هو التحدي الذي يواجهنا نحن أيضاً..ويجب ألا نترك الأمر لجيل آخر ليواجه هذا التحدي.
قبل ثلاثة عشر عاماً، كان والدي هنا ليتحدث عن آماله من أجل السلام. واليوم نتحدث عن أمل في متناول يدنا .
ولأننا لا يمكن أن ننتظر أكثر من ذلك، فقد جئت اليوم لأقف وأتحدث أمامكم . يجب أن نعمل معاً لاستعادة فلسطين، بلد يغرق في اليأس دون بارقة أمل. وعلينا أن نعمل معاً لاستعادة السلام والأمل والفُرص للشعب الفلسطيني. وبعملنا هذا، سنبدأ عملية بناءٍ للسلام لا في أرجاء المنطقة فحسب، بل في أرجاء العالم أيضاً..فكم من الدم المراق وحالات الموت سنشهد، وكم سنقدم ثمناً لحل هذا الوضع الخطر؟.

وأقول هنا..لا لمزيد من سفك الدماء، لا لمزيد من الموت بدون سبب!
الصبي الصغير الذي يذهب إلى المدرسة مع أخيه في فلسطين..دعه ينعم بالسلام.
والأم، التي ترقب بخوفٍ أولادها وهم يصعدون إلى الحافلة في إسرائيل..دعوها تنعم بالسلام.
والأب في لبنان، الذي يعمل بجد لتوفير التعليم لأطفاله..دعه ينعم بالسلام.
والفتاة الصغيرة، التي ولدت في العراق، وعيناها الواسعتان مليئتان بالدهشة..دعوها تنعم بالسلام.
والأسرة، التي تتناول معاً وجبة العشاء، في آسيا وإفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، وأوروبا، وأستراليا، والشرق الأوسط..دعوها تنعم بالسلام.
فاليوم أيها الأصدقاء،علينا أن نتكلم، فلا نستطيع التزام الصمت.
في المرة القادمة التي يأتي فيها الأردني أو الفلسطيني أو الإسرائيلي ليتحدث أمامكم، دعوها مناسبة يقول لكم فيها..شكراً لكم على مساعدتكم في جعل السلام حقيقة وواقعاً.
والسلام عليكم،
وأشكركم جزيل الشكر.

ملحق (د)

نص "رسالة عمان"

ملحق (د) نص ًرسالة عمانً

بسم ا الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وعلى آله وأصحابه الغُر الميامين، وعلى رُسُـل ا وأنبيائه أجمعين .

قال تعالى :(يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند ا اتقاكم) صدق ا العظيمً الحجرات :ً13.

هذا بيان للناس، لإخوتنا في ديار الإسلام، وفي أرجاء العالم، تعتز عمـان، عاصـمة المملكة الأردنية الهاشمية، بأن يصدر منها في شهر رمضان المبارك الذي أنـزل فيـه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، نصارح فيه الأمة، في هذا المنعطـف الصعب من مسيرتها، بما يحيق بها من أخطار، مدركين ما تتعرض له مـن تحـديات تهدد هويتها وتفرق كلمتها وتعمل على تشويه دينها والنيل من مقدساتها، ذلك أن رسالة الإسلام السمحة تتعرض اليوم لهجمة شرسة ممن يحاولون أن يصوروها عـدواً لهـم، بالتشويه والافتراء، ومن بعض الذين يدعون الانتساب للإسلام ويقومون بأفعـال غيـر مسؤولة باسمه .

هذه الرسالة السمحة التي أوحى بها الباري جلت قدرته للنبي الأمين محمد صلوات ا وسلامه عليه، وحملها خلفاؤه وآل بيته من بعده عنوان أخوة إنسانية ودينـا يـستوعب النشاط الإنساني كله، ويصدع بالحق ويأمر بالمعروف وينهى عـن المنكـر، ويكـرم الإنسان، ويقبل الآخر .

وقد تبنت المملكة الأردنية الهاشمية نهجا يحرص على إبراز الصورة الحقيقية المشرقة للإسلام ووقف التجني عليه ورد الهجمات عنه، بحكم المسؤولية الروحيـة والتاريخيـة الموروثة التي تحملها قيادتها الهاشمية بشرعية موصولة بالمصطفى صـلى ا عليـه وسلم، صاحب الرسالة، ويتمثّل هذا النهج في الجهود الحثيثة التي بذلها جلالة المغفـور له بإذن ا تعالى الملك الحسين بن طلال طيب ا ثراه على مـدى خمـسة عقـود، وواصلها، من بعده، بعزم وتصميم جلالة الملك عبد ا الثاني بن الحسين، منذ أن تسلّم الراية، خدمة للإسلام، وتعزيزاً لتضامن مليار ومائتي مليون مـسلم يـشكّلون خُمـس

المجتمع البشري، ودرءاً لتهميشهم أو عزلهم عن حركة المجتمـع الإنـساني، وتأكيـداً لدورهم في بناء الحضارة الإنسانية، والمشاركة في تقدمها في عصرنا الحاضر .

والإسلام الذي يقوم على مبادئ أساسها : توحيد ا والإيمان برسالة نبيه، والارتبـاط الدائم بالخالق بالصلاة، وتربية النفس وتقويمها بصوم رمضان، والتكافل بالزكاة، ووحدة الأمة بالحج إلى بيت ا الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، وبقواعـده الناظمـة للـسلوك الإنساني بكل أبعاده، صنع عبر التاريخ أمة قوية متماسكة، وحضارة عظيمـة، وبـشر بمبادئ وقيم سامية تحقق خير الإنسانية قوامها وحدة الجـنس البـشري، وأن النـاس متساوون في الحقوق والواجبات، والسلام، والعدل، وتحقيق الأمن الـشامل والتكافـل الاجتماعي، وحسن الجوار، والحفاظ على الأمـوال والممتلكـات، والوفـاء بـالعهود، وغيرها وهي مبادئ تؤلف بمجموعها قواسم مشتركة بين أتباع الديانات وفئات البـشر؛ ذلك أن أصل الديانات الإلهية واحد، والمسلم يؤمن بجميع الرسل، ولا يفرق بين أحـد منهم، وإن إنكار رسالة أي واحد منهم خروج عن الإسلام، مما يؤسس إيجـاد قاعـدة واسعة للالتقاء مع المؤمنين بالديانات الأخرى على صعد مشتركة في خدمة المجتمـع الإنساني دون مساس بالتميز العقدي والاستقلال الفكري، مستندين في هذا كله إلى قوله تعالى (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن با وملائكتـه وكتبـه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) ً البقرة : ً285.

وكرم الإسلام الإنسان دون النظر إلى لونه أو جنسه أو دينه (ولقـد كرمنـا بنـي آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثيـر ممـن خلقنـا تفضيلا)ً الإسراء:ً70.

وأكّد أن منهج الدعوة إلى ا يقوم على الرفق واللين (ُأدع إلى سبيل ربـك بالحكمـة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) ً النحـل : ً125 ، ويـرفض الغلظـة والعنف في التوجيه والتعبير (فبما رحمة من ا لنت لهم ولو كنت فظاً غلـيظ القلـب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) ً آل عمران :ً159.

وقد بين الإسلام أن هدف رسالته هو تحقيق الرحمة والخير للناس أجمعين، قال تعـالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) ً الأنبياء : ً107 ، وقال صـلى ا عليـه وسـلم ً

الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" (حـديث صحيح).

وفي الوقت الذي دعا فيه الإسلام إلى معاملة الآخرين بالمثل، حث على التسامح والعفو اللذين يعبران عن سمو النفس (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فـأجره علـى ا) " الشورى :" 40 ، (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) " فصلت :" 34. وقرر مبـدأ العدالـة فـي معاملـة الآخرين وصيانة حقوقهم، وعدم بخس الناس أشياءهم (ولا يجرمنكم شنئان قوم علـى ألا تعدلوا، إعدلوا هو أقرب للتقوى) " المائدة :" 8، (إن ا يأمركم أن تؤدوا الأمانـات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) " النساء :" 58 ، (فـأوفوا الكيـل والميزان ولا تبخسوا الناس أشـياءهم ولا تفـسدوا فـي الأرض بعـد إصـلاحها) " الأعراف:" 85.

وأوجب الإسلام احترام المواثيق والعهود والالتزام بما نـصت عليـه، وحـرم الغـدر والخيانة (وأوفوا بعهد ا إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلـتم ا عليكم كفيلاً) " النحل :" 91.

وأعطى للحياة منزلتها السامية فلا قتال لغير المقـاتلين، ولا اعتـداء علـى المـدنيين المسالمين وممتلكاتهم، أطفالاً في أحضان أمهاتهم وتلاميذ على مقاعد الدراسة وشـيوخاً ونساء؛ فالاعتداء على حياة إنسان بالقتل أو الإيذاء أو التهديد اعتداء على حق الحياة في كل إنسان وهو من أكبر الآثام، لأن حياة الإنسان هي أساس العمران البشري (من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنمـا أحيـا الناس جميعاً) " المائدة :" 32.

والدين الإسلامي الحنيف قام على التوازن والاعتدال والتوسـط والتيـسير (وكـذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شـهيداً) " البقـرة :" 143 ، وقال صلى ا عليه وسلم" ويسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا" (حديث صحيح) ، وقد أسس للعلم والتدبر والتفكير ما مكن من إيجاد تلك الحضارة الإسـلامية الراسخة التي كانت حلقة مهمة انتقل بها الغرب إلى أبواب العلم الحديث، والتي شارك في إنجازاتها غير المسلمين باعتبارها حضارة إنسانية شاملة . وهذا الدين ما كان يوماً إلا حرباً على نزعات الغلو والتطّرف والتشدد، ذلك أنها حجب العقل عن تقدير سـوء

العواقب والاندفاع الأعمى خارج الضوابط البشرية ديناً وفكراً وخلقاً، وهي ليست مـن طباع المسلم الحقيقي المتسامح المنشرح الصدر، والإسلام يرفضها - مثلمـا ترفـضها الديانات السماوية السمحة جميعها - باعتبارها حالات ناشزة وضروباً من البغي، كمـا أنها ليست من خواص أمة بعينها وإنما هي ظاهرة عرفتهـا كـل الأمـم والأجنـاس وأصحاب الأديان إذا تجمعت لهم أسبابها، ونحن نستنكرها وندينها اليوم كما اسـتنكرها وتصدى لها أجدادنا عبر التاريخ الإسلامي دون هوادة، وهم الذين أكدوا، مثلمـا نؤكـد نحن، الفهم الراسخ الذي لا يتزعزع بأن الإسلام دين أخلاقي الغايات والوسائل، يسعى لخير الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة، والدفاع عنه لا يكون إلا بوسـائل أخلاقيـة، فالغاية لا تبرر الوسيلة في هذا الدين . والأصل في علاقة المسلمين بغيرهم هي السلم، فلا قتال حيث لا عدوان وإنما المودة والعدل والإحسان (لا ينهاكم ا عن الـذين لـم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إلـيهم إن ا يحـب المقسطين) ً الممتحنـة :ً 8 ، (فـإن انتهـوا فـلا عـدوان إلا علـى الظـالمين) ً البقـرة:ً 193.

وإننا نستنكر، دينياً وأخلاقياً، المفهوم المعاصر للإرهاب والذي يراد به الممارسات الخاطئة أياً كان مصدرها وشكلها، والمتمثلة في التعدي على الحياة الإنسانية بـصورة باغية متجاوزة لأحكام ا ، تروع الآمنين وتعتدي على المدنيين المسالمين، وتجهز على الجرحى وتقتل الأسرى، وتستخدم الوسائل غير الأخلاقية، من تهديم العمران واستباحة المدن (ولا تقتلوا النفس التي حرم ا إلا بالحق) ً الأنعـام :ً 151 ، ونـشجب هـذه الممارسات ونرى أن وسائل مقاومة الظلم وإقرار العـدل تكـون مـشروعة بوسـائل مشروعة، وندعو الأمة للأخذ بأسباب المنعة والقوة لبنـاء الـذات والمحافظـة علـى الحقوق، ونعي أن التطرف تسبب عبر التاريخ في تدمير بنى شامخة في مدنيات كبرى، وأن شجرة الحضارة تذوي عندما يتمكن الحقد وتنغلق الصدور .

والتطرف بكل أشكاله غريب عن الإسلام الذي يقوم على الاعتدال والتسامح . ولا يمكن لإنسان أنار ا قلبه أن يكون مغاليا متطرفا . وفي الوقت نفسه نـستهجن حملـة التشويه العاتية التي تصور الإسلام على أنه دين يشجع العنـف ويؤسـس للإرهـاب، وندعو المجتمع الدولي، إلى العمل بكل جدية على تطبيق القـانون الـدولي واحتـرام المواثيق والقرارات الدولية الصادرة عن الأمم المتحدة، وإلزام كافة الأطراف القبول بها

ووضعها موضع التنفيذ، دون ازدواجية في المعايير، لضمان عودة الحق إلى أصـحابه وإنهاء الظلم، لأن ذلك من شأنه أن يكون له سهم وافر في القضاء على أسباب العنـف والغلو والتطرف .

إن هدي هذا الإسلام العظيم الذي نتشرف بالانتـساب إليـه يـدعونا إلـى الانخـراط والمشاركة في المجتمع الإنساني المعاصر والإسهام في رقيه وتقدمه، متعاونين مع كل قوى الخير والتعقّل ومحبي العدل عند الشعوب كافةً، إبرازاً أمينـاً لحقيقتنـا وتعبيـراً صادقاً عن سلامة إيماننا وعقائدنا المبنية على دعوة الحق سـبحانه وتعـالى للتـآلف والتقوى، وإلى أن نعمل على تجديد مشروعنا الحضاري القائم على هدي الدين، وفـق خطط علمية عملية محكمة يكون من أولوياتها تطوير مناهج إعداد الدعاة بهدف التأكـد من إدراكهم لروح الإسلام ومنهجه في بناء الحياة الإنسانية، بالإضافة إلـى إطلاعهـم على الثقافات المعاصرة، ليكون تعاملهم مع مجتمعاتهم عن وعي وبصيرة، (قـل هذه سبيلي أدعـو إلى ا على بصيرة أنـا ومـن اتبعني) ً يوسف :108 ً ، والإفـادة من ثورة الاتصالات لرد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام بطريقة علمية سليمة دون ضعف أو انفعال وبأسلوب يجذب القارئ والمستمع والمشاهد، وترسيخ البناء التربـوي للفرد المسلم القائم على الثوابت المؤسسة للثقة فـي الـذات، والعاملـة علـى تـشكيل الشخصية المتكاملة المحصنة ضد المفاسد، والاهتمام بالبحث العلمي والتعامل مع العلوم المعاصرة على أساس نظرة الإسلام المتميزة للكون والحياة والإنسان، والاستفادة مـن إنجازات العصر في مجالات العلوم والتكنولوجيا، وتبنّي المنهج الإسلامي في تحقيـق التنمية الشاملة الذي يقوم على العناية المتوازنـة بالجوانـب الروحيـة والاقتـصادية والاجتماعية، والاهتمام بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وتأكيد حقـه فـي الحيـاة والكرامة والأمن، وضمان حاجاته الأساسية، وإدارة شؤون المجتمعات وفـق مبـادئ العدل والشورى، والاستفادة مما قدمه المجتمع الإنساني من صـيغ وآليـات لتطبيـق الديمقراطية .

والأمل معقود على علماء أمتنا أن ينيروا بحقيقة الإسلام وقيمـه العظيمـة عقـول أجيالنا الشابة، زينة حاضرنا وعدة مستقبلنا، بحيث تجنبهم مخاطر الانزلاق في مسالك الجهل والفساد والانغلاق والتبعية، وتنير دروبهـم بالـسماحة والاعتـدال والوسـطية والخير، وتبعدهم عن مهاوي التطرف والتشنج المدمرة للروح والجسد؛ كما نتطلع إلـى

نهوض علمائنا إلى الإسهام في تفعيل مسيرتنا وتحقيق أولوياتنا بأن يكونوا القدوة والمثل في الدين والخلق والسلوك والخطاب الراشد المستنير، يقدمون للأمة دينها السمح الميسر وقانونه العملي الذي فيه نهضتها وسعادتها، ويبثون بين أفراد الأمة وفي أرجاء العـالم الخير والسلام والمحبة، بدقة العلم وبصيرة الحكمة ورشد السياسة في الأمـور كلهـا، يجمعون ولا يفرقون، ويؤلفون القلوب ولا ينفرونها، ويستشرفون آفاق التلبية لمتطلبات القرن الحادي والعشرين والتصدي لتحدياته .

وا نسأل أن يهيئ لأمتنا الإسلامية سبل النهضة والرفاه والتقدم، ويجنبها شـرور الغلو والتطرف والانغلاق، ويحفظ حقوقها، ويديم مجدها، ويرسخ عزتهـا، إنـه نعـم المولى ونعم النصير .

قال تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون) الأنعام : 153.

وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين

عمان

المملكة الأردنية الهاشمية

رمضان المبارك، 1425 هجرية

تشرين الثاني، 2004 ميلادية

الملحق (هـ)

صلح الحديبية

الملحق (هـ) صلح الحديبية

صلح الحديبية هو عقد في فترة صدر الإسلام بين المسلمين بقيادة رسول ا محمد بن عبد ا وبين قريش التي لم تكن تدين بالإسلام آنذاك وكانت المدة المقررة للإتفاق عشرة سنوات، فاوض قريش عليها عثمان بن عفان.

(6هـ./628م.)

في أواخر شهر شوال من السنة السادسة للهجرة، أعلن رسول ا أنه يريد المسير إلى مكة لأداء العمرة، وأذن في أصحابه بالرحيل إليها لأدائها معه، ففرحوا وطابت نفوسهم بزيارة الكعبة وقد حرموا منها، وكان أشدهم فرحا المهاجرون الذين اشتد شوقهم إلى ديارهم ومن خلفوا فيها من أهلهم. وسار رسول ا بألف وخمسمائة من المهاجرين والأنصار، لا يحملون من آلات الحرب إلا السيوف في القراب، ولبسوا لباس الإحرام ليؤكدوا لقريش أنهم يريدون العمرة ولا يقصدون الحرب، وما حملوا من سيوف إنما كان للحماية مما قد يعترضهم في الطريق. ووصلت قافلة المسلمين إلى قرية الحديبية القريبة من مكة ولما علمت قريش بقدومرسول ا محمد وصحبه رفضت السماح لهم بدخول مكة وكان شهر ذي القعدة قد حل، وهو من الأشهر الحرم التي يمتنع فيها القتال. وأرسل رسول ا عثمان بن عفان ليفاوض قريشا، وكان مقدما عندهم وتأخرت عودته وأشيع أنه قتل. وهنا عزم رسول ا على دخول مكة عنوة، فإن قاتلته قريش وتجاوزت حرمة الشهر الحرام فقد أذن ا للمسلمين بقتالهم وصد عدوانهم. واستجاب المسلمون لما عزم عليه النبي صلى ا عليه وسلم وبايعوه على الموت، ودعيت هذه المبايعة بـ بيعة الرضوان. لم يقتل عثمان كما كان قد أشيع وعاد إلى الحديبية وكان قد تأخر في مفاوضة قريش وفي إزالة مخاوفها، وكان المطلب الأساسي لقريش أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل، لكي لا يقول العرب أن قريشا استذلت للمسلمين فيصيبها من ذلك معرة. ووافق رسول الإسلام على مطلب قريش، وعلى أساسه عقد اتفاق بينه وبين قريش عرف بصلح الحديبية وبمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات.

شروط الصلح

* أن يرد المسلمون من يأتيهم من قريش مسلما بدون إذن وليه، وألا ترد قريش من يعود إليها من المسلمين.

وأن من أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ومن أراد أن يدخل في عهد محمد من غير قريش دخل فيه.

أن لا تكون عداوة أو خيانة بين الطرفين.

أن يعود المسلمون ذلك العام على أن يدخلوا مكة معتمرين في العام المقبل. (1)

---

[1] وهبه الزحيلي ، العلاقات الدولية في الاسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث مؤسسة الرسالة ط1 1401هـ 1981 بيروت ص(163)

الملحق (و)

العهدة العمرية

الملحق (و) العهدة العمرية

هذا ما أعطى عبد ا أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبناهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم، ولاتهدم، ولاينتقص منها، ولا من خيرها، ولا من صُلُبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء (القدس) معهم أحد من اليهود وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم. على ما في الكتاب عهد ا وذمة الخفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم الجزية.

كتب وحضر سنة خمس عشرة هجرية، شهد على ذلك الصحابة الكرام :

خالد بن الوليد ، عمر بن العاص ، عبد الرحمن بن عوف ، معاوية بن أبى سفيان، وسلمت هذه العهدة إلى صفرونيوس بطريارك الروم. [(1)]

[1] وهبه الزحيلي ، العلاقات الدولية في الاسلام مقارنة بالقانون الدولي الحديث مؤسسة الرسالة ط1 1401هـ 1981 بيروت ص(165)